الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

Mngool.com

غير مخصص للبيع

ISSUE 130 - 11TH YEAR - DEC. 1987.

العدد (١٣٠) ـ ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ ـ السنة الحادية عشرة ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ م



صفحة مفقودة

طنجة

مدينة وتاريخ

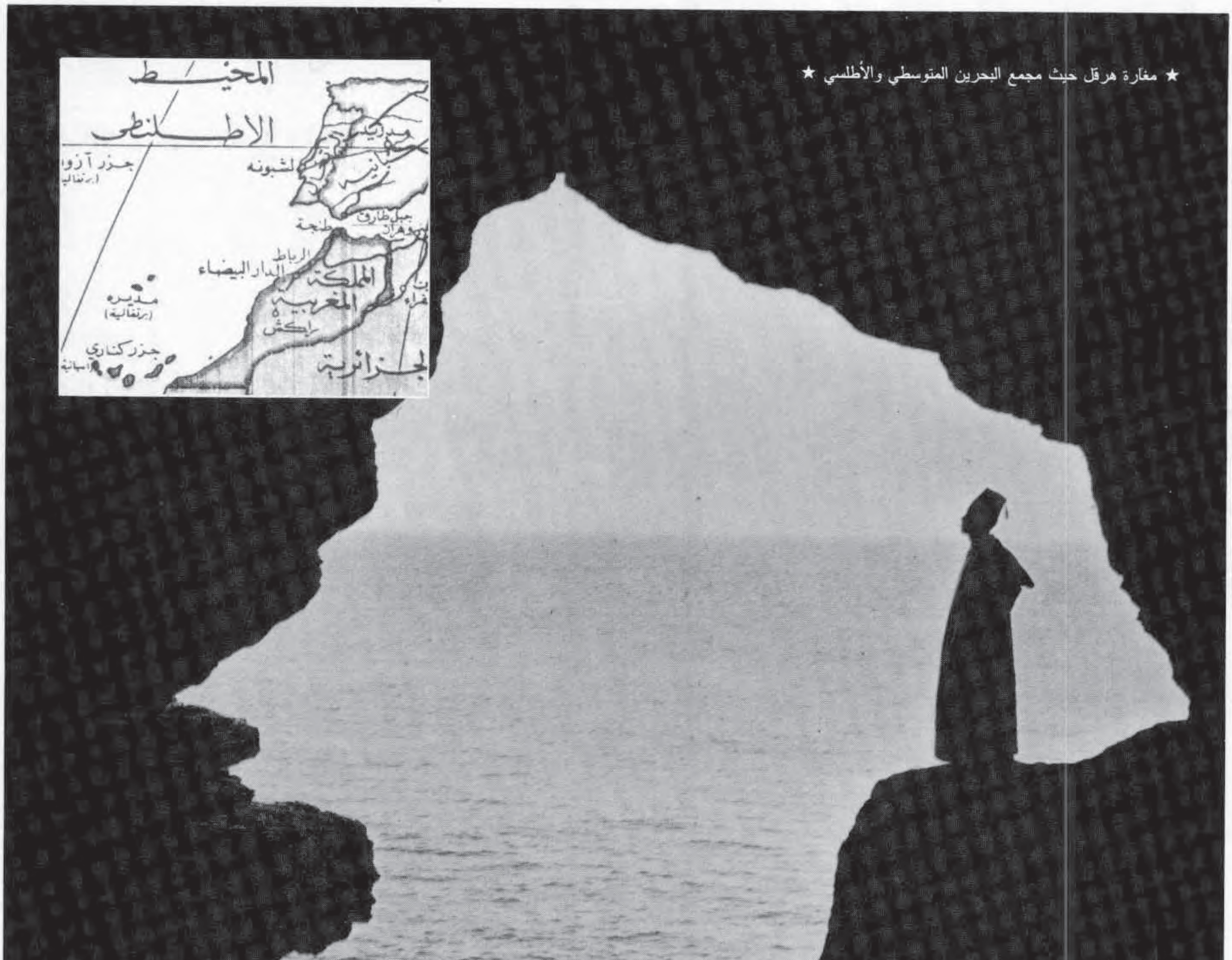
.. عروس شمال المغرب

إعداد: أحمد محمد المسناوي ✸ تصوير: محمد البقالي الريضي



★ شارع الجيش الملكي المؤدي إلى الشاطىء ★

★ مغارة هرقل حيث مجمع البحرين المتوسطي والأطلسي ★



على ربوة عالية ، تنتصب طنجة شامخة الهامة ، باسمة الثغر ، تناجي البحر ، وتفتح الأحضان للقادمين إليها من بلاد الثلج والضباب ، والقيظ والسراب .

واسم طنجة أثار الخيال المبدع ، ونسجت حولها الكثير من الخرافات والأساطير ؛ فهي تارة ابنة الملك انطي ، أو الأطلس ، الذي حكم شمال إفريقيا في غابر الأزمان ، بل هي ثمرة ذلك الزواج الذي تم بين تينكا إحدى بنات هذا الملك ، وبين حوفاقس نجل هرقل ، حسب ما تحكيه الأسطورة الرومانية . وهي تارة أخرى تسمية تعود جذورها إلى نوح عليه السلام ، وقصته مع الحمامة التي جاءته بقطعة من طين « طين جا » . دلالة على الاقتراب من اليابسة ، التي ستعرف فيما بعد بطنجة .

ولكن حسب ما يبدو ، فإن اسم طنجة مشتق من لفظة « طنج » وهي كلمة ليبية أو بربرية قديمة ، معناها البحيرات ، التي كانت تكتنف إقليم طنجة قديماً من جميع الجهات . وكان يطلق اسمها في بعض الأزمان على المغرب الأقصى كله . ويوسع بعض المؤرخين من حدود طنجة ، ليجعلوها تعني في العصر الإسلامي الوسيط الإمارة الفسيحة ، التي تمتد مسيرة شهر(١) .

طنجة في العهود القديمة

يرجع تاريخ طنجة إلى عصور ما قبل التاريخ ؛ فهي مدينة أزلية ـ على حد تعبير **ابن حوقل** ـ تاريخها عصي على التحديد والضبط . تعتبر أقدم مدينة مغربية(٢) ، بل هي حسب ماورد عند **ابن الجزار** في كتاب « **عجائب البلدان** » أقدم مدينة في البنيان على الإطلاق بعد مكة المكرمة . **كانت موجودة قبل الفينيقيين** على شكل مجموعات سكنية ، ولكن الثابت أن هؤلاء القوم في بحثهم عن أرض الغروب ، كانوا أول من زار هذا الإقليم حوالي القرن الخامس قبل الميلاد ، ليؤسسوا به أهم مراكزهم التجارية . وقد خلفوا وراءهم آثاراً شاهدة للتاريخ ؛ كبعض النقوش التي وجدت في عمودين فينيقيين بطنجة القديمة ، المعروفة عندنا اليوم بـ « **طنجة البالية** » ومسلة حجرية منحوتة(٣) ، علاوة على بعض المصنوعات الخزفية ، والفخارية ، التي عثر عليها في **رأس سبارطيل** ، **وواد أشقار** ، والتي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ .

وحل بالمدينة بعد الفينيقيين بنو عمومتهم



★ من هذا المنبر بدار المندوبية أعلن الملك محمد الخامس ـ رحمه الله ـ خطابه التاريخي عام ١٩٤٧م ★



★ مدافع بدار المندوبية ؛ شاهدة على إنتحار قوى الغزو الأجنبي على المدينة ★

القرطاجيون في رحلة استكشافية ، من أجل توسيع تجارتهم ، ونشر حضارتهم . وقد كان رائد هذه الرحلة الشهيرة القائد القرطاجي « **حنون** » الذي عبر أسطوله **مضيق جبل طارق** ، المعروف آنذاك بأعمدة هرقل ، في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد ، بهدف استكشاف شواطىء إفريقيا الأطلسية . وغزاها **الرومان** زمن حكمهم لأسبانيا ، بعد سقوط قرطاجة سنة ١٤٦ قبل الميلاد . وكانت تعرف عندهم باسم « **طنجيس** » Tingis ، وكانت تندرج في جغرافيتهم ضمن إمبراطورية موريتانيا ، بل وتصبح بعد الميلاد عاصمة موريتانيا الطنجية ، باعتبارها أكبر مدينة مغربية في عهدهم .

وكانت طنجة عاصمة ملوك المغاربة البربر ، الذين قاموا في هذه الفترة ، وببسالة الهيمنة الرومانية على الإقليم . واجتاح **الوندال الجرمانيون** المدينة في أوائل القرن الخامس الميلادي ، ولكن بدائيتهم حالت دون أن يتركوا بصمات حضارية في المنطقة .

وضمت إلى **الإمبراطورية البيزنطية** بعد أن استولى عليها « **جيستن** » في أوائل القرن السادس الميلادي .

طنجة في العهود الإسلامية

وبعد استقرار الإسلام في المشرق ، وصل **عقبة ابن نافع الفهري** إلى أحواز طنجة المعروفة آنذاك بالبربرية ، في عهد **يزيد بن معاوية** عام ٦٢هـ/٦٨٢م ثم جاء بعده **موسى بن نصير** ، عامل **الوليد بن عبد الملك** على إفريقيا عام ٨٨هـ/٧٠٧م، ففتح طنجة ، وولى عليها عام ٩٢ هـ/ ٧١٠ م **طارق ابن زياد** ، الذي انطلق منها لفتح الأندلس .

وحل بالمدينة **المولى إدريس الأكبر** ، رفقة مولاه راشد ، عام ١٧٢ هـ/٧٨٨ م ، قادمين إليها من مدينة « **تلمسان** » الجزائرية ، في طريقهما إلى **جبل زرهون** ، قاعدة بلاد المغرب آنذاك .. وبعد وفاة المولى إدريس وزعت بلاد المغرب بين أبنائه الاثنى عشر ، وكانت طنجة من نصيب ابنه **القاسم** .

واستولى المرابطون على طنجة عام ٤٧٠هـ/١٠٧٧ م وازدهرت في عهدهم ، فأصبحت مركزاً حربياً ، وزخرت بالأدباء والعلماء ، وكانت صلة وصل بين الشرق والغرب ، في ميدان العلم والمعرفة . وقد زارها يوسف بن تاشفين مرفوقا بأمير إشبيلية ، الكاتب والشاعر المعتمد بن عباد عام ٤٨٥ هـ/١٠٩٢م.



★ طنجة المغرب الجديد بين الماء والخضرة ★



★ ميناء مدينة طنجة ، من الموارد الهامة لاقتصاد الإقليم ★



★ باخرة ضخمة همزة الوصل بين طنجة ومدينة سات الفرنسية ★

وأصبحت المدينة في **عهد الموحدين** (٥٤٢ - ٦٦٧ هـ) قاعدة لنشاط اقتصادي بالميناء ، ومركزاً تجارياً للتسويق والتصدير ، وورشة للسفن الحربية ، والأساطيل البحرية ، تنطلق منها أرقى البواخر العسكرية لتكون تحت تصرف المحاربين في أسبانيا أو في تونس .

وخضعت طنجة **للمرينيين** عام ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤م . وبرز خلال هذه الفترة علماء أجلاء ، أمثال الرحالة العالمي **ابن بطوطة الطنجي الأصل ،** الذي تتضارب الآراء حول مكان وفاته ، وإن كان الثابت تاريخياً أنه قضي آخر أيامه على قضاء (تامسنا) المعروفة اليوم **بالشاوية** .

ولكن أهل طنجة يصرون على احتضان مدينتهم لابن بطوطة حياً وميتاً ، بل ويشرفهم تواجده بين ظهرانيهم . ويدفع الفضول الكثير من السياح الأوروبيين لزيارة قبر أحد الصالحين ، موهمين أنه لابن بطوطة . **ويطلب رئيس وزراء الصين الراحل شوان لاي ، أثناء زيارته للمغرب في أوائل الستينات أن تنظم له رحلة خاصة لزيارة قبل الرحالة العربي الذي تولى يوما ما قضاء الصين .**

الغزو الاستعماري للمدينة

وتعرضت طنجة في عهد **الوطاسيين** للاحتلال **البرتغالي** الذي دام قرنين من الزمن (١٤٧١ - ١٦٦١ م) ، وجعلها **الفونسو السادس** ملك البرتغال مهراً لشقيقته الأميرة كاترين ، التي زفت **لشارل الثاني** ملك إنجلترا .

وانتقلت طنجة على إثر هذا الزواج ، رغم معارضة اسبانيا له ، من السيطرة البرتغالية إلى السيطرة الإنجليزية (١٦٦٢ - ١٦٨٤ م) . ولم ينعم لا هؤلاء ولا أولئك بالراحة ، طيلة احتلالهم لطنجة ، فقد تعرضوا لمقاومة عنيفة من طرف أبناء الريف المجاهدين الأبرار لإجلائهم من المنطقة .

في ظل الحكم العلوي

وأخيراً تمكن **السلطان المولى إسماعيل** من تحرير طنجة سنة ١٦٨٤ م ، بعد مقاومة شعبية باسلة ، قرر الإنجليز على إثرها الانسحاب والجلاء عن المدينة ، بعد أن نهبوها ، وهدموا المباني الدفاعية ، وخربوا المنشآت المينائية . ولم تنج حتى المباني السكنية ، وآثارهم الدينية المقدسة من هذه الممارسة البشعة(٤) .



★ برلمان الدول سابقاً ، وقصر المؤتمرات حالياً ★



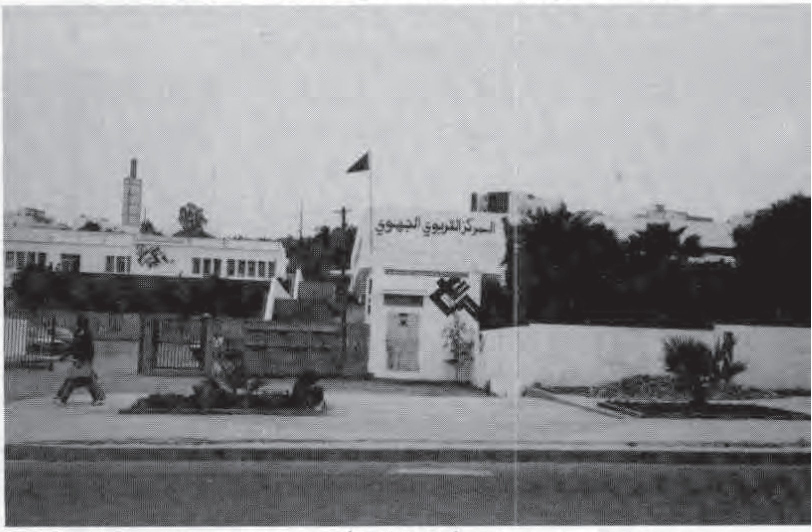
★ شارع محمد الخامس قلب طنجة الذي تؤدي إليه كل الطرق ★



★ ميدان السوق الكبير في طنجة ★



★ رواق طنجة الدولي وفيه مقر المركز الأفريقي للتدريب والبحث الإداري للإنماء ★



★ المركز التربوي لتكوين أساتذة السلك الأول من التعليم الثانوي ★



★ أول مدرسة إسلامية أنشأها العلامة عبد الله كنون بطنجة ★

وصارت طنجة أيام الدولة العلوية ، ومنذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، عاصمة المغرب الدبلوماسية ، حيث أضحت معقل السفراء الأجانب ، ومقر نائب السلطان .

وفي سنة ١٨٤٤ م أقدمت **فرنسا** على قنبلة مدينة طنجة ، انتقاماً من **السلطان مولاي عبد الرحمان** ، الذي ذهب إلى مدينة تلمسان الجزائرية ، ليناصر **الأمير عبد القادر الجزائري** ، ويقدم له المساعدة والدعم إثر احتلال فرنسا لبلاده سنة ١٨٣٠ م .

ودخلت طنجة أثناء هذه الفترة مرحلة جديدة حاسمة ، أصبحت خلالها هدفاً للأطماع والمؤامرات الدولية ، نظراً لموقعها الاستراتيجي الممتاز .

وفي عام ١٩٠٦ م عقد مؤتمر دولي في مدينة « **الجزيرة الخضراء** » ، وضع فيه ميثاق ينص على إقامة نظام خاص في طنجة .. وبعد فرض الحماية على المغرب (١٩١٢ م) ، وتقسيمه إلى ثلاث مناطق ، اعتبرت طنجة منطقة دولية خاصة ، ولم تحدد أوضاعها قانونياً إلا في أواخر سنة ١٩٢٣ م .

وظلت طنجة في إطار هذا الوضع الشاذ ، مسرحاً للمضاربات ، المالية ، والتهريب ، ومقصداً لشذاذ الآفاق ، وهواة المغامرات .. حتى كانت سنة ١٩٤٧ م حيث يزور جلالة المغفور له **الملك الراحل محمد الخامس** مدينة طنجة ، ويلقي بها رفقة **ولي عهده الأمير مولاي الحسن آنذاك ، جلالة ملك المغرب المفدى حالياً** ، خطابه التاريخي ، الذي أعلن فيه عن حق الشعب المغربي في الحرية والاستقلال ، وعن سيادة البلاد ووحدتها . وكان هذا الخطاب صرخة مدوية أثارت الرعب في الأوساط الاستعمارية آنذاك . واعتبرت زيارة محمد الخامس يومئذ لطنجة حدثاً تاريخياً ، ذا أهمية قصوى ، ذلك أن هذه الزيارة لم تتم إلا بعد مفاوضات سياسية ، واتصالات دبلوماسية معقدة ، فلم يكن مسموحاً لولي عهده ، ولا لحكومته ، ورعاياه بالدخول إلى طنجة ، والحصول على جواز السفر الخاص بها ، بل « حتى الملك نفسه من عهد السلطان مولاي يوسف إلى عهده هو ، لما كان يمر بطنجة في طريق سفره بحراً إلى الخارج ، فإنه لم يكن يسوغ له أن ينزل إليها ، بحجة أنها منطقة دولية »(٥) .

وفي أواخر سنة ١٩٥٦ م أصدر مؤتمر ممثلي البلدان الأوروبية الثمانية الموقعة على معاهدة الجزيرة الخضراء ، أصدر بياناً يتعلق بإلغاء النظام الدولي لمنطقة طنجة ، وسريان مفعول القوانين المغربية فيها .. فعادت طنجة لتلتحق بالوطن الأم ، بعد ثلاث وثلاثين سنة من الفرقة ، والوصاية الدولية ، والعيش على الوهم والزيف الحضاري ، وخرج منها المستعمر مدحوراً ، محبطاً .



★ قصر السلطان بالقصبة الذي تحول في العشرينات من هذا القرن إلى متحف ★



★ مسجد محمد الخامس : من أروع وأكبر مساجد المملكة المغربية ★



★ مسرح سرفانتس أعرق المسارح على الصعيد الوطني ★

الواقع الجغرافي

تقع مدينة طنجة في أقصى المنطقة الشمالية الغربية من المغرب ، تنفتح على البحرين : **المحيط الأطلسي** الذي يصلها غربا بالقارة الأمريكية ، وعلى **البحر الأبيض المتوسط** الذي يربطها شمالاً ، وفي أقصر مدة بأوروبا الغربية .

إن هذا الموقع المتميز ، الذي يجعلها آخر نقطة في شمال إفريقيا على أسبانيا ، كآخر نقطة في جنوب أوربا . هذا الموقع هو الذي جعل منها أهم منطقة على الخريطة المغربية .

تبلغ مساحة إقليم طنجة ، ٢٥٨,٥ كلم٢ بكثافة حوالي ٤٣٠ نسمة في الكيلو متر مربع . تمثل المدينة والمراكز الحضرية ما يناهز ٧١٪ من السكان ، الذين يبلغ عددهم في مدينة طنجة وحدها ، حسب إسقاطات مديرية الإحصاء . في سنة ١٩٨٦م حوالي (٢٩٩٠٠٠ نسمة) .

وإذا كان عدد الأجانب المقيمين بطنجة قد تقلص في السنين الأخيرة ، بعد هجرتهم إلى أوروبا ، فإن البدو المحيطين بالإقليم يهجرون جبالهم وقراهم ، قاصدين المدينة ، بحثاً عن العيش الرغيد ، أو عن مورد الرزق .. **ويقوم اقتصاد طنجة على عمودين بارزين : السياحة والصناعة .**

• **السياحة** : كانت طنجة ومازتال مطمح السياح ، ومنتجع الأدباء والفنانين والمفكرين ، من مختلف أطراف المعمورة ، وذلك نظراً لشهرتها التاريخية الحضارية ، ولمناظرها المتنوعة الرائعة ، التي يتصافح فيها السهل مع البحر ، ويتعانق فيها الجبل مع التل ، ونظراً لطقسها المعتدل الرطب ، الذي يجمع بين محاسن مناخ البحرين : الأطلسي والمتوسطي .

وقد خصصت لزوار المدينة الذين يتقاطرون عليها بكثرة خلال موسم الصيف ، حيث الشمس الدافئة ، والشواطيء ذات الرمال الذهبية المنعشة ، عدة فنادق ، ومصطافات سياحية ، من أجل إيوائهم ، واستقبالهم في أحسن الظروف .

وتحتضن طنجة **معهداً عالياً للسياحة** ، يعد وحيداً من نوعه في إفريقيا ، وفي العالم العربي ، ويعمل هذا المعهد على تكوين أطر سياحية هامة (مرشدين سياحيين ، وكلاء أسفار ، مسيرين فندقيين .. ونظراً لأهمية الدور الذي يضطلع به هذا المعهد في تنظيم القطاع السياحي ، وفق أسس علمية مضبوطة ، فقد تقرر مؤخراً أن يطلق عليه في السنة الدراسية المقبلة اسماً جديداً ، وهو « **المعهد العالي الدولي للسياحة** » .

• **الصناعة** : يلعب النشاط الصناعي دوراً أساسياً في التنمية الاقتصادية ، وينشط سوق العمل في الإقليم . وتعود أهمية هذا القطاع إلى التشجيعات الممنوحة للمستثمرين .. وفي هذا الإطار تم خلق



★ مسجد ومكتبة طارق بن زياد شيدا على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ★





★ مدرسة الملك فهد للترجمة أعلى مؤسسة تعليمية في طنجة ★

منطقة صناعية بطريق **تطوان** ، لحصر الصناعات في مكان واحد ، وهناك مشروع قيد الدرس لإحداث منطقة صناعية ثانية بالمدينة ، لإنعاش الاستثمارات ، وسد حاجيات الأيدي العاملة .

وتوجد بميناء طنجة **منطقة حرة** منذ سنة ١٩٦٢ م . تمارس نشاطها الصناعي والإنتاجي ، وتعقد صفقاتها التجارية والمالية بحرية ، مع الإعفاء من الضريبة .

ويتوفر إقليم طنجة على حوالي ٥٦٢ وحدة صناعية ، من مختلف الأصناف . وتحتل **صناعة النسيج والملابس** المركز الأول في القطاع الصناعي . وتمثل نسبة ٣١,٥٪ من مجموع الوحدات الصناعية ، حيث تضم هذه الصناعة وحدها ١٧٧ وحدة إنتاجية وتستوعب ٤٠٪ من العمال الموجودين في القطاع ، والذين يقدر عددهم بالآلاف .

وتأتي صناعة **المواد الغذائية** في المرتبة الثانية ، حيث تمثل نسبة ٢٣,٧٪ من مجموع الصناعات الأخرى . وتأتي أهمية هذه الصناعة في كونها تغطي حاجيات النمو الديموغرافي ، وتلبي الطلبات المتزايدة للمواد الغذائية داخليا وخارجياً .

الثقافة في طنجة

تحتضن طنجة عدة مرافق ثقافية ، متنوعة المظاهر والتوجهات . وتعد **دار الثقافة** التي افتتحت في يناير ١٩٨٦ م أبرز مؤسسة تابعة



★ صالون فندق المنزه منتجع الديبلوماسيين وكبار الشخصيات ★



★ الطبخ المغربي الأصيل ، يُقدم للنزلاء في الفنادق ★



★ صالون عربي ذو طراز معماري أندلسي بديع في أحد فنادق طنجة الرائعة ★

لوزارة الشؤون الثقافية ، تسعى لتأصيل ثقافة عربية أصيلة ، وغرس تقاليد علمية متطورة .. وتضم هذه الدار معهداً للموسيقى ، ومتحفاً للآثار ، ومفتشية للمباني التاريخية ، ومكتبات عامة .

وإلى جانب هذه المؤسسة الرسمية ، هناك بعض الجمعيات الثقافية المستقلة ، **كجمعية رسالة الطالب** ، التي تأسست في يناير ١٩٦١ م في كنف المدرسة الرائدة ، التي أنشأها العلامة ابن طنجة الشهير **عبد الله كنون** ، لتعلم اللغة العربية أثناء الحكم الدولي على المدينة . واستمرت الجمعية أزيد من ربع قرن تؤدي دورها التثقيفي ، عبر مهرجانات ثقافية وفنية ، ومعارض للكتب واللوحات التشكيلية ، وحلقات دراسية ، ومحاضرات في مختلف ألوان المعرفة ..

وفي سنة ١٩٧٥ م تأسست جمعية أخرى كان لها وزنها ومايزال ، وهي **الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط** . التي لها فروع داخل المغرب وخارجه . وتكمن أهمية هذه الجمعية في كونها تحظى بالرئاسة الشرفية لولي العهد الأمير سيدي محمد لها .. وتعنى الجمعية بالثقافة ، والفن ، والتاريخ خصوصاً ، وتقيم مهرجانات ثقافية ، ذات صبغة دولية ، وتهتم بالعمال المهاجرين خارج الوطن ، وتخوض منذ خمس سنوات تجربة ناجحة ، لمحو الأمية في مختلف الأعمار .. ومن أجل هذا كله ، حظيت الجمعية بتنويه من **منظمة اليونيسكو** .

وفي المجال الفني ، يعد **مسرح سرفانتس** ـ



★ معمل صوناب : من أكبر معامل تصدير ملابس الخياطة إلى أوربا ★

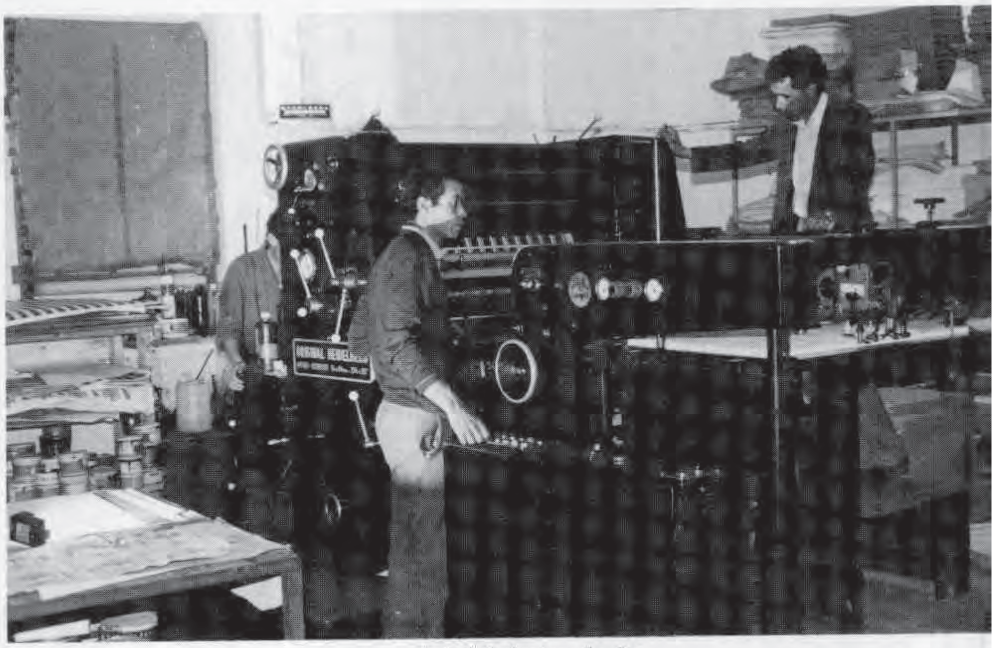


★ جانب من الدكاكين التي يتهافت عليها السياح ★

الذي يترقب اليوم عودة الحياة إلى رحابه ـ معلماً ثقافياً بارزاً ، شيد في عهد الحماية سنة ١٩١٣ م على نسق **دار الأوبرا في باريس** « وكان وجوده يعتبر حدثاً رائعاً في تلك الفترة .. بالنسبة إلى نهضة المسرح العربي » . « ومتنفساً للحركة الوطنية في عهد الحجر والحماية ، وملتقى لرجالات الحركة المسرحية والفكرية في بدية عهد الاستقلال والوحدة »[٦] .

وتبقى حالياً مدرسة الملك فهد بن عبد العزيز التي شيدت على نفقته الخاصة والتابعة لجامعة محمد الخامس أعلى مؤسسة تعليمية في إقليم طنجة والوحيدة من نوعها في المغرب التي تكوِّن مترجمين تحريريين وفوريين وفق أحدث الطرق التربوية التي تستعمل في هذا الميدان .

وفي عالم الصحافة تصدر في طنجة عدة صحف ومجلات ، بعضها توقف عن الصدور ، والأخرى مازالت تواصل مسيرتها كمجلة « **دار النيابة** » المهتمة بتاريخ المغرب . ومجلة « **الإحياء** » الإسلامية الجامعة ، التي تصدرها مع صحيفة « **الميثاق** » الإصلاحية ، **رابطة علماء المغرب** ، وصحيفة « **صوت السنة** » ذات التوجه الفكري الإسلامي ، وصحيفة « **جريدة طنجة** » الإخبارية الثقافية ، التي تصدر بالفرنسية والتي تعتبر أقدم هذه الصحف جميعاً ، إذ يعود تاريخ صدورها إلى سنة ١٩٠٤ م[٧] .



★ جانب من مطبعة طنجة ★



★ هاجر من المدينة المنورة ليتاجر في أكثر من ١٥٠ نوعاً من العطور ذات الشهرة العالمية ★

المعالم الأثرية

طنجة غنية بالمآثر التي تحكي عن تاريخها الحافل بالأمجاد، والزاخر بالتحديات، وأهم هذه الآثار.

●● قصر السلطان، المعروف بدار المخزن، والذي يشكل الجناح الشرقي من القصبة، شيد في عهد السلطان مولاي إسماعيل (ت ١٧٢٧ م) وأصبح متحفاً للآثار ابتداء من سنة ١٩٢٣ م.

●● قصر السلطان مولاي عبد العزيز (ت ١٩٤٣ م) بالجبل الكبير، والذي تمتلك جناحاً منه نجلة السلطان الراحل **الأميرة للا فاطمة الزهراء**.

●● قصر السلطان مولاي عبد الحفيظ (ت ١٩٣٧ م)، **الأول بحسنونة** ويحتوي على مدرسة ومستشفى إيطالياً، ينتظر تسليمه للحكومة المغربية. والثاني بالجبل الكبير، في ملكية ذرية ابن عرفة.

●● قصر التازي، المندوب الدائم المقيم في طنجة، المكلف بمفاوضة السفراء، أثناء الحكم الدولي على المدينة.

●● قصر الكشلاوي، **باشا مراكش** في عهد الحماية.

●● منارة سبارتيل الشهيرة، الواقعة عند أقصى الطرف الغربي لإفريقيا، وهي تعد **من أقدم منارات العالم**.

●● مغارات هرقل. الملك الذي يعتقد الغربيون أنه فتح البوغاز، تقع على بعد ١٨ كلم من طنجة، كانت مأهولة قبل أن تنفصل أوروبا عن إفريقيا، حسب الأسطورة الإغريقية.

●● المدافع السبعة والعشرون الرابضة بدار المندوبية. والتي **يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر الميلادي**، وفيها البرتغالي، والأسباني، والإنجليزي، والفرنسي(٨).

إن هذه المآثر وغيرها شاهدة على دور طنجة التاريخي والحضاري، وعلى أهميتها في تاريخ المغرب، وجغرافيته، فهي ـ على حد تعبير الملك الراحل المغفور له محمد الخامس في خطاب له بطنجة ١٩٤٧ م ـ تعد « من المغرب بمنزلة التاج من المفرق، فهي باب تجارته، ومحور سياسته، وعنوان محاسنه الوهاجة »

ويردد أهل طنجة باعتزاز بأن انطلاقة استقلال المغرب بدأت من مدينتهم، التي اختارها المغفور له محمد الخامس، دون غيرها من المدن المغربية، ليعلن فيها المطالبة بالاستقلال والحرية.

الهوامش

(١) طنجة من خلال المصادر التاريخية الإسلامية/عبد العزيز التمسماني خلوق ـ مجلة دار النيابة ـ ص ٤ ـ ع ١٠ ـ ربيع ١٩٨٦ م.

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب/ابن عذارى المراكشي ج ١ ـ ص ٢٦ ـ ط ٢ (١٩٨٠ م) دار الثقافة ـ بيروت.

(٣) المغرب عبر التاريخ/إبراهيم حركات ـ ج ١ ـ ص ٢٩ ـ ط ٢ (١٩٨٤ م) دار الرشاد الحديثة ـ الدار البيضاء.

(٤) المعجم التاريخي/عبد العزيز بنعبد الله ـ ص ٤٥ ـ نشر: مكتبة السلام ـ البيضاء، ومكتبة المعارف ـ الرباط.

(٥) رحلة محمد الخامس التاريخية إلى طنجة/عبد الله كنون ـ مجلة دار النيابة ـ ص ٥٠ ...

(٦) نشأة المسرح والرياضة في المغرب/عبد القادر السميحي ـ ص ٧ و ٤١ ـ مكتبة المعارف ـ الرباط ١٩٨٦ م.

(٧) النشرة الإحصائية السنوية لسنة ١٩٨٥ م ـ إعداد: المندوبية الجهوية للمنطقة الشمالية الغربية، التابعة لوزارة التخطيط ـ طنجة.

(٨) "Tanger site pour investir" Informations générales - chambre de Commerce et d'industrie - Tanger 1987.



★ متحف تدمر ، الخيمة البدوية ، القاعة السادسة ، الطابق الأول ★

متحف تدمر في سورية

إعداد : فيصل محمد شقير

إن الأساس الجغرافي لتدمر هو نبع ماء عند معبر جبلي اضطراري في مكان القلب من بادية الشام . وهذا النبع جعل ما حوله واحة خضراء أصبحت مكان استراحة بين العراق والشام ومحطة للقوافل بين الخليج العربي وبلاد فارس والبحر الأبيض المتوسط . وفي وسط هذه الواحة يقع متحف تدمر الوطني .

ويقوم بناء المتحف في أول مدينة تدمر في ساحة الملكة زنوبيا ، مقابل دار البلدية ـ ولقد تم افتتاحه رسميا في ٦ آب عام ١٩٦١م ويضم مجموعة من المكتشفات التي عثر عليها في المدينة .

يشاهد في المدخل الخارجي أسد تدمر المكتشف في معبد اللات عام ١٩٧٧م ، وكان الأسد رمزاً للقوة ويبدو على يده اليسرى كتابة تدمرية تعني غالبا حق اللجوء إلى المعبد في سلام ، كما هو الحال في ذلك الوعل الذي يبدو مطمئناً بين أنياب الأسد . وهذا الأسد من منحوتات القرن الأول ق . م ويجسد التقاليد العربية في نحته وما يرمز إليه .

بهو المتحف

يشاهد في البهو الداخلي كهف مصنوع عام ١٩٦٤م يمثل الحياة في الكهف في عصور ما قبل التاريخ . الكهف الأصلي يقع على بعد ٢٢ كم غربي تدمر ، ولقد كشفت البعثات الأثرية في عدد من الكهوف بقايا عضوية وأدوات صوانية للإنسان من العصر الحجري القديم الأوسط ، وفي الكهف نموذج الإنسان الذي لجأ إلى الكهوف ثم بدأ تدريجيا يقترب من مصادر المياه ، وقد جذبه نبع أفقا وبعض الينابيع الجارية بصورة طبيعية ، وبدأ يقيم حولها مساكنه



★ المفروشات لبيت ريفي ★



★ الصناعات التقليدية في تدمر ، صناعة البسط ، ★

البدائية ويشاهد كذلك الأدوات الصوانية المكتشفة وقد عرضت في خزائن عند الجدار الشرقي للبهو بينها الفأس التي استخدمت لأول مرة في الشرق .

الطابق الأرضي

ويتألف الطابق الأرضي من ست قاعات ورواق :

●● القاعة الأولى : يشاهد فيها مجموعة من الكتابات الدينية والتذكارية وعلى الجدار الشرقي لوحة تحوي موجزاً عن اللغة والكتابة التدمرية وأبجديتها وأرقامها ، واللغة التدمرية المكتوبة لهجة آرامية غربية . استعملت لغة دولية من الهند حتى مصر ما بين القرنين السادس ق . م والسابع بعد الميلاد وتتألف من ٢٢ حرفاً تكتب وتقرأ من اليمين إلى اليسار .

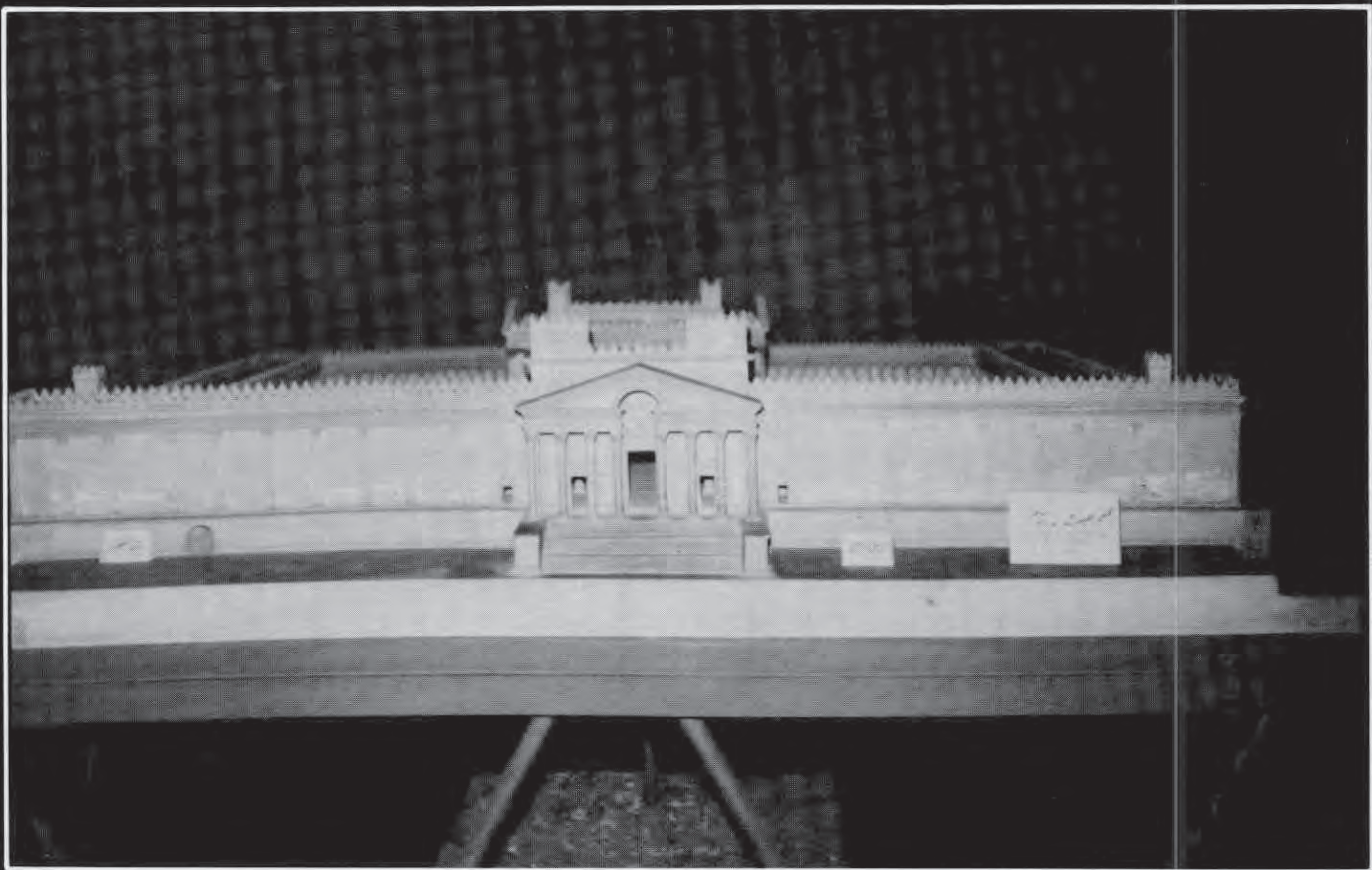
ونجد للنصوص ترجمة **باليونانية** أو **اللاتينية** ساعدت على حل رمز الأبجدية التدمرية في القرن الثامن عشر . وإلى جوار اللوحة قاعدة تأسيس معبد بل المؤرخة في عام ٣٢م . وفي وسط القاعة مجموعة من المذابح النذرية المكتشفة بين عام ١٩٤٧ ـ ١٩٧٨م في مدخل **نبع أفقا** في أعلاها جرن للبخور والمياه أو من دم الأضاحي .

وعلى الجدار الغربي أقدم كتابة معروفة باللغة التدمرية يحيط بها إطار مضفور ومؤرخة عام ٤٤ ق . م . وأمام الجدار الجنوبي حاملة تمثال عليها كتابة يونانية وقد قدمته نقابة الدباغين وصانعي القرب في تدمر إلى « حيران ابن الملك أذينة عام ٢٥٨م » .

●● القاعة الثانية : يُشاهد في وسطها مجسم لمعبد بل كما كان قبل تهديمه من عمل الفنان **وفا الدجاني** . وعلى الجدار الشرقي قوس لربة الظفر المجنحة حسب اعتقاداتهم تحمل اكليلاً من الغار وسعف النخيل . وعلى الجدار الشرقي لوحة لكاهن يولد من صدفة وهو جزء من سقف اكتشف في حفريات الحمامات عام ١٩٦٩م وإلى جواره لوحة ذات اطار من الزخارف الدقيقة بينها تمثال ملكيل ومحراب صغير ، وفي أسفلها عدة نسور توحي بأنها تحملها ، وفي الأعلى نسر يفرد جناحيه . وعلى الجدار الغربي أفاريز من الزخارف النباتية والهندسية تعود إلى معبد بل القديم « القرن الأول ق . م . » .

●● القاعة الثالثة : عرضت فيها مجموعة من النحت المدني الذي كانت تماثيله تزين شوارع المدينة ومعابدها وميدانها وأعمدتها التذكارية تخليداً لشيوخ تدمر وفرسانها ورؤساء قوافلها وهجانتها وكبار المبرزين فيها من موظفين وعسكريين وكهنة وتجار .

وتبدو التماثيل بالحجم الطبيعي ، يرتدي أشخاصها الملابس المحلية وهذه التماثيل رمز لمآثر طيبة خلدها التدمريون لشخص أفاد المدينة ، أو دافع عنها ، وساهم في ازدهارها الاقتصادي والسياسي والعمراني وعلى الجدار الغربي لوحة منحوتة عليها سفينة وربانها كانت تنقل التجارة ما بين ميناء تدمر في



★ مجسما لمعبد بل كما كان قبل تهديمه ★

ميسان على الخليج العربي وموانئها على الفرات . وعلى الجدار الجنوبي نشاهد ضابطاً وبعض الجنود الذين يحفظون الأمن على الطرق التجارية مع أبلهم وخيلهم وأسلحتهم . ويشاهد في الخزانة رقم (١) مجموعة من الأواني الفخارية وجدت في معبد بعلشمين عام ١٩٥٥م .

•• **الرواق العربي** : تشاهد لوحات منحوتة لبعض الأرباب التدمريين مجتمعين ومنفردين . وهي تقود العربات الحربية ، وتلبس الدروع ، وتشرع الرماح ، وتركب الجمال والخيول ، وتشهر السيوف ، وترمى السهام وتقف في صفوف أو تسير في مواكب وعلى يمين الرواق يشاهد مذبح يمثل «اللات» (رمز الحرب والسلام) ويرمز لهما بالأسد والسنبلة أو سعف النخيل . وعلى الوجه الأمامي يشاهد ملكبل رمز الفصول والمواسم يمتطي عربة يجرها حصانان مجنحان ، وعلى الوجه الثالث للمذبح يشاهد : رمز شيخ القوم المسؤول عن القافلة وحاميها عند العرب وهو يمسك رمحاً وسيفا . وهنالك لوحة تمثل مجمع الرموز التدمرية . وعلى الجدار الغربي سقيفة باب عليها نسر يفرد جناحيه وعلى جانبيه نسران يحملان أغصان زيتون رمز للخصب والسلام . وعلى الجدار الشمالي لوحتان من الفسيفساء تمثل الأولى مشهداً من **حروب طروادة** وقصة **آخيل** واختفائه ثم موته بسهم في كعبه . أما اللوحة الثانية فتمثل مشهداً أسطورياً لرمز الصيد .. وبين اللوحتين « نبو غالبا » يرتدي الملابس المحلية من القرن الأول الميلادي . وفي نهاية الرواق نجد لوحة عليها خمسة رموز تدمرية . وإلى جوارها رأس ذو الثرى رمز شمال جزيرة العرب والأنباط . وفي وسط الرواق توجد خمس خزائن .

(١) خزانة تضم مجموعة من التماثيل الإنسانية والحيوانية والأزهار الجصية .

(٢) خزانة تضم مجموعة أواني زجاجية وجدت في المقابر التدمرية .

(٣) خزانة تضم مجموعة من بطاقات الولائم الدينية .

(٤) خزانة تحوي مجموعة من السرج والمباخر الفخارية وتستعمل للإنارة .

(٥) خزانة يشاهد فيها « باخوس » عند اليونان وكذلك يشاهد في انحاء أخرى من البهو بعض الخزائن التي تضم مجموعة من المصنوعات البرونزية ، والنقود الفضية والبرونزية والنحاسية ، ومجموعة من الدنانير والحلي الذهبية ، والخزف التدمري والخزف العربي الإسلامي .

وفي نهاية الرواق الشرقية يشاهد التمثال المرمري اللات ـ أثينا وقد عثرت عليه البعثة البولونية عام ١٩٧٥م في معبد اللات وهو نسخة رومانية طبق الأصل عن رائعة فيدياس [أثينا بارتنوس] التي صنعها وقدمها لمعبد البارثنون في القرن الخامس ق . م .

وعلى الجدار الشمالي لوحة فسيفساء تمثل اسكولاب رمز الطب . بينما نجد على الجدار الجنوبي لوحة تمثل الملكة الأسطورية **كاسيوبه** .



★ طيور البادية وحيواناتها ★

●● القاعة الرابعة : وتضم مجموعة من السرر الجنازية والتماثيل والشواهد التي عثر عليها في المدافن التدمرية . وكذلك تحوي على جدرانها لوحات تمثل : ـ سرير أسرة مالك وعائلته من القرن الثاني الميلادي .

ـ أسرة عشتور بن مالك وزبيد بن بكري من القرن الثاني الميلادي .

ـ شواهد للقبور الفردية عليها صور المتوفين أو شعار الموت .

●● القاعة الخامسة : وبها السرير الجنازي وتماثيل أسرتي **بولبرك وساسان** التدمرية وإلى جوار السرير تمثال رمز النصر المجنح يحمل قرن الخصب وإكليلا من الغار . وفي وسط القاعة جسدان من المومياء المحنطة عثر على مجموعة منها في وادي القبور ونقلت الأكفان الحريرية المطرزة إلى **متحف اللوفر في باريس** .

●● القاعة السادسة : ويشاهد فيها السرير والتماثيل المكتشفة في مدفن سلام اللات بن مالك ١٤٦م المكتشف في وادي القبور عام ١٩٥٧م

الطابق الأول

ويشمل بهواً واسعاً يشاهد فيه لوحة عليها مخطط واحة تدمر والطرق الموصلة إليها قديماً وحديثاً ، وفي الرواق يشاهد قاعة لطيور البادية ، ونماذج من صخورها وخاماتها وأهمها الفوسفات وخرائط طبوغرافية ملونة .

وعلى الجدار الجنوبي خزائن للحلي ولوحات مكتوبة عن العشائر السورية وأقسامها ونماذج من اللباس والصناعات . وفي القسم الغربي من الطابق توجد **المكتبة** والاستراحة . ويشمل الطابق الأول ست قاعات احتوت على :

(١) مجموعة من الزخارف الجصية من قصري الحر الغربي والشرقي اللذين بناهما الخليفة **هشام ابن عبد الملك** في بادية تدمر في القرن الثاني الهجري .

(٢) نماذج من الصناعات التقليدية في تدمر [بسط ـ أحذية ـ أطباق] .

(٣) نموذجاً لبيت تدمري ريفي يتألف من باحة سماوية وغرف مخصصة للنساء، وأخرى للضيوف، والمؤونة والمطبخ ، بالإضافة إلى المفروشات التي كانت تستعمل منذ القديم حتى عهد قريب .

(٤) الفلاح وعينات من مزروعاته وأدواته .

(٥) الهودج وأنواع الإبل وأثاث البدوي .

(٦) الخيمة البدوية وأقسامها وأثاثها وخزانتان تحويان ألبسة الرجال وألبسة النساء البدويات والنول اليدوي المنقول .

المراجـــع

(١) زيارتان للمتحف يوم ١٩٨٦/٣/٩م ويوم ١٩٨٦/٤/١٦م

(٢) كتاب تدمر : أثريا وتاريخيا وسياحيا ، تأليف د . عدنان البني وخالد الأسعد ، دمشق ١٩٧٩م .



● ((Arab Musicians)) موسيقيون عرب ●

الشرق .. في عيون الغرب

● فيليب باقي ● المدرسة الفرنسية ● رسم بالزيت ● ١٨٨٢م ●

من ديوان الشعر السعودي

وحي الكرنك

شعر: الأمير عبدالله الفيصل

هَلْ تَذَكَّرْتِ ٱلَّذِي كَانَ لَنَا بِالضِّفَّتَيْنْ
يَوْمَ كُنَّا وَٱلْهَوَى يَجْتَاحُنَا كَالزَّهْرَتَيْنْ
إِذْ بَعَثْنَا مِنْ هَوَانَا وَجَوَانَا زَفْرَتَيْنْ
وَسَكَبْنَا فَوْقَ سَطْحِ ٱلنَّهْرِ مِنَّا دَمْعَتَيْنْ
لَحْظَةٌ مَرَّتْ بِنَا يَاحُبُّ مِنْ قَبْلِ ٱلغُرُوبْ
إِذْ تَوَلَّى ٱلشَّمْسَ قَبْلَ ٱللَّيْلِ أَعْرَاضُ ٱلشُّحُوبْ
وَرَأَيْنَا ٱللَّيْلَ فِي أَعْطَافِهِ ٱلنُّورُ يَذُوبْ
فَصَمَتْنَا وَتَنَاجَتْ بِالْهَوَى خُرْسُ ٱلْقُلُوبْ
هَلْ تَذَكَّرْتِ ٱلَّذِي كَانَ لَنَا فِي ٱلْكَرْنَكِ
حِينَ أَشْهَدْنَا عَلَى الْحُبِّ نُجُومَ الْفَلَكِ
فَكَأَنِّي لَمْ أُمَتَّعْ بِشَذًى مِنْ حُسْنِكِ
وَكَأَنِّي لَمْ أَلِجْ يَوْماً مَغَانِي عَدْنِكِ
كُنْتُ أَبْكِي يَاحَبِيبِي عِنْدَ لَأْلَاءِ ٱلتَّلَاقِي
يَوْمَ كُنَّا نَقْطَعُ ٱلْحُلْمَ بِنَجْوَى وَاشْتِيَاقِ
خَائِفًا مُسْتَبِقًا فِي ٱلْوَصْلِ أَيَّامَ ٱلْفِرَاقِ
غَابَ هَلْ غَابَ وَوُدِّي لَكِ بَاقِ ؟

عن ديوانه « وحي الحرمان »

وللحديث شجون



بقلم عبد العزيز الرفاعي

عالم الأندلس .. شاعراً

خصص المقري (ت ١٠٤١ هـ) في كتابه الكبير (نفح الطيب) الباب الخامس من كتابه الموسوعي هذا ، للتعريف ببعض أعلام الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق ، فاستهل كلامه بعالم الأندلس الشهير عبد الملك بن حبيب ... فذكر طرفاً من أخباره ، وأشار إلى بعض مصادره .

ومن عجيب ما ذكره عنه ، أن تواليفه بلغت ألفاً .. ! ونقل ما قاله (محمد بن لبابة) : « فقيه الأندلس : عيسى ابن دينار ، وعالمها : عبد الملك بن حبيب ، وراويها يحيى بن يحيى » ، وأورد له بعض القطع الشعرية ..

واستلفت نظري فيما ذكره المقري ، ما روى له من شعر .. بل لقد قال عنه روايةً عن (المطمح) أنه ؛ (كان له شعر يتكلم به متبحراً) .

إذن فقد كان هذا العالم الجليل شاعراً أيضا ..

فماذا عن شعره ؟

ورأيت أن أرجع إلى (الأعلام) لأرى ما ذكره عنه الزركلي ، لعلي أقف على مزيد من أخبار هذا الشاعر وشعره .. أما هو عالماً فقد استفاضت في ذلك أخباره ..

عرف الزركلي (ابن حبيب) فقال : « عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الألبيري القرطبي ، أبو مروان ، عالم الأندلس وفقيهها في عصره ، أصله من طليطلة ، من بني سليم ، أو من مواليهم ، ولد في البيرة ، وسكن قرطبة ، وزار مصر ، ثم عاد إلى الأندلس فتوفى بقرطبة . كان عالماً بالتاريخ والأدب ، رأساً في فقه المالكية ، له تصانيف كثيرة قيل تزيد على ألف .. » ثم سرد بعضها وأشار إلى بعض ما طبع ، وإلى أماكن بعض مؤلفاته التي مازالت مخطوطة ..

قال إنه ولد سنة ١٧٤ هـ = ٧٩٠ م وتوفى ٢٣٨ هـ = ٨٥٣ م ، واختتم تعريفه بقوله : « كان ابن لبابة يقول : عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس ، ويحيى بن يحيى عاقلها ، وعيسى بن دينار فقيهها » .. ثم أورد مصادره وهي كثيرة ..

ولكن الزركلي لم يشر من قريب أو من بعيد ، أنه كان شاعراً . ولكنه ذكر في الهامش ، الاختلاف في تاريخ وفاته ، فقال نقلاً عن (جذوة المقتبس) إنه مات يوم السبت ١٢ ذي الحجة ٢٣٩ وفي موضع آخر منه (أي من الجذوة) سنة ٨ أو ٢٣٩ على اختلاف فيه .

أقول : وهنا أيضاً فاته أن يورد ما ذكره المقري ، مع إنه من مراجعه ؛ من أن وفاته في رمضان سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .. وذلك نقلا عن (المطمح) وهذا يعني أن مولد ابن حبيب لم يكن سنة ١٧٤ هـ كما اعتمدها الزركلي بل هي سنة ١٨٥ هـ ، أي أن الفرق عشر سنوات ! وهذا مما يستدرك على الزركلي ، على دقته وسعة اطلاعه .. وأود أن أتريث قليلاً عند ما رواه (النفح) من شعره :

قال : يخاطب سلطان الأندلس :

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا ... واذكره ، لازلت في التاريخ مذكورا
قال النبي ، صلاة الله تشمله ... قولاً وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع في إنفاق موسمه ... أن لا يزال بذاك العام ميسورا

أقول : هذه القطعة عليها سمة نظم الفقهاء .. وهي القطعة الأولى ، وفيها التذكير بمناسبة (عاشوراء) والتوسعة فيها بالنفقة .. أما القطعة الثانية فهي قوله :

قد طاح أمري والذي أبتغي ... هينٌ على الرحمن في قدرته
ألف من الحمر ، وأقلل بها ... لعالم أربى على بغيته
زرياب قد أعطِها جملة ... وحرفتي أشرف من حرفته

ومع أن هذه القطعة ، لم تتحرر أيضا من النظمية ، إلا أنها أقوى في التعبير ، لأنها تنفس عن بعض مشاعر هذا العالم الكبير ، الذي يحس أنه أربى على بغيته ، ووصل إلى درجة متفوقة في العلم والفقه والحديث والأدب والتاريخ .. لكنه يشعر بالغبن ، لأنه لم يحرز تلك الجوائز السنية السخية التي كانت تعطى لغيره من أصحاب الفنون ، فهذا زرياب المغني قد أحرز جائزة مقدارها ألف من الحمر .. بينما حرفة العالم أشرف من حرفة المغني ..

ومهما يكن التعليق على هذه القطعة ، ومهما يختلف الرأي فيما ينبغي أو لا ينبغي بالنسبة لهذا العالم الجليل من الزهد ، أو القناعة ، أو أن يقارن نفسه بالمغنيين أو الموسيقيين ، وأرباب الفن ، الذين يستطيعون الوصول إلى ما لا يصل إليه أرباب الوقار .. وإلا فما عسى أن يقول أمثاله اليوم ، وقد أصبح لأرباب الفن والغناء شأن أي شأن ، ودخلت الكرة منافساً قوياً ، واكتسحت هذه وتلك وسائل الإعلام ، وحازت الجوائز السنية السخية .. ؟!

إنني أعد هذه القطعة من شعر أبي حبيب ، نفثة مصدور لم يستطع أن يكتمها ..

وليس لنا أن نتعجل الحكم على هذا الشاعر ، وهل هو شاعر حقاً أم ناظم لمجرد القطعتين اللتين سلفتا .. فلنتأمل إذن هذه القطعة الثالثة التي أوردها (النفح) .. فلعل الرأي فيها يختلف .. فهي من شعر الأخوانيات ، أي ما يتبادله الأصدقاء من رسائل الود .. فيها من نثر ، وفيها من شعر ، فقد جاءت في رسالة منه إلى (الزجاني) :

كيف يطيق الشعر من أصبحت	حالته اليوم كحال الغرقْ
والشعر لا يسلس إلا على	فراغ قلب ، واتساع الخُلُق
فاقنع بهذا القول من شاعر	يرضي من الحظ بأدنى العنق
فضلك قد بان عليه كما	بان لأهل الأرض ضوء الشفق
أما زمام الود مني لكم	فهو من المحتوم ، فيما سبق !

إننا نرى الشاعر هنا يتحدث حديثاً ذاتياً محضا .. يبثه صديقه ، فيعتذر إليه لأنه لم يعد يُطيق الشعر ، فحاله كحال الغريق ، فعليه أن يرضى بما يتيسر منه .. أو ببعض العنق .. كما عبّر ، فالعُنُق هنا هو أول الشجاء ، وليس السير السريع ، كما جاء في هامش من تعليق محمد محيى الدين عبد الحميد في النسخة التي بين يدي من النفح ..

إن الروح الشاعرية عند هذا العالم الفقيه ، تبدو في هذه القطعة ظاهرة .. وهي إن لم تكن قوية .. فقد اعتذر الشاعر بأن ظروفه لم تعد تسعده بالشعر ، لأن الشعر لا يسلس إلا من فراغ قلب ، واتساع خُلُق .. أما اتساع الخلق ياشيخنا فمقبول .. وأما فراغ قلب .. فالمفروض امتلاؤه بما يشغله .. ولكني - على أية حال - أدرك قصدك .. وهذا البيت تسكنه روح شعرية .. فلا غرو بعده أن وصفت نفسك بالشاعر .. ولعل هناك من يقف على أشعارك فينصفك .. فكم بين الفقهاء من شعراء ، حجبهم الفقه عن الشعر .. ونكتفى الآن بما قاله صاحب (المطمح) : « وكان له شعر يتكلم به متبحراً ، ويُرى ينبوعه بذلك متفجراً ! » .

وتسللت التعابير الفقهية إلى القطعة الرابعة التي بين يدي ، وهي الأخيرة في هذا الباب من (النفح) ..

قال : حكى أنه قال في دخوله المشرق ، وحضر مجلس بعض الأكابر فازدراه من رآه :

لا تنظرن إلى جسمي وقلته	وانظر لصدري وما يحوي من السننِ
فرب ذي منظر من غير معرفة	ورب من تزدريه العين ذو فطن
ورب لؤلؤة في عين مزبلة	لم يُلق بال لها إلا إلى زمن

ويبدو أن حجم العلامة الجليل كان ضئيلاً .. ولكن صدره كنز علم وسنن .. والنص هنا على السنن مهم .. فكأن الشيخ يرد به على ما ذهب إليه صاحب (مطمح الأنفس) ، فيما نقله عنه (المقري) : « ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتله ، ويفرق مستقيمه من مختله ، وكان غرضه الإجازة ، وأكثر رواياته غير مستجازة . قال ابن وضاح : قال إبراهيم بن المنذر : أتى صاحبكم الأندلس - يعني عبد الملك هذا - بغرارة مملوءة : فقال لي : هذا علمك ؟ قلت له : نعم . ما قرأ علي منه حرفاً ، ولا قرأته عليه » ..

لقد أوردت الخبر بنصه ، وأرجح أن فيه تطبيعاً ، أو تحريفاً في أصل النسخ .. ولكن دلالته واضحة .. فصدره يقول ، إن علم الشيخ بالحديث كان ضعيفاً ، بل هو لا علم له به ، وإن غرضه الإجازة ، ولذلك فرواياته غير مستجازة .. هذا ما يقوله صاحب (المطمح) .. وهي تهمة خطيرة لعالم جليل .. يقول عن نفسه . إن صدره ممتلىء سننا وإنه لؤلؤة .. وهذا ليس مجرد زعم ، بل هو ما يشهد له به تاريخه . وهذا صاحب النفح لم يدع هذه التهمة تمر دون أن يعلق عليها ، أو يتصدى لها بل قال :

« قلت : أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث ، فهو غير مسلم ، وقد نقل عنه خبر غير واحد من جهابذة المحدثين ، نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين ، حتى أن في شفا عياض ، أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها ، مع اعترافهم بجلالة حفاظ الأندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد ، وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم .

« وأما ما ذكره عنه بالإجازة بما في الغرارة فذلك على مذهب من يرى الإجازة ، وهو مذهب مستفيض ، واعتراض من اعترض عليه إنما هو بناء على القول بمنع الإجازة . فاعلم ذلك .. والله سبحانه الموفق » اهـ .

لقد أحسن (المقري) الدفاع عن الشيخ ..

أما بعد .. فقد بقيت كلمات على الهامش ..

منها أن صاحب (النفح) استشهد بما قاله (محمد بن لبابة) : « فقيه الأندلس ؛ عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويها يحيى بن يحيى »

فقد أورد بعد ذلك مباشرة ترجمة يحيى بن يحيى .. فأعاد هذه المقولة هكذا : « يحيى عاقل الأندلس ، وعيسى بن دينار فقيهها ، وعبد الملك بن حبيب عالمها » ..

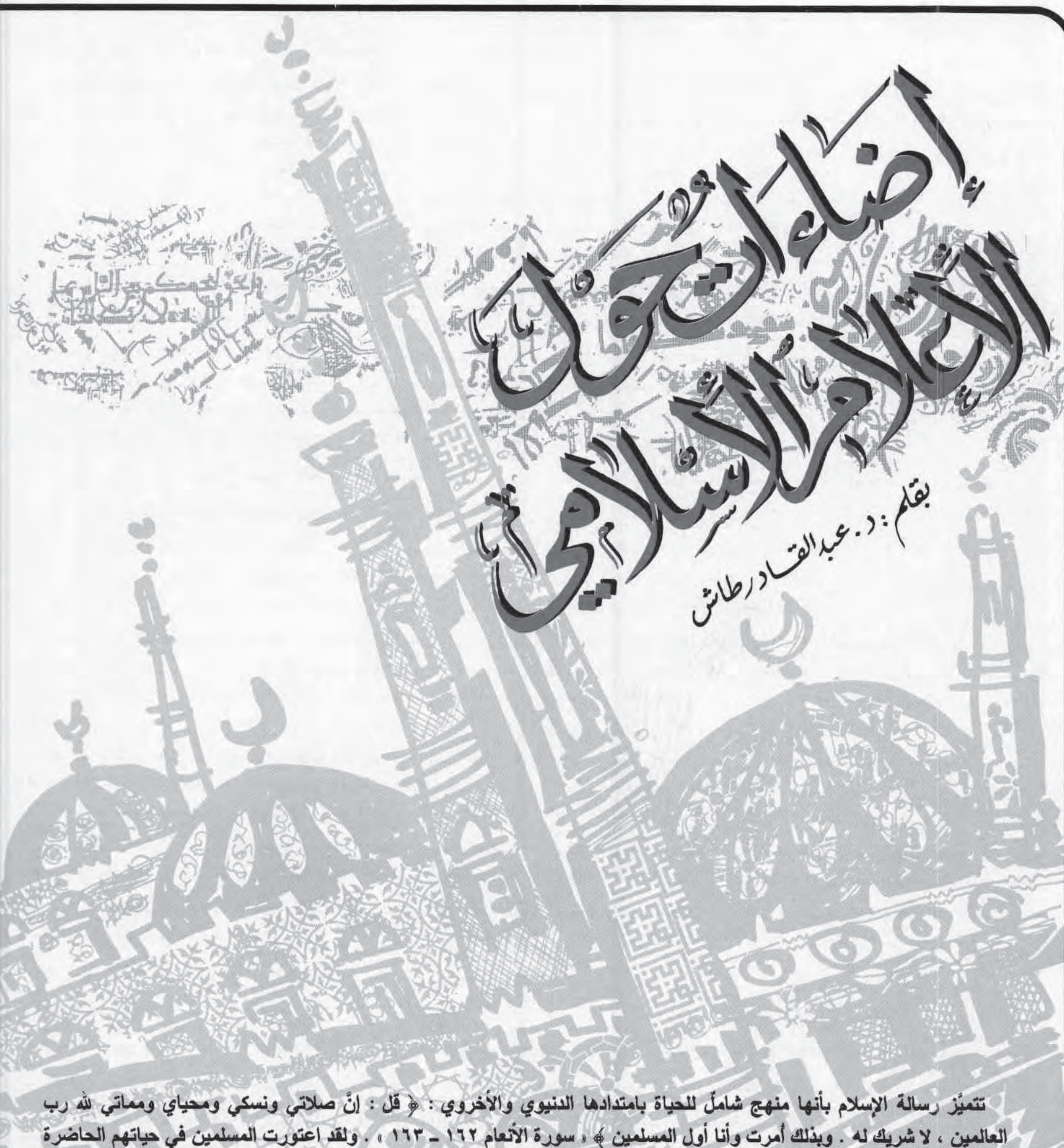
فهل يحيى هذا راويها أم عاقلها ؟ إن لهذه التسمية قصة أوردها في مستهل ترجمته .. فقال : حكى أنه لما ارتحل إلى مالك (يعني ابن أنس) لازمه ، فبينما هو عنده في مجلسه ، مع جماعة من أصحابه إذ قال قائل : حضر الفيل . فخرج أصحاب مالك بجلهم ، ولم يخرج يحيى . فقال له مالك : مالك لم تخرج وليس الفيل في بلادك ؟ فقال : إنما جئت من الأندلس لأنظر إليك ، واتعلم من هديك وعلمك ، ولم أكن لأنظر إلى الفيل ، فأعجب به مالك . وقال : هذا عاقل الأندلس » اهـ .

إذن فلقب (عاقل الأندلس) حصل عليه يحيى بن يحيى من الإمام مالك ، ولا يُفتى ومالك في المدينة .. وهذا لا يمنع أن يكون عاقلها ، وإنها أيضا راويها ..

وهو أبو محمد يحيى بن يحيى بن أبي عيسى ، كثير بن وسلامي الليثي ولد سنة ١٥٢ هـ = ٧٦٩ م وتوفى بقرطبة سنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٩ م ..

أما صاحب المقولة فهو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة ، أو عبد الله ، فقيه مالكي أندلسي توفى بالاسكندرية سنة ٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م له كتاب (المنتخبة) قال عنه الزركلي في (الأعلام) إنه مازال مخطوطاً في خزانة تمكردت بسوس ، قال عنه ابن حزم : ما رأيت لمالكي كتاباً أنبل منه » ..

ترى ألا يزال هذا المخطوط (النبيل) الذي يزكيه ابن حزم مخطوطاً ؟



إضاءات حول الإعلام الإسلامي

بقلم : د. عبد القادر طاش

تتميَّز رسالة الإسلام بأنها منهج شاملٌ للحياة بامتدادها الدنيوي والأخروي : ﴿ قل : إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له . وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ « سورة الأنعام ١٦٢ ـ ١٦٣ » . ولقد اعتورت المسلمين في حياتهم الحاضرة أسبابُ الضعف والتفكك وعوامل الانحراف والتفلّت حتى ذَبُل في نفوسهم وسلوكهم الفردي والاجتماعي ذلك التصور الشمولي للإسلام باعتباره منهجاً للحياة ودستوراً لحركة الإنسان والمجتمع في هذا الكون .

ولعلَّ من نعمة الله علينا ـ نحن المسلمين ـ أن تشهد الساحة الإسلامية في الآونة الأخيرة صحوةً إسلامية مباركة تنطلق من الإحساس بالحاجة إلى تطوير مناهج الإصلاح في حياة المسلمين بما يتوافق مع أصالة المنهج الإسلامي باعتباره صالحاً لكل زمان ومكان أولاً ، وبما يستوعب متغيّرات المرحلة الراهنة التي يعيشها المسلمون ثانياً ، وبما يتواءم مع الاستجابة الواقعية المُبصرة للتحديات التي تواجه التطبيق العملي المتكامل للمنهج الإسلامي في واقع الحياة المعاصرة أخيراً .

وإنَّ من المنطق ـ ونحن نشهد هذه الصحوة المباركة ـ أن نناديَ بتحويل الإحساس بالحاجة إلى شمولية الإصلاح وتكامل التطبيق للمنهج الإسلامي إلى برنامجٍ عملٍ واضحِ المعالم مفصّلِ الجوانب ، يقدّم البدائلَ الإسلامية في مختلف مجالات الحياة .

وتكتسبُ المطالبة بإيجاد البديل الإسلامي في ميدان الإعلام ـ بجانبيه النظري والتطبيقي ـ أهميةً بالغةً لما تتمتع به وسائل الاتصال الجماهيرية اليوم من مكانة خطيرة في توجيه عقليّات الجماهير وتشكيل سلوكياتها في الحياة ، في عالمٍ تحوّل إلى « **قرية كونية** » قصّرت وسائل الاتصال الالكترونية المسافات بين أجزائه ، وربطت شبكةٌ معقّدة من الاتصالات بين دوله وشعوبه بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية كله .

إنَّ وسائل الاتصال الجماهيرية تُعَدّ اليوم الجهازَ المركزي الذي يوجّه الفرد والمجتمع ، ولذلك فإنَّ صياغة منهجٍ للإعلام الإسلامي يعمل على سدّ الفراغ الهائل في منظومات المنهج الإسلامي ليعتبر ضرورة ملحّة حتّى يمكن بلورة أنموذج جديد للإصلاح الإسلامي يقوم على الشمول والتكامل والواقعية .

وهذه الإضاءات المتواضعة محاولةٌ لطرح بعض التساؤلات الحيوية حول الإعلام الإسلامي ومفهومه ودوره ومسؤوليته في وقتٍ نحن في مسيس الحاجة فيه إلى جلاء صورته ، وتحديد معالمه ، والكشف عن كنوزه وذخائره ، والتخطيط من أجل تحويله إلى واقع حيّ يتعانق فيه القولُ مع العمل ، وتتلاحم فيه النظرية بالتطبيق . وتتركز الإضاءات التي أحاول تسليطها حول ثلاثة تساؤلات هي :

- **لماذا نحتاج إلى الإعلام الإسلامي ؟**
- **وما الإعلام الإسلامي الذي نريد ؟**
- **وكيف نصل إلى الإعلام الإسلامي ؟**

لماذا الإعلام الإسلامي

إنَّ المطلب القيمّ لابدّ أن تتوافر له مبرّرات قوية ومقنعة تسوّغ تبنّيه بإخلاص ، وتدفع إلى الدعوة إليه بإلحاح ، وتقوّي العزائم في سبيل تحقّيقه في الواقع بلا توانٍ أو هبوط . وتستند المطالبة بأسلمة الإعلام وصياغته صياغة إسلامية إلى مبررات ثلاثة هي :

١ ـ **المبرّر المنطقيّ** : لقد جاء الإسلام ـ كما ذكرنا سابقاً ـ ليكون منهجاً شاملاً للحياة كلّها بجميع جوانبها ومجالاتها . وقد رسم الإسلام للإنسان معالمَ لنظمه الاجتماعية المختلفة لتتوافق هذه النظم مع الغاية الرئيسية لوجوده ، وهي خلافة الله في الأرض وعمارة الكون وتحقيق عبادة الله وحده .

وارتباط المسلم بإسلامه ليس ارتباطاً عاطفياً روحيّاً فحسب ، بل هو ـ إلى جانب ذلك ـ ارتباط واقعي عملي من خلال تطبيق شرائع الإسلام وهديه وتعاليمه السامية وتوجيهاته الربانية في مجموعة من النظم الإسلامية التي حكمت حياة المسلمين في شؤونهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية والعسكرية .

وعندما ضعف التزام المسلمين بمبادىء دينهم ، وتكالبت عليهم القوى الاستعمارية التي استهدفت خلخلة التصور الشمولي للإسلام وتطبيقه في حياتهم تحوّل ارتباط المسلمين بالإسلام في العصر الحاضر إلى مجرد ارتباط عاطفي محدود ، يكتفي فيه المسلم بإقامة شعائره التعبديّة وتزكية نفسه بالرياضات الروحية والأخلاقية الفردية . وقد نتج عن هذا المفهوم المغلوط لحقيقة الالتزام الإسلامي أن حفلت حياة المسلمين بصور الازدواجية والتناقض بين الارتباط العاطفي بالإسلام في ميدان العبادة والأخلاق الفردية ، وبين الارتباط العملي الواقعي بالمذاهب المناقضة للإسلام في ميدان النظم والتشريعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

إنَّ حياة المسلمين المعاصرة لن تتحقق لها الصفة الإسلامية إلاّ عندما ينسجم ارتباطها العاطفي بالإسلام في الجانب العَقَدي والروحي والفردي مع ارتباطها العملي والواقعي بالإسلام في الجانب التشريعي والتنظيمي . ومن هنا تكتسب الدعوة إلى صياغة المعارف والنظم في حياة المسلمين صياغة إسلامية أهميةً بالغة . بل إنَّ تحقيق هذا الهدف يعتبر التحديَ الحقيقي الذي ينبغي على الأمة الإسلامية أن تواجهه في وقتها الراهن .

ويعتبر الإعلام فرعاً مهماً من فروع المعرفة العلمية والتطبيقية التي تحتاج إلى العناية بتأصيل مفاهيمها ومناهجها وتهذيب أساليب وطرق ممارستها الواقعية وفقاً لهدي الإسلام وتوجيهاته . وتتعاظم أهمية صياغة النظام الإعلامي : فلسفةً وغايةً ومنهجاً وممارسةً ، صياغة إسلامية في ضوء إدراكنا لأهمية الإعلام في حياة المجتمعات ، وخطورة ما يقوم به في التأثير على الأفراد والجماعات سلباً كان هذا التأثير أو إيجاباً .

إنَّ المبرر المنطقي للمطالبة بصياغة الإعلام صياغة إسلامية يؤكد على أن هذه الصياغة نتيجةٌ منطقية لشمول المنهج الإسلامي وتكامله .

٢ ـ **المبرّر الواقعي** : يواجه المسلمون اليوم في مختلف أقطارهم ومواطنهم غزواً فكرياً وثقافياً وحضارياً رهيباً . ولم يَعُد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصوراً على الوسائل التقليدية للغزو من كتبٍ استشراقية ، أو مذاهب هدّامة ، أو مؤامرات استعمارية مكشوفة . لقد انتهى عصر الغزو الاستعماري الاستشراقي المباشر . **إنَّ الغزو الحضاري الذي تواجهه الأمة الإسلامية يستخدم وسائل جديدة وأساليب جديدة . إنَّ الرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة ، بل إلى العقول المثقفة ، عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء ، والتحليل السياسي والاقتصادي الذي تكتبه الصحيفة ، والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة . والرسالةُ الغازية تعبر إلى العقول المثقفة عن طريق الفيلم التلفازي المدهش ، وعن طريق شريط الفيديو ، وعن طريق البرنامج الإذاعي المشوق . والرسالةُ الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة عن طريق فيلم الكرتون المتقَن . والرسالةُ الغازية تعبر إلى العقول المثقفة والأجيال الصاعدة عبر النظريات المدسوسة في مناهج التربية والتعليم ، مغلّفة بدعاوى العلم والتقدم والاكتشافات الحديثة !!**

ولقد اعجبتني كلمة معبّرة لأحد المثقفين يقول فيها : « إنَّ الغزو الثقافي الخَطِر اليوم لم يَعُد يأخذ صورة مبشّر في كنيسة يُقنع « المحليّين الهَمَج » باعتناق « ديانة متحضّرة » وإنْ كانت النشاطات التبشيرية في بعض أنحاء **العالم الثالث** لا تزال مصدر تهديدٍ ثقافي لا يستهان به . والغزو الثقافي الخَطِر اليوم لم يَعُد يتّخذ شكل كتاب مليء بالدسّ يؤلّفه مستشرق لئيم في جامعة غربيّة ، وإنْ كان هذا النوع من المستشرقين لم ينقرض تماما . إنَّ الغزو الثقافي الخَطِر اليوم لم يَعُد يتخذ شكل مؤامرة استعمارية تستهدف تشكيك شعب ما في تاريخه وأخلاقه وديانته ، وإنْ كان الحديث لا ينقطع عن مؤامرات كهذه ـ حقيقية أو وهمية . **إنَّ أخطر ما في الغزو الثقافي المعاصر أنه أصبح ذا دافع ذاتي تلقائي ، يتمّ دون مجهود من الجهات الغازية ، ويتمّ دون أن يدرك ضحية الغزو أنه معرَّض لأي خطر فيُقدِم ، في حماسةٍ وبلاهة ، لا على قبول الغزو فحسب ، بل إلى اعتناقه واحتضانه . هنا مكمن الخطر .** »

إنَّ هذا الغزو الحضاري الرهيب يعمل على زعزعة مبادىء الإسلام وقيمه وهدم أخلاقياته ومُثُله في نفوس أبناء المسلمين لينشأوا في غُربةٍ عن دينهم وحضارتهم وتراثهم ، ويصبحوا فريسةً سائغة للأفكار الغربيّة ونمط الحياة الغربية بكل ما فيها من انحرافات ومفاسد وأوبئة . ولقد وصل هذا الغزو إلى منازلنا ولم يَعُد أمامنا مفرّ من مواجهته المواجهةَ الصحيحة التي لا تكتفي بالتنديد والصراخ والدعاء بالويل والثبور ، بل بتطوير استراتيجية مُحكَمة تعتمد على هدفين : أولهما تنقية الإعلام ـ إلى جانب التعليم ـ من المؤثّرات الغربية العلمانية والإلحادية ، وتفنيد ما تقدّمه وسائل الإعلام الغربية من مفاسد وانحرافات وبيانُ عُوارها وتهافتها بمنطقٍ مقنع وبوسائل مكافئة . وثانيهما توجيه الإعلام في الدول الإسلامية نحو الأصالة والذاتية النابعة من قِيَم الإسلام ومبادئه ، وتوفيرُ الجوِّ الملائم والدعم المناسب لصنع البدائل الإسلامية التي تقف في مواجهة ما يقدمه الغرب .

وهذه المواجهة الواقعية للغزو الفكري والثقافي في صورتها الشاملة المتكاملة المتكافئة لن تتحقق إلا عندما تتبلّور في أذهان المسلمين الصورةُ الحقيقية للإعلام الإسلامي ، وتتوالى معطياته الواقعية وثمراته العملية في واقعهم المعاصر إذ لا يمكن أن يهزم الباطلَ الزائف إلاّ الحقُّ الأصيلُ : ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغُه فإذا هو زاهق** ﴾ الأنبياء ١٨ .

٣ ـ **المبرر الإنساني** : وسائل الإعلام لسان هذا العصر . وقد أدرك أصحاب الديانات والمذاهب والأفكار الوضعية أهمية استغلال هذه الوسائل في سبيل إيصال أفكارهم وعقائدهم ومذاهبهم إلى الناس . وكان النصارى الصليبيّون أكثر الناس إدراكاً لهذه الأهمية ، وأسبقهم إلى استخدامها في مجال التنصير .

وفي الوقت الذي ينشط فيه أصحاب الديانات المحرّفة والمذاهب الفاسدة لاستغلال وسائل الإعلام لخدمة أغراضهم نجد المسلمين غائبين عن الساحة الإعلامية إلاّ بعض جهود محدودة لا أثر لها .

والبشرية اليوم قد سئمت من الدين المحرّف وانصرفت عن المذهب الفاسد ، وهي تعيش ضياعاً وقلقاً واضطراباً . وقد أثقل كاهلَ الإنسانية في وقتها الراهن كابوسُ الإلحاد والعلمانية والفساد الخلقي والظلم والاستبداد السياسي والاستغلال الاقتصادي والتفكك الاجتماعي ، وتعالتِ الصيحات تبحث عن مصدر للأمان والعدالة والحياة الكريمة ، فأين سيجدون كل ذلك إلاّ في الإسلام ؟!!

إنَّ البشرية اليوم بحاجة إلى الإسلام أكثر من أي وقت مضى . والمسلمون مطالبون ـ وفقاً للتوجيه الإسلامي بمخاطبة الناس بلغتهم ووسائلهم ـ بأن يستخدموا وسائل الاتصال والإعلام في سبيل الدعوة إلى الإسلام وتوضيح صورته الناصعة وإبراز محاسنه وثمراته للناس في كل مكان . إنَّ تبليغ رسالة الإسلام العالمية . وإيصال دعوته إلى البشرية كلها مبَرّرٌ إنساني عظيم للدعوة إلى صياغة الإعلام صياغة إسلامية حتى يمكن أن يؤدي هذا الإعلام دوره في الحياة الإنسانية .

ما الإعلام الإسلامي الذي نريد ؟

تختلف نظرات الناس حول الإعلام الإسلامي ما بين النظرة الجغرافية ، والنظرة التاريخية ، والنظرة الواقعية التجزيئية . فالنظرة الجغرافية تفهم الإعلام الإسلامي على اعتبار أنه الإعلام الصادر من الدول المسلمة أو الجهات التي تنتسب إلى الإسلام . وتكاد هذه النظرة أن تكون النظرة السائدة في الدراسات الأجنبية عن الإعلام الإسلامي . ولذلك تصنِّف هذه الدراسات إعلامَ الدول التي تقع في إطار العالم الإسلامي ضمن الإعلام الإسلامي بمفهومه الجغرافي الرسمي دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة .

والنظرة التاريخية للإعلام الإسلامي تكاد تحصر الإعلام الإسلامي في إطارٍ زمني ضيّق فتوحي بأن الإعلام الإسلامي مفهومٌ تراثي وممارسة محدودة في فترة زمنية ، مثل تلك الدراسات التي تتناول الإعلام ووسائله في عهد النبوة أو الخلفاء الراشدين .

أما النظرة الواقعية التجزيئية للإعلام الإسلامي فتستند إلى صور الممارسة الواقعية لبعض جوانب الإعلام الإسلامي المحدودة ، وتفهم هذا الإعلام باعتباره إعلاما « دينيّاً متخصصاً » . ولذلك يغلب على من ينحو هذا المنحى أن يفهم الإعلام الإسلامي في حدود الصفحات الدينية وركن الفتاوى والخطب المنبرية في الصحافة اليومية ، أو في حدود تلك الصحف والمجلات التي تسمّي نفسها بالإسلامية ، أو في حدود البرامج والأحاديث الدينية في الراديو ، أو في حدود البرامج والأفلام والمسلسلات التاريخية والدينية التي يشاهدونها عبر الشاشة التلفازية أو السينمائية !!

ورغم أن هنالك بعضَ جوانب الصحة في هذه النظرات المختلفة للإعلام الإسلامي إلاّ أنها لا تعبّر عن حقيقة الإعلام الإسلامي بشموله

وتكامله ، ولا تمثّل جوهره الأصيل وخصائصه النظرية والتطبيقية . فالنظرة الجغرافية تُوهم أنَّ الإعلام الصادر من دولة مسلمة يكتسب الشرعية الإسلامية بمجرد انتسابه إلى الدولة المسلمة دون اعتبار لغاية ذلك الإعلام ومنهجه ، ودون اعتبار لمضمونه وأساليب ممارسته . وواقع الإعلام المعاصر في الدول المسلمة لا يصوّر أبداً حقيقة الإعلام الإسلامي . والتحليل العلمي الموضوعي يكشف لنا أن كثيراً من منطلقات الإعلام ومضامينه وأساليب ممارسته وقواعد تنظيمه في كثير من الدول المسلمة يسير في ركب التقليد والتبعيّة للأنماط الغربيّة أو الشرقية في الإعلام وتفتقد الهويَّة الإسلامية الواضحة !!

والنظرة التاريخية للإعلام الإسلامي نظرةٌ قاصرة إذ تحجّم هذا الإعلام وتصوّره على أنه إعلام تراثي عتيق ، ينفصل عن الواقع ويبتعد عن معالجة قضايا العصر والاستفادة من معطياته ومنجزاته . **والحقُّ أنَّ الإعلام الإسلامي ليس مرتبطاً بفترة زمنية معينة ، وليس محدوداً ببقعة مكانية محدودة ، بل هو منهج يتجاوز حدود الزمان والمكان ، ويحمل في طياته بذور الملائمة لكل زمان ومكان .**

أما النظرة الواقعية التجزيئية للإعلام الإسلامي فهي نظرة مجحفة غير منطقية ، وهي مثل سابقتها تحجّم هذا الإعلام وتفصله عن الواقع وتخصّص له جزءاً محدوداً من النشاط الإعلامي الحافل . وهذه النظرة ذات أثر خطير في حياة المسلمين لأنها تفصل الإعلام بنشاطاته الواسعة وممارسته المتنوعة عن الهدى الإسلامي وتكتفي بتحكيم الإسلام في جزءٍ من النشاط الإعلامي ثم لا تبالي أن تناقض الإعلام مبادىء الإسلام وأخلاقه ويتعدّى حدوده وضوابطه في الأجزاء الأخرى التي يطلق عليها « **الإعلام العام** » !! وكأنَّ هذا المفهوم يقترب من المفهوم الغربي العلماني في فصل الدين عن الحياة واعتبار الدين شأناً فردياً وعقيدةً مكنونة يخصصّ له جزءٌ من النشاط الإنساني ولا سلطان له على الواقع ولا هيمنة له على الحياة الاجتماعية ونشاطاتها العامة .

إنَّ المفهوم البديل ، بل المفهوم الحقّ للإعلام الإسلامي هو المفهوم المنهجي الذي لا يجعل مقاييس إسلامية الإعلام مبنيّةً على أساس الحدود الجغرافية والمكانية ، أو الوضعية التاريخية المحدودة ، أو الممارسة الواقعية الخاطئة للإعلام في الحياة ، بل يبني تلك المقاييس والمعايير على أساس المنطلقات الرئيسية والأطر الفكرية والاجتماعية والإنسانية المنبثقة من روح الإسلام وتصوراته الكلية وقيمه السامية ، وعلى هذا أساس الضوابط الشرعيّة التي ينبغي أن يسير الإعلام على هدىً منها ويلتزم بها في نشاطاته المختلفة وممارساته الواقعية .

إنَّ الإعلام الإسلامي ـ بهذا المفهوم المنهجي ـ روحٌ تسري في النشاط الإعلامي كلّه تصوغه وتحرّكه وتوجّهه منذ أن يكون فكرةً إلى أن يغدو عملاً منتَجاً متكاملاً مقروءاً كان أو مسموعاً أو مرئياً . وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي منهجاً قويماً تسير وفقه جميع النشاطات الإعلامية في كافة الوسائل والقنوات دون أنْ يحيد نشاط واحد منها عن الطريق ، أو يتناقض مع النشاطات الأخرى سواء في الوسيلة الواحدة أو الوسائل المتعددة . وبذلك ـ أيضاً ـ يصبح الإعلام الإسلامي حَكَماً موضوعيًّا تتحاكم إليه جميع هذه النشاطات الإعلامية ثم لا يجد أيُّ نشاط منها حَرَجاً في التسليم لحكمه والإذعان لتوجيهه .

وفهم الإعلام الإسلامي بهذه الصورة الشاملة ينسجم مع الحقيقة الأصيلة لهذا الدين وهي أنه منهج شامل للحياة ، وليس منهجاً جزئياً يعالج جانباً من جوانب الواقع الإنساني ويهمل الجوانب الأخرى . وهذا المفهوم للإعلام الإسلامي يحقق في حياة الأمة الإسلامية على الدوام الاستقرارَ ، والتوازن ، ويخلّصها من آثار الازدواجية والتناقض والصراع التي تعاني منها الأمة كلما ابتعدت عن منهج الله . والنشاط الإعلامي المعاصر يعاني من هذه الأمراض الخطيرة حيث تجد الازدواجية والتناقض في الوسيلة الواحدة فضلاً عن وجودهما في الوسائل المتعددة ، حيث تستمع إلى برنامج « ديني » يحثّ على الفضيلة ، فيعقبه مباشرة برنامجٌ آخر يغري بالرذيلة أو أغنيةٌ ماجنة تزيّن السقوط بصورة جذابة مشوقة !! وتشاهد في التلفاز برنامجا « دينيا » يَبْني في نفوس المشاهدين معاني الرجولة والصلاح والخير ، ثم لا تلبثُ أن تُصْدَمَ في الوسيلة نفسها بفيلم مثير ينقض كلَّ ما بناه البرنامج « الدينيّ » ويهدمُه !! والأنكى من ذلك أنْ يقدَّم البرنامج « الديني » في أسلوب جافّ وإخراج رتيب ، فلا يجذب المشاهد ولا يحوز على رضاه ، بينما يُخْدَم الفيلم غير الديني خدمةً فائقة فيُقبل عليه الصغار والكبار ، ويتحلّق حوله الشباب والشابات في رغبةٍ وحماس !!

ولو نظرنا إلى واقع النشاط الإعلامي والنُظم الإعلامية في المجتمعات المختلفة التي لا تدين بالإسلام لوجدنا أنَّ ذلك النشاط في كل مجتمع ينبع أصلاً من التصوّرات العَقَدية والايديولوجية للمجتمع ، وينطبع بالقيم والتقاليد والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة فيه ، ولوجدنا أن النظام الإعلامي يخدم أساساً الغاياتِ والأهدافَ البعيدةَ والقريبة التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها .

وللإسلام ـ دون شك ـ فلسفته الإعلامية الخاصةُ به . وفي ضوء هذه الفلسفة المستقاة من المصادر الأصلية للمنهج الإسلامي تتحدّد معالمُ النشاط الإعلامي داخل المجتمع الإسلامي وخارجه . ولقد وضع الإسلام أصولاً عامة وقواعد كليَّة لكافة جوانب العمليّة الإعلامية . ولكنَّ هذه الأصول والقواعد مبثوثةٌ في المصادر الإسلامية المتمثّلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفي اجتهاد فقهاء المسلمين وعلمائهم عبر العصور المتعاقبة . والإعلام اليوم غدا علماً منظَماً . ولذلك فإنَّ المسلمين بحاجة ماسّة إلى صياغة **منظومة إعلامية ذاتيّة** لهم تحدّد معالم الهدي الإسلامي في النشاط الإعلامي من حيث :

أ ـ فلسفتُه الأساسية وإطاره الفكري العام المبنيّ على التصّور الإسلامي للكون والحياة والإنسان وغايةِ الوجود الإنساني .

ب ـ غايتُه الكبرى ومنهجه الأصيل في تحقيق تلك الغاية .

جـ ـ وظائفه العامة والخاصة ومدى ارتباط هذه الوظائف بالحاجات

الواقعية لأفراد المجتمع ، ومقدار استجابته للظروف المحيطة بهم .

د ـ أساليبُه وطرقُه في تقييم المضمون إلى الناس ، ومدى مراعاة هذه الأساليب لخصائص الجمهور المتلقي للرسالة الإعلامية ، وكيفيةُ تفاعله معه .

هـ ـ وسائلُه وقنواته المتنوّعة سواء التقليدية منها والحديثة ، وخصائصُ الوسائل الخاصة بالإعلام الإسلامي والتي ينفرد بها عن غيره من المذاهب الإعلامية الوضعية كقنوات الاتصال الشخصي المنظّم وألوان الاتصال الجمعي والدولي المتميزة ، وكيفيةُ استثمارها وتوظيفها لخدمة أهداف المجتمع المسلم وغاياته .

و ـ نظمُه وسياساته العامة والخاصة والأسس والضوابط التي يضعها الإسلام لتقنين تلك النظم وصياغتها ، وترشيد السياسات الإعلامية التي يتبنّاها .

وهذا العمل الذي يستهدف صياغة منظومة إعلامية إسلامية للمجتمع الإسلامي لن يتحقّق إلاّ من خلال اجتهاد عصري يقوم به علماء يمتلكون زاداً متيناً من العلم الشرعي ويمتلكون أيضا زاداً متيناً من العلم الإعلامي في جانبيه النظري والتطبيقي . ولابد من أن يعتمد هذا الاجتهاد العصري على تلاحم عنصرين هامين هما :

● **أولاً** : دراسة المصادر الأساسية للإسلام دراسة إعلامية علمية لاستنباط الأسس والقواعد التي تنظّم العملية الإعلامية أو تُرشِد إليها . ويَرْدِفُ هذه الدراسةَ محاولةُ الكشف عن ذخائر التراث الإسلامي عبر العصور ممّا له صلة بالممارسة الإعلامية .

● **ثانياً** : دراسة نتاج البحوث والدراسات والممارسات الإعلامية المعاصرة واستيعابها ثمّ استلهام روح التشريع الإسلامي ونتائج الدراسة الإعلامية العلمية لمصادر الإسلام وتراث المسلمين للوصول إلى رؤية واضحة لما ينبغي أن يكون عليه الإعلام الإسلامي في الجوانب النظرية والتطبيقية التي ذكرتُها آنفا .

كيف نصل إلى الإعلام الإسلامي ؟

إنّ تحقيق ثمرة هذا التصور النظري للإعلام الإسلامي بشموله وتكامله لن يكون إلاّ بمحاولة الإجابة على هذا التساؤل الملحّ : كيف نصلُ إلى الإعلام الإسلامي ؟

وفي تصوّري أنّ الوصول إلى الإعلام الإسلامي يحتاج منّا العمل الدؤوب في أربعة ميادين رئيسية هي :

(١) **ميدان الإعداد والتأهيل البشري** : إنّ أهمّ الوسائل للوصول إلى تحقيق الإعلام الإسلامي في واقع الحياة وأنجعها هو **إعدادُ الكفايات البشرية المتخصّصة في الإعلام وتأهيلُها فكرياً وخُلُقياً وعلمياً ومهنياً** . إنّ الإنسان هو العنصر الأول في إحداث أيّ تغيير مقصود . والعناية بإعداد الإعلاميّين الإسلاميّين وتأهيلهم حتى يكونوا قادرين على تحمّل هذه المسؤولية الضخمة ليس أمراً سهلاً قليلَ التكاليف ، بل هو عملٌ كبير يتطلّب منّا جهوداً عظيمة وطاقات عديدة . إنَّ الطبيب ـ وهو يطبّب الأبدان ـ يمرّ بفترةٍ صعبةٍ ومكثّفة وطويلة من الإعداد والتأهيل ، فما بالُك بالإعلامي وهو المعلّم والمربّي والقائد والموجّه وصانع الرأي في المجتمع ؟! إنّ مهمّتَه ـ ولا شكّ ـ أعظمُ ومسؤوليتَه أكبر ، فهو يطبّب النفوس ويؤثّر في العقول ويسهم في صياغة مواقف الناس وسلوكهم . ومن ثَمَّ وَجَبَ أن يكون تأهيلُه موازياً لهذه المسؤولية المناطة به ـ ولابدّ لإعداد الإعلامي الإسلامي وتأهيله من أن يتكامل المنهج العلمي والعملي في الجوانب التالية :

أ ـ **الإعداد الأصولي والفكري** : حيث يتعرّف الطالب على الأصول العَقَدية والفكريّة والتشريعية للإسلام من خلال مجموعة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن الكريم والتوحيد والتفسير والحديث والفقه والثقافة الإسلامية .

ب ـ **الإعداد اللغويّ والتذوقي** : فاللغةُ وسيلة الإعلامي ، بل هي وعاء الفكر والثقافة ، ولذلك لابّد له من أن يدرس بعض المقررات في اللغة العربية نحواً وصرفاً وفقهاً ، وأن يسعى إلى التمكنّ في فنون القول والبيان والأسلوب والتعبير والتذوق الأدبي .

جـ ـ **الإعداد التخصّصيّ والمِهْني** : وهذا الإعداد لابدّ أن يتكامل فيه الجانبُ النظري والجانب العملي التطبيقي حتى لا تصبح دراسة الإعلام دراسةً نظرية بحتة . ولابدّ من اكتساب الطالب للمهارات العملية والمهنية المطلوبة منه في واقع الممارسة الميدانية .

د ـ **الإعداد الثقافي العام** : وهذا يتطلب إلمام الطالب بالواقع الذي يعيش فيه من حيث قضاياه ومشكلاته وأحداثه وتياراته ، كما يتطلب الإلمام ببعض المعارف والعلوم المُعِيْنة له على فهم هذا الواقع وتحليله ، وهي علوم وثيقة الصلة بالإعلام كعلم النفس والاجتماع والعلوم السياسية والاقتصاد واللغة الأجنبية .

ولابد من التأكيد هنا على أنَّ من مستلزمات هذا الإعداد الصارم للإعلاميين الإسلاميين أن يخضع الطلاب الذين يُقْبَلون في أقسام الإعلام لشروطٍ موزونة سواء في المجال العلمي أو الأخلاقي . ولابدّ أن يتوافر فيهم الحدّ الأدنى من الموهبة والاستعداد النفسي . كذلك لابدّ من التأكيد على أن يتوافر لهؤلاء الطلاب في المحيط الأكاديمي جوّ من العلاقة الحميمة بينهم وبين أساتذتهم المبنيّة على الثقة والاحترام والتهذيب التربوي والتوجيه الأخلاقي عبر القدوة الصالحة التي يجدها الطلاب في أساتذتهم وموجهيهم . ويُعَدّ الجانبُ التربوي والأخلاقي ذا أهمية بالغة في مجال إعداد الإعلامي الإسلامي نظراً للصعوبات الجمّة والتحديّات العديدة والمغريات المتنوعة التي تصادف الإعلامي الإسلامي في حياته العملية .

٢ ـ **ميدان التأصيل والتنظير العلمي** : مايزال الاهتمام بتأصيل قواعد الإعلام وأصوله وممارساته من وجهة النظر الإسلامية محدوداً

ومتناثراً . والمطلوب أن يتصاعد الاهتمام العلمي بالإعلام الإسلامي تأصيلاً وتنظيراً وأن يركّز على النوعيّة . وينطلقُ هذا الاهتمام من خلال إنشاءِ ودعم معاهد ومراكز البحوث الإعلامية التي تهتمّ بالإعلام الإسلامي واستقطابِ الباحثين والدارسين الذين يتميّزون بالإخلاص والوعي الإسلامي والخلفيّة الشرعية والاستيعاب العلمي للتخصّص الإعلامي ، إلى جانب تمتّعهم بالمنهجيّة في التفكير ، والتمكّن من أساليب البحث العلمي ووسائله .

ولعلّ من الأهميّة بمكانٍ أن تسير هذه الجهود العلمية التأصيلية وفق خطة مدروسة وتصوّر سليم للأولويات ، وأن تعتمد على أسلوب فِرَق العمل الجماعية بدلاً من الأعمال والاجتهادات الفرديّة المحدودة . ولابد من أن تتوافر لهذا العمل التأصيلي العلمي إمكاناتٌ بشريةٌ ومادية ملائمة ، كما لابدّ من توافر قنواتٍ علميّة تُسهم في تحريكه وبلورته وانضباطه كالندوات العلميّة والحَلَقات الدراسية والمشاريع البحثية والمؤتمرات واللقاءات التي تتلاقح فيها الأفكار ، ويتبادل فيها الباحثون والدارسون الآراء ، ويتناقشون فيها حول نتائج بحوثهم ومؤلفاتهم .

٢ ـ **ميدان الإصلاح الواقعي** : والمقصود بهذا الإسهام الإيجابي في إصلاح أوضاع المؤسسات الإعلامية القائمة في العالم الإسلامي الرسمية منها وغير الرسمية ، وتنقيتُها من الشوائب وترشيدُ مسارها الإعلامي سواء ببذل النصح والمشورة أو دعم الأعمال التي تخدم الإعلام الإسلامي أو المشاركة العملية في تلك المؤسسات والهيئات في ميادينها القيادية والإنتاجية والتقويمية .

ويبدأ الإصلاح الواقعي بمحاولة إيجاد قنوات تواصلٍ وتعاونٍ بين المهتمّين بشؤون الدعوة والإرشاد والإعلام الإسلامي من جهة وبين العاملين في المجال الإعلامي من جهةٍ أخرى وذلك من أجل تضييق الفجوة بينهم . ولقد عانت الأمة من جرّاء انعزال العلماء وذوي الاتجاهات الإسلامية عن الوسائل الإعلامية وعدم توثيق صلاتهم وعلاقاتهم بالعاملين في هذه الوسائل . وإنَّ السعيَ من أجل تنظيف الإعلام من الانحرافات والتشوّهات هدفٌ نبيل ويحتاج إلى تحمّل وصبر وإدراكٍ واقعي للظروف التي يعيش فيها الإعلام . وإنَّ انتهاجَ أسلوبِ التدرّج في الإصلاح ضرورةٌ لازمة في ضوء معرفتنا أنَّ كثيراً من المفاسد والانحرافات التي تحيط بوسائل الإعلام قد استغرق نشرُها وتكريسها زمناً ممتداً وإصلاحها أو تخليصُ الإعلام منها يحتاج إلى زمن ممتّد أيضا ، وما أسهل الهدم وما أصعب البناء !!

ولا أعتقد أنَّ من الإيجابية في شيءٍ أن ننساق وراء الدعوة إلى عدم الاستجابة لضغط الواقع في المطالبة بإنتاج البدائل الإسلامية والغياب عن الساحة الإعلامية بدعوى انتظار نضوج الرؤية النظرية للإعلام الإسلامي أو بدعوى أنَّ الإنتاج الإعلامي الإسلامي والمشاركةَ المحدودة في وسائل الإعلام القائمة لن تجدي نفعاً في خضمّ التيار الجارف ، وأنها ستكون صرخةً هائمة في وادٍ سحيق . إنَّ هذا الاتجاه السلبي ـ في نظري ـ لن يحقّق ما يصبو إليه المخلصون للإعلام الإسلامي . والجهودُ الصغيرة المتواضعة عندما تجتمع وتتراكم وتتواصل لا شك أنها ستثمر بإذن الله تعالى ثمراتٍ يانعةً تفيد الناس وتبقى في المجتمع : ﴿ **ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبة كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء تؤتي أُكلَها كلَّ حين بإذن ربّها ، ويضربُ الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكّرون . ومثلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثّت من فوق الأرض ما لها من قرار** ﴾ سورة إبراهيم ٢٤ ـ ٢٦

٤ ـ **ميدان الإنتاج العملي المتميّز** : إنَّ صناعةَ البدائل الإسلامية في مجال الإعلام بمختلف فنونه وضروبه وألوانه تحتاج إلى المبادرة إلى إنشاء مؤسسات وشركات إسلامية للإنتاج والتوزيع الإعلامي في مختلف المجالات من طباعة وصحافة ونشر وتلفاز وفيديو وتسجيلات صوتية وشرائح مصورة وأفلام سينمائية وغيرها . وإنشاء مثل هذه المؤسسات يتطلّب طاقاتٍ بشرية عديدة ، ويتطلب تكاليفَ مادية ومالية باهظة . ولكنَّ الاستثمار في هذا النوع من الإنتاج سيحقق مكاسب معنوية ومادية لا نظير لها .

ولكنْ ينبغي التنبيه إلى أهمية أن يتولّى مثل هذا الإنتاج العملي الإسلامي المميّز طاقاتٌ ذات إخلاص وتقوى ، وأن يستعان فيه بأهل الخبرة والمعرفة وأن تكون الأعمال المنتجة متقنةً من حيث جوانبها الفكرية والفنية ، حتى لا تشوّه الإنتاج الإسلامي البديل وتعطي صورةً سيئة عنه .

ولذلك لا ينبغي الاستعجال في هذا الجانب إلاّ بعد استكمال العدّة : تصوراً ومضموناً ، وتوافرِ العناصر البشرية : إخلاصا وتمثّلاً ، وإتقانِ العمل فنيّاً وحرفيّاً .

خـاتمـة

إنَّ صياغةَ الإعلام ـ نظرياً وتطبيقياً ـ صياغةً إسلامية ليست مشروعاً سهلاً سريعَ التنفيذ . بل هو مشروع عملاق يمثّل صورةً من صور التحدي الحضاري الشامل الذي تواجهه الأمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها . وإنَّ تنفيذَ هذا المشروع كاملاً يستغرق عمر أجيال من الأمة ، ويحتاج إلى استعدادات نفسيّة واجتماعية كبيرة وإمكانات وطاقات ضخمة . وفي يقيني أنَّ توافر الجو السياسي والاجتماعي الملائم ، والدعمَ المعنوي والمادي المناسب لتنفيذ مثل هذا المشروع العملاق يُعَدُّ ركيزةً أساسية للإنطلاق نحو تحقيقه في واقع الأمة الإسلامية . فالنشاط الإعلامي مرتبطٌ دائما بالبيئة السياسية والاجتماعية التي يعيش فيها ويتأثر بها سلباً وإيجاباً .

ولكنْ لا ينبغي أن يصيبنا اليأس أو الإحباط بسبب ضخامة التكاليف المعنوية والمادية ، بل ينبغي أن يكون ذلك دافعاً قوياً لنا لنروّيَ الأمل المتفتّح في قلوبنا وواقعنا بماء الإخلاص والعزيمة الصادقة والتخطيط المدروس والعمل الجادّ والسعي الدؤوب المتواصل حتى يُثمر الأمل ويتحقّق الحلم . وما ذلك على الله بعزيز .

مكر الصهيونيين

في دعايتهم الموجهة لأهل الغرب

بقلم : د . نصر محمد عبد الرحمن

إن الإنسان ليستهجن كيف تمكنت الأقلية الصهيونية الانعزالية من أن تصوغ غالبية العقول في معظم دول الغرب تلك الصياغة الخبيثة التي جعلتها تضعف عن مقاومة التضليل الصهيوني . إننا كثيراً ما نسمع ونقرأ عبارات الاستهجان لظاهرة انقياد العقل الغربي ، ولا سيما العقل السياسي ، لدعاية الشرذمة الصهيونية في القرن العشرين ، حتى من كبار المفكرين الغربيين أنفسهم . وإنه لجدير بنا ، نحن العرب ، أن نتفحص هذه الظاهرة دائماً ، وأن نتعمق في دراستها وفي كشف جوانبها وملابساتها .

لقد وضع الصهيونيون لهم هدفاً منذ نهاية القرن التاسع عشر ، يتمثل في جعل فلسطين وطناً لهم ، من أجل أن تكون موطىء قدم لهم ، لكي يقفزوا منها على أقطارٍ أُخرى . والهدف بحدّ ذاته غير واقعي بالقياس إلى إمكاناتهم البشرية ، ولكنهم عوّلوا في تنفيذه على تلقّي الدعم القوي من بعض الدول الغربية ، فقرروا أن يتخذوا من دعايتهم الكاذبة وسيلةً لدفع كثيرين من الغربيين للوقوف في صفوف حماة مشروعهم الآثم .

فكيف استطاعوا تطويع الرأي العام ، أو جزءٍ كبير منه ، في تلك الدول ، وكيف تمكنوا من تكييف العقول هناك لخدمة غرضهم الخيالي ، ومن أجل أن تتحمل دول الغرب أعباء تنفيذ المشروع الصهيوني الموجّه ضد مصلحة الأمة العربية ؟ وكيف استطاع تضليلهم الدعائي إقناع العقل الغربي بقبول هذا الذي هو غير واقعي ، وغير معقول ، وغير إنساني وغير عادل ، ومخالف بشكل أساسي للمصالح القومية الحقيقية للأمم الغربية ذاتها ، ولمصلحة سكان العالم العليا المتمثلة في الحفاظ على السلام العالمي ؟

خط مباشر وخط غير مباشر

إن الجواب المختصر على السؤالين السابقين يكمن في الإشارة إلى تلك الخصلة التي تميّز بها الصهيونيون عن غيرهم قديماً وحديثاً ، وهي خصلة الإفك والخداع التي تجعلهم يعملون من غير كلل أو ملل في صياغة عقول أبناء الشعوب التي يحتاجون إلى مؤازرتها صياغة إضلالية ، والتي تحمل أصحاب تلك العقول على أن يقبلوا التغرير بهم ، وعلى أن يتجهوا وجهةً تضر مجتمعهم وأمتهم وتنفع الصهيونيين ، والتي تهيئهم لتصديق الأوهام والضلالات التي يقدّمونها إليهم . فبالنسبة إلى توظيف خصلة الإفك والخداع في السعي لتحقيق هدف إقامة دولة صهيونية من غير أساس تاريخي أو شرعي ، نرى أنهم مارسوا منذ زمن بعيد ، بصورة مستمرةٍ وبالغة التأثير ، نوعين من النشاط الدعائي المضلل : أولهما هو التضليل الدعائي المباشر ، الرامي إلى أسر عقول الكثيرين من أهل الغرب ، وحملها على إعطاء التأييد للمشروع الأثيم ، وثانيهما هو توجيه الدعاية ومواد الثقافة في دول الغرب وجهة تؤدّي إلى تبليد الوعي وإضعاف موهبة التفحص العميق في أسباب المشاكل الإنسانية ، لأن هذه العملية الصياغية التبليدية تخدم هدفهم السياسي بطريقة غير مباشرة ، عندما تجعل أبناء الشعوب الأخرى يتكيفون مع الأمر الواقع الذي تفرضه قوة حلفاء الصهيونيين لمصلحة الصهيونيين ، فيقفون مكتوفي الأيدي ، متغافلين عن المعتدين على قواعد العدل الدولي وعلى السلام العالمي .

العمل الدعائي المباشر

تضمنت عملية التضليل الصهيوني المتصلة اتصالاً مباشراً بتكييف عقول أهل الغرب بشأن اغتصاب **فلسطين** عناصر كثيرة ، عملتْ ومازالت تعمل في اتجاه كسبهم للدعم الشرّير القوي من الدول التي غرّروا بأصحاب القرار السياسي فيها . أحد هذه العناصر هو انتسابهم كذباً إلى الأنبياء الطاهرين الذين تبرأوا منهم عندما نابذوهم منذ البداية القديمة ، بنقضهم لعهدهم ، وبقتلهم لكثيرين منهم ، وبإلصاقهم التّهم الشنيعة بهم . وغرضهم الدعائي من هذا الانتساب هو غسل دماغ الغربيين وحملهم على الاعتقاد زوراً بأن هؤلاء الأفّاقين لهم صلة قديمة بفلسطين ، وبأنهم كان لهم القدح المعلّى في بناء حضارة الشرق الأوسط القديمة ، وهو إدّعاء تدحضه كل الدلائل التاريخية والأثرية .

تهمة اللاسامية وترويجها

والعنصر الثاني من عناصر الدعاية الصهيونية التي تصبّ في خانة التخطيط الصهيوني الإمبريالي المباشر لاغتصاب الأرض العربية هو توجيه الفكر الغربي المعاصر في مسار اعتراف كثيرين من الغربيين المخدوعين بجريمة **معاداة الساميّة** ، على الرغم من كون الصهيونيين هم المسؤولون عنها ، بسبب انعزاليتهم ، ومكرهم الشديد ضد سكان الأقطار الأوروبية التي سكنوها . وهذا المسار الفكري ما كان ليرتسم على خريطة التاريخ الفكري في الغرب لولا سيطرة الدعاية الصهيونية على عقول الغربيين . إن من المستهجن حقاً أن البشرية ظلت منذ القرن الماضي حتى الآن تقرأ وتسمع كلاماً يندب فيه الكتاب الغربيون الحظ العاثر المزعوم لليهود المقيمين في أوروبا وأمريكا ، والمتمثل في وجود نزعة معاداة من جانب الغالبية المسيحية ضد اليهود هناك ، ولكن البشرية لم تقرأ كلاماً يعتذر به أولئك الكتاب الغربيون عن اعتداء الدول الغربية على البلاد العربية في آسيا وإفريقيا ، وعن احتلالهم لها في القرن الماضي والقرن الحضار ؛ ولم يعتبر أولئك الكتّاب الغربيون هذا الاعتداء الأوروبي على الأمة العربية عمل كراهية للساميّة ، ولكنهم أطلقوا اسم اللاسامية على المعاملة التي كان اليهود يلقونها في أوروبا ، على الرغم من أن تسعة أعشار أولئك اليهود ليسوا من أصل ساميّ .

وحقيقة الأمر هي أن معزوفة لطم الخدود على وجود اللاسامية في أوروبا هي لعبة سيكولوجية من ألاعيب الدعاية الصهيونية ، ابتدعها الصهيونيون بالتعاون مع الاستعمار الأوروبي ، الذي كان يخطط من أجل السيطرة الإمبريالية على البلاد العربية وتطورت اللعبة السيكولوجية ، فأصبحت خطاً من خطوط التحرك الدعائي الصهيوني ، الذي يهدف إلى إيجاد المبرر النفسي عند الأوروبيين لقبولهم قيام حركة هجرة صهيونية ، ولتنفيذ برنامج إرسال موجات من المهاجرين الصهيونيين إلى البلاد العربية ، لذبح سكانها أو طردهم إلى الصحراء ، ولإحلال الصهيونيين محلهم ، لكي يكونوا أداةً لغرْض الهيمنة الإمبريالية . لقد لفّقوا حركة فكرية سموها اللاسامية من أجل أن تكون تلك الهجرة الصهيونية مقبولة لدى الغالبية من الأوروبيين ومن اليهود أنفسهم . إن خطيئة اللاسامية هي اتهام كاذب يوجهونه في بلاد الغرب ضدّ كل من يعارض ذلك البرنامج الإمبريالي – الصهيوني أو ينتقده ، وغرضهم من ذلك هو إفشال المعارضة لهذا البرنامج الظالم من جانب سكان الأقطار الغربية المسيحيين واليهود على السواء . وقد بلغت الصفاقة بأولئك المتواطئين حداً جعلهم يصفون حتى دفاع العرب عن أرضهم ، وتصدّيهم للعدوان الصهيوني بأنه معاداة للسامية ، وكأن المطلوب من المعتدىٰ عليه هو أن يشبك أصابع يديه ويبتسم لمن يحاول قتله .

عقدة الذنب الدعائية

وقد تولّدت عن لعبة اللاسامية الدعائية لعبة دعائية صهيونية أُخرى ، وهي لعبة عقدة الذنب ، التي تجسّدت في ندم المسيحيين الأوروبيين على ما أوهمتهم الدعاية الصهيونية الكاذبة بأنه جرائم تاريخية اقترفوها ضد اليهود . وقد تضافرت هاتان الحركتان الدعائيتان على تطويع الفكر الأوروبي والأمريكي ، وكانتا بمثابة قِدْرٍ وغطائه المحكم ، معدٍّ لتوليد الضغط الكافي لإنضاج المؤامرة التاريخية الاستعمارية الكبيرة ، مؤامرة جرّت دولٍ أوروبية وأمريكية عديدة إلى موقع التآمر مع الصهيونية على أمن الأمة العربية وعلى حضارتها . إن التركيز الدعائي الصهيوني على إثم الإنسان الأوروبي ، الذي زعموا أن ذلك الإنسان ارتكبه ضدّ اليهود ، قد أدخل في أذهان الأوروبيين عقدة الذنب ، وجعلهم يحملونها باستمرار ، ويتكلمون عن علاقتهم باليهود بلهجة المجرم الذي يعترف من غير تحفّظ بأنه مذنب ، وبأن اليهود كانوا ضحايا لوحشيته ولإجرامه بحقهم طيلة قرون كثيرة .

كره الشعوب الأوروبية للصهيونيين

استخدم الصهيونيون هذه البدعة المزدوجة ، المؤلفة من نظرة اللاسامية الأوروبية ومن عقدة الذنب الأوروبية ، استخدموها خشبةً للقفز البهلواني في التاريخ الحديث ، فأعطاهم استخدامهم لها زخماً للإنطلاق بقوة غير ذاتية نحو هدفهم . ومما زاد في لزوم استعمالهم لخشبة القفز هذه معرفة طرفي المؤامرة اللذيْن ابتدعاها بوجود كرهٍ شديدٍ عند الغالبية من أفراد الجماهير الأوروبية والأمريكية نحو أساليب اليهود في تعاملهم معهم . إن علينا ألاّ ننسى أن الخرافة الصهيونية القائلة بأن الصهيونيين هم شعب الله المختار قد وضعتهم دائماً خارج نطاق العائلة البشرية ، لأنها تضمنت أيضاً اعتقادهم بأن ربّهم وعدهم بأن يكونوا سادة البشر جميعاً ، فأدخلت الوهم في خيالهم المريض بأن علاقتهم مع غير اليهود لا يجوز أن تكون علاقة الندّ للندّ . وقد منعهم هذا الوهم دائماً من الدخول في علاقاتٍ إنسانيةٍ ودّيةٍ صحيحة مع الشعوب الأخرى . لقد فصلوا شعبهم عن بقية الشعوب لأنهم اعتبروا أنهم أسمى منها ، ورفضوا كل نوع من أنواع الاندماج معها ، وأصرّوا على أن تبقى جماعتهم غريبةً عن الجماعات الأخرى ، بانتظار مجيء الوقت الذي تدخل فيه خرافة سيادتهم على العالم حيّز التنفيذ . وقد سبّب هذا الوضعُ دائماً ردَّ فعلٍ عند الشعوب الأخرى ، تمثّل في كرهها لهم ، وتجنّبها لبناء علاقاتٍ ودّيةٍ معهم ، وردّوا هم بدورهم على ذلك باللجوء إلى طرق الإرهاب والخديعة والتآمر في تعاملهم مع تلك الشعوب ، وباستعمال كل الطرق الأخرى التي تشكّل خطراً على المفاهيم والقيم والمصالح التي تقدّرها الإنسانية وتحترمها . وقد كان هذا الكره الشعبي المتبادل عقبةً في وجه المؤامرة ، فاستلزم هذا الواقع اللجوء إلى ابتداع الألاعيب الدعائية للتغلب عليها .

سفر إستر

ما أشبه اليوم بالأمس ! إن قفزتهم بواسطة الدعاية في القرن الحالي من فوق هذا الكره الشديد الذي تحمله الجماهير لهم بسبب فسادهم وإفسادهم تعيد إلى الأذهان صورة حركة دعائية صهيونية قديمة مشابهة

لها ، وهي الدعاية التي واكبت اشتراكهم مع أباطرة الفرس في مؤامرةٍ كبيرة في القرن السادس قبل الميلاد ، تلك المؤامرة التي حوّلتهم من عبيد السبي البابلي المشتتين في إيران إلى أدوات تجسس وقوة جيش سرّي يعمل في خدمة أولئك الأباطرة في زحفهم الاستعماري على الأقطار العربية . إن الدليل على فرح الصهيونيين بذلك التحول التاريخي العجيب الذي انجزته المؤامرات المدعومة بالدعاية المضلّلة باقٍ ما بقيت التوراة ، لأنهم خصّصوا سفراً من أسفار العهد القديم المزوّرة للتباهي بالوسائل الفاجرة التي استعملوها من أجل التأثير الدعائي على الطرف الثاني في المؤامرة ، لاستدرار عطفه وضمّه إلى جانبهم . وزيادةً في تأكيد هذا التباهي أطلقوا اسم (**إستر**) على ذلك السفر التوراتي ، وهو اسم المرأة الصهيونية التي قدّمها ابن عمها (**مردخاي**) لكي تكون محظيّة للإمبراطور الفارسي (**أحاشيوريش**) ، من غير أن تكشف عن هويتها اليهودية . ونجحت هذه المحظيّة في خدع ذلك الإمبراطور ، فجعلته يقتل ثمانمئة من حاشية قصره ، كما تذكر رواية التوراة ، بالإضافة إلى قتل سبعين ألفاً من أعداء اليهود في سائر مدن الإمبراطورية في كافة أقطار الشرق الأوسط العربي . ونجحت الدعاية الصهيونية في ذلك الحين في التعبئة الإعلامية من أجل تنفيذ مؤامرة الاحتلال الذي حمل معه الصهيونيين إلى فلسطين ، وفي تبرير المؤامرة بعد تنفيذها . وخلّد سفر (إستر) إيمان الصهيونيين الأبدي بجدوى أساليب الخداع والتآمر ، وبأهمية الاتجار بالنساء الصهيونيات ، وبفائدة العمالة الصهيونية للأقوياء الطامعين باحتلال المنطقة التي يسكنونها ، وبلزوم التغطية الإعلامية لكل هذه التوجهات الحياتية بالدعاية الكاذبة التي يرّوجونها . كما عبّروا عن فرحهم الأبدي بالنتائج التي يحصلون عليها من اتباعهم لتلك الأساليب الدنيئة بالعبارات التي وضعوها في سفر (إستر) ، وزعموا فيها أن ربهم « يهوه » أصدر أمراً صريحاً إليهم بأن يحتفلوا بذكرى تلك الحادثة العجيبة في عيد البوريم الذي مايزالون حتى هذا اليوم يقيمونه في اليوم الرابع عشر من شهر آذار في كل عام (انظر العهد القديم : سفر إستر) .

الطرق غير المباشرة

من طبيعة الجماعة الصهيونية أنها تضع خططاً طويلة الأمد من أجل بلوغ أهدافها العامة الرئيسية . وبناءً على ذلك ، دأبوا منذ مئات السنين على القيام بنشاطٍ دعائي ذي طبيعة عامة ، يخدم هدف اغتصاب الأرض العربية عن طريق غير مباشرة ، علاوةً على الحركات الدعائية المحدّدة المعالم التي سبق شرحها في الفقرات السابقة . ذلك النشاط الدعائي العام هو النشاط الذي يتجه دوماً إلى خلق حالةٍ من الضعف العقلي ومن الإفلاس الروحي في مجتمعات الدول التي يريدون تسخيرها لخدمة هدفهم الخاص ، إنهم يفعلون ذلك لأن حالة اللامبالاة والخمول العقلي وقابلية الانقياد التي يشيعونها تكون تربةً مناسبةً لنشر الفوضى التي يسعون دائماً إلى زرعها ، لأنهم يرون أنها تفتح الباب « للشعب المختار » لكي يفرض مشيئته على تلك الدول ، ولكي يرغمها على تقديم الخدمات التي تطلبها الصهيونية منها . إن جزءاً كبيراً من جهدهم الدعائي يتّجه دائماً إلى نشر المبادىء الهدامة ، وإلى تخدير الشعوب ، وإلى بثّ السموم الفكرية التي تصيب العقل الجمعي لتلك الأمم بالشلل المميت . يقول البروتوكول الخامس من « بروتوكولات حكماء صهيون » بشأن هذا التوجه الدعائي المهلك : « إن المشكلة الرئيسية لحكومتنا هي : كيف نضعف عقول الشعب بحيث تتضاءل فيها ملكة النقد ، وكيف نسقم قوة الإدراك التي تنبع منها نزعة المعارضة ، وكيف نسحر عقول العامة بالكلام الأجوف » .

تعمل دعاياتهم غير المباشرة على شلّ وعي الإنسان بالمشاكل القومية والعالمية ، بحيث يتضاءَل إحساسه بالخطر على مجتمعه وعلى العالم ؛ وسبب هذه الحرب السرية التي يشنونها دوماً على الوعي الإنساني هو معرفتهم بأن الوعي اليقظ هو المصدر الأساسي للقوة التي تؤمّن وجوداً إنسانياً منظّماً وعزيزاً وكريماً . إن السلبية هي الهدف النهائي للتوجيه الخبيث الذي تنطوي عليه الدعاية الصهيونية ، فهي دعاية تسعى دائماً إلى صياغة عقولٍ من النوع اللامنتمي ، عقولِ ذلك النموذج من الناس الذين ليست لهم رسالة يقومون بتأديتها في البيئة ، وإنما يحملون دوافع قوية ضدّ مجتمعهم ، ولا يجدون سبيلاً إلى الاتفاق معه ، ولا يرون في الحياة الإنسانية إلاّ الفوضى ، وينسبون هذه الفوضى إلى مجتمعهم ، وهي في حقيقة الأمر متأصلة في أعماق نفوسهم ، وفي عقولهم اللامنتمية ، وهكذا يسعون إلى الهدم بدلاً من البناء ، وإلى التخريب الاجتماعي بدلاً من الإصلاح .

إن الأثر السلبي المبطّن للدعاية الصهيونية على الوعي الإنساني في الغرب الأوروبي وفي أمريكا يتركّز في إضعاف ملكة النقد ، لأن ضعف ملكة النقد يفسح لهم مجالاً واسعاً لنشر الفوضى في مجتمعات تلك الأقطار ، ولإحداث التخريب العقلي والإفساد الروحي ، لكي يزيدوا من تسلطهم الفكري على تلك المجتمعات . إنهم يعرفون أنهم بعد أن يضعفوا ملكة النقد بهذا الشكل سوف لا يتصدىٰ لهم الناس هناك بعقولٍ نافذةٍ رافضةٍ لتوجّهاتهم التخريبية ، وسوف لا يطالبونهم بتحديد وتخصيص ما يذكرونه في دعاياتهم ، وسوف لا يحاجّونهم بشأن النتائج المفجعة للعالم كله ، التي ستترتّب على تنفيذ الخطط التي يروّجون لها في تلك الدعايات ، وسوف لا يطلبون منهم أن يضعوا العواطف جانباً ويحكّموا العقل بدلاً منها . ولو أن حلفاء الصهيونية في الغرب احتفظوا بتلك النظرة الناقدة فيما يتعلق بالأفعال التي تمسّ مصلحة المجتمع الإنساني كله ومصلحة أقطارهم ، لانكشفت بها أضاليل الدعاية الصهيونية . إن حماية العالم من تأثير الإيحاء الخادع الذي تتمخض عنه الدعاية الصهيونية لا تكون إلا بتطوير العقول ، لكي تصبح قوية في نقدها للأفكار ، وقادرة على مقاومة الخداع .

فن الإنشاد في الشعر العربي

بقلم: د. عبدالرحيم الرحموني



★ سيبويه ★

جاء في لسان العرب: نشد الشعر وأنشده فنشده: أشاد بذكره، وهو من نشدت الضالة بمعنى رفعت نشيدي أي صوتي بها، فإنشاد الشعر إذن هو رفع الصوت به، والنشيد الشعر المتناشد بين القوم، ينشد بعضهم بعضاً[1].

والأصل في إلقاء الشعر الإنشاد لا القراءة السردية، فالشعر وُضع للترنم، كما قال سيبويه، والشيء إذا وُضع لشيء فإنه لا يحسن إلا به.

والإنشاد يجمع بين فصاحة القراءة وتطريب الغناء، وهو بذلك غير القرض، فقرض الشعر طريقة في الإبداع، بينما الإنشاد وسيلة في الإلقاء، وقد يرافق القرض الإنشاد إذا واجهت الشاعر الأحداث، فيرتجل الشعر ارتجالا، فيجمع بين القرض والإنشاد. كما أنه قد يفترقان، حينما يعمد الشاعر إلى التفكير في الموضوع وتخميره، فيكون القرض سابقاً للإنشاد.

حكمه

لقد كان بعض الناس يظنون أن إنشاد الشعر سبة[2]، فلقد قيل **لسعيد بن المسيب**: «هاهنا قوم نسَّاك يعيبون إنشاد الشعر»، قال: «نسكوا نسكاً أعجمياً»[3]، ولا غرابة في فتوى ابن المسيب هذه، فلقد تواترت الروايات والأخبار عن استماع **الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر**، فلقد استنشد كعب بن مالك أكثر من مرة[4]، واستنشد الشريد شعر أمية بن أبي الصلت[5]، بل وقد استمع إلى أشعار من كان يحاربه أشد الحرب **كعبد الله بن الزبعرى**[6]، وغيره، مما يعني أن ليس في الإنشاد بأس، إلا إذا كان في الشعر ما يخدش حرمة الدين أو تؤتى فيه النساء وتزدرى فيه الأموات[7].

أهمية الإنشاد

يعد الإنشاد ذا أهمية كبرى بالنسبة للشعراء وعامة الناس، فربما فضّل أحدهم الاستماع إلى الشعر بدل العطاء والنوال[8]، وربما قضى البعض الآخر نحْبه وهو يستمع إلى الشعر[9]، بل إن **معاوية بن أبي سفيان** كان قد أراد الهرب ليلة الهرير بصفين لشدة البلوى فما حمله على الإقامة كما قال إلا إنشاد أبيات لعمرو بن الإطنابة[10].

ويكفي الإنشاد أهمية أن الشعراء كانوا يتخذون منه وسيلة تثقيف لأشعارهم، فكان المبتدئ منهم إذا نفث على لسانه الشعر عرضه على الفحول أو على العلماء، فإن كان الشعر حسناً، أُمر صاحبه بإذاعته، كما فعل **الفرزدق** حينما أنشده **الكميت** قصيدته (طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب)[11]، وإن كان الشعر رديئاً أُمر صاحبه بستره ونُهر عن قوله، كما فعل **المازني النحوي بأبي الشبل**، حينما كان حديث السن[12].

ولذلك افتخر كثير من الشعراء بإنشاد أشعارهم، أليس **المتنبي** هو القائل:

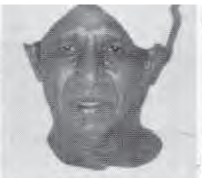
وما الدهر إلا من رواة قصائدي ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمراً ... وغنّى به من لا يغني مغردا

ومن أجل هذه الأهمية، كان كثير من الشعراء يتضورون جزعاً إذا أنشد أصحابهم أو خصومهم، ولم يتمكنوا هم من ذلك، هذا **ضرار بن الخطاب، وعبد الله بن الزبعرى** بعد إسلامهما يناشدان **حسان** الشعر، «فأنشداه حتى إذا صار كالمرجل يفورُ قعدا على



★ المتنبي ★



★ د. عبد الله الطيب ★

رواحلهما ، فخرج حسان حتى تلق **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** فأخبره خبرهما ، فقال : لا جَرَمَ لا يفوتانك ، فأرسل في إثرهما فرُدا ، وقال لحسان أنشدهما ، فأنشد حاجته »[١٣] .

كما كان الفرزدق يشتد جزعه إذا أنشد **لجرير**[١٤] ، بل إن فوارس الهجاء قد دفعت كلاً من جرير والفرزدق إلى هجاء من ينشد شعر الآخر ، بل وتهديده بالقتل ، كما فعل الفرزدق **بمِرْبَع** الذي كان ينشد شعر جرير في الأسواق ، ولذلك قال جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ... أبشر بطول سلامة يا مربع

أماكن الإنشاد

كان الشعراء ينشدون أشعارهم في كل مكان ، فمن دور العجان وحوانيتهم التي كانت في العراق ، إلى بساتين العشاق النضيرة ومتنزهاتهم الظليلة ، كالتي كانت مبثوثة في وادي العقيق بأم القرى ، إلى الساحات العمومية والدور الواسعة ، التي كانت على عهد الأمويين بالحجاز ، إلى قصور الممدوحين من خلفاء ووزراء وقواد ، بل وقد يكون الإنشاد في الطريق وفي أماكن العمل .

لكن هناك ثلاثة أماكن اشتهرت بالإنشاد حتى عرفت به ، وهي :

(أ) الأسواق : واشتهر منها سوقان :

● **عكاظ :** ولقد كان في الجاهلية واستمر في الإسلام قليلاً ، ولقد « كانت قبائل العرب تجتمع في عكاظ في كل سنة ويتفاخرون ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون »[١٥] .

● **المربد :** وقد نشأ في الإسلام قريباً من البصرة ، حيث كان لكل شاعر مجلس يعرف به يقصده الناس ويتحلقون به ، حتى عرف جماعة منهم باسم المربديين لاختصاصهم بحضور ندواته الشعرية .

(ب) المساجد : لم يكن المسجد مكاناً لأداء فرائض العبادات فحسب ، بل ومقراً لعدة أنشطة علمية ودينية ؛ فلقد روي أنه كان يوضع لحسان منبر في مؤخر المسجد ، يقوم عليه فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٦] . وروى **الشعبي** أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتناشدون الأشعار بفناء الكعبة[١٧] .

أما في **العصر العباسي** ، فلقد كان الشاعر « الحديث العهد بفنه ونتاجه يطلب الشهرة وينشد الناس بغية نشر شعره وطرحه عليهم ، فيدخل المساجد محاولا إيجاد مكان له بين الشعراء المتربعين على عروشهم في حلقاتهم الخاصة ينشدون أشعارهم ويسمعون أشعار الجُدُد من الشعراء »[١٨] .

(ج) الأندية : أما النادي فهو المكان الذي يجتمع فيه القوم ويتذاكرون فيه أمورهم ويتشاورون ، كما كان يتميز بإنشاد الشعر ورواية الأخبار ، فخلفت لنا بذلك الأندية الأدبية مجموعة هامة من المادة الأدبية .

آداب الإنشاد

كان من المتعارف عليه عند الشعراء المنشدين والمستمعين على السواء ، أن يخضع المنشد لبعض الأعراف والآداب ، وتتعلق بصفة عامة بالهندام والهيئة والصوت والتشخيص :

أ ـ الهندام : من المعروف في باب البيان أن لهيئة المتكلم دوراً في التأثير في السامع[١٩] . وإذا كان للخطيب لباس خاص[٢٠] ، فإن الشعراء كانت « تلبس الوشي والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهر »[٢١] .

ولقد كان البعض يحبذ أن يتزيا الشاعر المنشد بزي الأعراب ، لأنه « من تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً »[٢٢] ، وخاصة في المدح . فلقد دخل **العماني الراجز** على « **الرشيد** ينشده شعراً وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج ، فقال : إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دمالقان[٢٣] .. فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزي الأعراب »[٢٤] .

أما في الهجاء ، فيبدو أن الشعراء قد اختلفوا في ألبستهم ، فلقد كانت عادة الشاعر الجاهلي إذا أراد الهجاء حلق رأسه وترك ذؤابتين ، ودهن أحد شقي رأسه وأرخى إزاره ، وانتعل نعلاً واحدة[٢٥] . وكذلك كان زي حسان بن ثابت في خضابه ، فكان يلوث شاربيه وعنفقته بالحناء دون سائر لحيته ، فيبدو لأول وهلة كأنه أسد والغ في الدم[٢٦] .

وإذا كان هذا الشكل المظهري يبدو مقترناً بمعتقدات الجاهليين ، حيث كانوا يهدفون إلى إصابة المهجو بالشر ، فإنه قد استمر عند شعراء الهجاء بعد الإسلام ، وخاصة عند **شعراء النقائض** . فلقد خرج **العجاج** « متحفلاً عليه جبة خز وعمامة ، على ناقة له ، قد أجاد رحْلَها حتى وقف بالمربَد والناس مجتمعون ، فأنشدهم (قد جبر الدين الإلٰه فجبر) ، ذكر فيها ربيعة وهجاهم ، فجاء رجلٌ من بكر بن وائل إلى **أبي النجم** وهو في بيته ، فقال له : أنت جالس وهذا العجاج يهجونا بالمربد ، قد اجتمع عليه الناس ، قال : صف لي حاله وزيَّهُ الذي هو فيه ، فوصف له ، فقال : أبغني جملاً قد أكثر عليه من الهناء ، فجاء بالجمل إليه ، فأخذ سراويل له ، فجعل إحدى رجليه فيها واتزر بالأخرى ، وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده ، فانطلق حتى نزل بالمربد . . . »[٢٧] .

ب ـ الهيئة : لقد كان الشاعر ينشد شعره قائماً فوق ناقته ، آخذاً بعصاه أو بقوسه ، متكئاً عليه ، أو مشيراً به ، متفاعلاً مع شعره ، ومع

سامعيه ، راسماً في الإلقاء معانيه محسناً لذلك ما وسعه الإحسان فانياً فيه الفناء[٢٨] .

ولقد كان لشعراء المدح بالخصوص ، فيما يبدو ، جولات متعددة مع ممدوحيهم ، من حيث إنشادهم وهم وقوف أو قعود . ذلك أن الشعراء كانوا يرون الضعة في الإنشاد من وقوف ، فتحاموه من كل سبيل ، بينما كان الممدوحون كثيراً ما يأمرون الشعراء بالقيام . هذا **الطرماح بن حكيم** يغدو على **مخلد بن يزيد بن المهلب الأزدي** ، فتقدم « لينشد ، فقيل له : أنشد قائماً ، فقال : كلا والله ! ما قدر الشعر أن أقوم له فيحط مني بقيامي وأحط منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب »[٢٩] . وهذا **سليمان بن عبد الملك** يغضب على الفرزدق ، بعد ما فخر في شعره بآبائه وهو يمدحه . . فأمره ألا ينشد بعده إلا قائماً ، فبينما هو كذلك « سمع ضوضاء بالباب ، فسأل : ما هذا ؟ . . فقيل بنو تميم بالباب يقولون : لا ينشد الفرزدق قائماً وأيدينا في مقابض سيوفنا ، فتدارك سليمان الموقف وقال : فليأت غداً ولينشد قاعداً »[٣٠] .

أما **المتنبي** فلقد اشترط « أول اتصاله **بسيف الدولة** أنه إذا أنشد مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد ، وأنه لا يكلف بتقبيل الأرض بين يديه ، فنسب إلى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط »[٣١] . لكن المتنبي تنازل عن هذا الشرط في مدائحه **لكافور** ، وهو أمر يثير العجب كما يقول **البديعي** .

وإن كان معظم الممدوحين يطلبون الوقوف من مادحيهم فإن بعضهم أمروا منشديهم بالجلوس إكراماً لهم[٣٢] ، بل إن الأمير **طاهر العلوي** حينما قصده المتنبي ليمدحه التقاه طاهر مُسَلِّماً وأخذه بيده ، فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه ، ثم أنشده المتنبي قصيدته فأجازه[٣٣] .

جـ ـ الصوت : أما الصوت فيكفي أن نشير إلى ما ذكره **الجاحظ** من أنهم « كانوا يمدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت ، ولذلك تشادقوا في الكلام ، ومدحوا سعة الفم وذموا صغر الفم » ، ولقد « قيل لأعرابي ما الجمال ، قال : طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق وبُعد الصوت »[٣٤] .

د ـ التشخيص : إذا كان الجاحظ قد عد الإشارة وسيلة من وسائل البيان[٣٥] ، وتحدث بتفصيل عن دور الإشارة باليد أو العصا في التأثير في السامعين أثناء الخطبة ، فإن هذه الإشارات لا تقل أهمية في مجال إنشاد الشعر . يقول **الدكتور عبد الله الطيب :** « وكان الشعراء يتبعون أسلوباً تشخيصياً أثناء الإلقاء »[٣٦] ، ولذلك كان بشار « إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب »[٣٧] . وكان **أبو النجم العجلي** إذا أنشد « أزبد ورمى بثيابه »[٣٨] . كما كانت **الخنساء** « تهتز في مشيتها وتنظر في أعطافها حين أنشدت مرثيتها الرائية في أخيها صخر »[٣٩] .

أما **البحتري** فلم يكن فيما يبدو موفقاً في حركاته التشخيصية ، إذ كان أثناء إنشاده « يتشادق ويتزاور في مشيته مرة جانباً ومرة القهقرى ، ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول : أحسنت والله . ثم يقبل على الناس . فيقول : ما لكم لا تقولون : أحسنت ! هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله »[٤٠] .

الهوامش

(١) لسان العرب ، نشد .
(٢) جمع الجواهر للحصري ، ص ٣٢ .
(٣) البيان والتبيين ، ١/ ٢٠٢ .
(٤) الأغاني ، ١٦/ ١٧٠ .
(٥) صحيح مسلم ، ٥/ ١١٠ .
(٦) السيرة النبوية لابن هشام ، ٤/ ٤٥ .
(٧) شرح معاني الآثار للطحاوي ، ٤/ ٢٩٧ .
(٨) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، ص ٥٨ ـ ٥٩ .
(٩) معاهد التنصيص للعباسي ، ٣/ ٣١ .
(١٠) نقلاً عن مقدمة طبقات فحول الشعراء لابن سلام .
(١١) مقدمة هاشميات الكميت .
(١٢) تاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي لشوقي ضيف ، ص ١٨٣ .
(١٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٧ .
(١٥) نقلاً عن مقدمة طبقات فحول الشعراء لابن سلام .
(١٦) العمدة لابن رشيق ، ١/ ٢٧ .
(١٧) شرح معاني الآثار للطحاوي ، ٤/ ٢٩٧ .
(١٨) الأندية الأدبية في العراق في العصر العباسي لعلي محمد هاشم ، ص ١٩٣ .
(١٩) البيان والتبيين ، ١/ ٨٩ .
(٢٠) المصدر نفسه ، ٣/ ٩٢ .
(٢١) المصدر نفسه ، ٣/ ١١٤ .
(٢٢) المصدر نفسه ، ١/ ٩٤ .
(٢٣) الدمالق : المستدير الأملس .
(٢٤) البيان والتبيين ، ١/ ٩٥ .
(٢٥) نقلاً عن تاريخ آداب العرب للرافعي ، ٣/ ٢٣ .
(٢٦) المرجع نفسه .
(٢٧) الأغاني ، ٨/ ٢٩ ـ ٣٠ .
(٢٨) المعلقات ، سيرة وتاريخاً لمحمد نجيب البهبيتي .
(٢٩) أمالي المرتضى ، ٢/ ٣١ ـ ٣٢ .
(٣٠) شرح نهج البلاغة ، ٤/ ٧٦٤ .
(٣١) الصبح المنبي للبديعي ، ص ٧١ .
(٣٢) ديوان ابن حيوس ، ١/ ١٨ .
(٣٣) الصبح المنبي ، ص ٧١ .
(٣٤) البيان والتبيين ، ١/ ١٢٠ ـ ١٢١ .
(٣٥) المصدر نفسه ، ١/ ٧٦ .
(٣٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب لعبد الله الطيب ، ٣/ ١١١١ .
(٣٧) بشار بن برد لطه الحاجري .
(٣٨) المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي ، ص ١٣٠ .
(٣٩) المصدر نفسه .
(٤٠) معجم الأدباء لياقوت الحموي ، ١٨/ ١٢ ـ ١٣ .

وماذا بعد.. يا دنيا؟

شعر: يس الفيل

ماذا أخذتُ ؟ . . وماذا بعدُ أنتظرُ ؟
وأنتِ ، أنتِ إناءٌ فارغٌ قذرُ
إذا بسطتُ له كفيَّ . . أسأله
برداً ، تقطَّر من أشداقِه الضجرُ
وإن تلمَّسْتُه . . فالغيظ يأكلني
مما أراه على الجنبين ينتشرُ
إني تصورتُ : أني حين أملكه
فسوف يخْضرُّ حولي الظلُّ والشجرُ
وسوف يمنحني ماء الحياة . . إذا
ما أجدبت في يدي الأيامُ والبشرُ
يا كم بذلتُ ، ويا كم جدتُ في زمن
ليلاته بدموع الحزن تنهمرُ
لم يعطني ، مثلما أعطى ، ولا ارتفعت
في كفه كفتي ، والعدل مفتقرُ
وأمنياتي سرابٌ . . بات فوق يدي
يستنهض الضجرَ أن ياتي ، فيعتذرُ
ووحشة الليل من حولي تبعثرني
على الدروب شظايا ما بها نظرُ
وأنتِ ، أنتِ كما أملتُ منحدر
على جوانبه الآمال تنحدرُ
تمضي ، وأمضي . . ولا أدري لأي مدى
أعدو . . ونارك في الأحداق تستعرُ ؟
الحزن أنتِ . . وهذا الحزن يصرعني
أنى مضيتُ . . فماذا بعدُ أنتظرُ ؟



لقاء العدد

أعد اللقاء : مجدي إبراهيم



د. محمد عمارة

الإسلام .. والتفاعل الحضاري

لقاؤنا في هذا العدد مع مفكر إسلامي أثرى المكتبة العربية والإسلامية بعطاء فكره وعلمه ليبقى مرجعاً غنياً للدارسين والباحثين .. وقد استطاع بعلمه أن يفتح آفاقاً ورؤى جديدة أمام عصره وأبناء عصره .. وأن يثبت أنَّ ثراء الفكر الإسلامي وتجدده لا تحكمه قاعدة التقادم ـ مرور الزمن ـ وأنه حي ومؤثر في كل صاحب عقل سليم ينشد الحق ، ويسعى إلى الخير والعدل .

لقاؤنا هذا مع الدكتور محمد عمارة الذي ولد في مصر عام ١٩٣١م ، وتخرج في كلية دار العلوم حيث حصل على إجازتي الماجستير والدكتوراه .

وقد استطاع خلال حياته أن يقدم للمكتبة العربية أكثر من ستين كتاباً بين تأليف ودراسة وتحقيق . منها : « الأمة العربية وقضية التوحيد » ، و« الإسلام والسلطة الدينية » و« العرب والتحدي » ، وغيرها من الأعمال التي ترجمت إلى الإنجليزية والإسبانية والروسية .

وقد حصل في عام ١٩٧٢م على جائزة « جمعية أصدقاء الكتاب بلبنان » عن مؤلفه « دراسة للأعمال الكاملة لمحمد عبده » .. كما حصل على جائزة الدولة التشجيعية في مصر عام ١٩٧٦م عن كتابه « دراسة الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي » .

في هذا اللقاء يناقش الدكتور عمارة مجموعة من القضايا الهامة التي تمس حياة الأمة العربية والإسلامية .



★ د . محمد عمارة ★

الإيمان بالإسلام

●● ظاهرة اتجاه بعض المفكرين الغربيين وعلى رأسهم جارودي إلى الإسلام كبديل حضاري قال البعض : إنها حتمية الرجوع إلى الحق . كيف ترى الموقف وما المدى الذي يجب أن يصل إليه المسلمون في تفاعلهم مع الحضارة الغربية ؟

● قضية انعطاف بعض المفكرين في الغرب إلى الإيمان بالإسلام هذه القضية ليست حديثة وإنما هي من القضايا التي كانت محل جدل في القرن التاسع عشر ، ونحن عندما نقرأ لأئمة التجديد في ذلك التاريخ ومنهم الإمام **محمد عبده** ، نجده يتحدث عن مستقبل الإسلام في الغرب ، لأن الحضارة الغربية

حضارة ذات طابع عقلاني ـ وإن كانت عقلانيتها ذات طابع خاص . هو الطابع اليوناني ، والمسيحية بما فيها من تنحية للعقل عن قضايا كثيرة ومجالات كثيرة لا تلبي احتياجات العقل العلمي ، والعقل المفكر حتى في الحضارة الغربية ، **أما ما يتميز به الإسلام من عقلانية واضحة وبارزة فهو الذي يرشحه بأن يكون مركز جذب للصفوة المفكرة في الحضارة الغربية** ، وإذا كانت الحضارة الغربية تمر بمأزق ـ وقد وصلت إلى طريق شبه مسدود ـ وإذا كانت الصحوة الإسلامية قد أخذت تبرز الوجه المشرق للإسلام ، فهذه كلها عوامل تلفت نظر الكثيرين من المفكرين في الغرب إلى الإسلام ، إذن الانعطاف نحو الإسلام هو ظاهرة طبيعية ، ولهذه الظاهرة مستقبل كبير في ظل الحضارة الغربية .

العقلية الغربية مؤهلة للإنعطاف نحو الإسلام بما لها من رصيد في التفكير العلمي والعقلاني تجد راحتها في الفكر الإسلامي لطابعه العقلاني ، ولو لم يكن التخلف الذي يعيش فيه العالم الإسلامي ، ولو لم يكن هذا التدهور الذي تعيشه جماهير المسلمين . لكانت للإسلام جاذبية أكبر وأكبر في إطار الحضارة والمجتمعات الغربية .

التمايز الحضاري

●● بهذه المناسبة يقول جارودي : (إنه ليس صحيحاً أن العلم العربي كان مجرد مقدمة للعلم الغربي الحاضر ، فالعلم العربي عكس موقفنا الفلسفي الذي يؤمن بالحتمية ... ، وقال أيضا : إن الغرب اقتبس أسس يقظته من العرب والإسلام وأن النهضة الغربية لم تستفد من الحضارة العربية الإسلامية إلا طريقتها التجريبية وأساليبها الفنية) .. ما أبعاد هذه القضية في رأيكم ؟

● حقيقة أن هذا السؤال وهذه الكلمات للمفكر **جارودي** تطرح قضية بالغة الأهمية وهي التي نتحدث عنها ما نسميه بـ « **التمايز الحضاري** » ، تميز الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية على وجه التحديد ، فصحيح أن العلم العربي لم يكن مجرد مقدمة للعلم الغربي ، وصحيح أيضاً أن العلوم الطبيعية هي واحدة ولا تختلف باختلاف الحضارة والمواطن والقوميات ، فالكيمياء والرياضة والطب وغيرها من العلوم الطبيعية ـ بل وأحياناً تطبيقات هذه العلوم هي مما تتفق عليه الإنسانية على اختلاف قومياتها وحضاراتها ، ولأن هذه العلوم المؤسسة على الدليل والتي هي حقائق علمية لا يختلف فيها العقل الإنساني باختلاف القوميات والحضارات ـ ولكن بالرغم من صدق هذه الحقيقة فإن الملابسات التي تحيط حتى بهذه العلوم الطبيعية من الممكن أن تتمايز وأن تتغاير بتغاير الحضارات ، فعلى سبيل المثال : في الحضارة الغربية نجد أن العلوم الطبيعية تُقدَّم إلى العقل الإنساني كسبل للكشف عن أسرار هذه الطبيعة وهذا الكون ـ فهي تتوجه إلى العقل الإنساني فتقوده لتكشف له عن أسرار الكون ولتجعله واعياً بقوانين الوجود ـ لكنها وهي تصنع ذلك لا تعلِّم هذا الإنسان أن هناك سبباً أعلى وخالقاً أعظم وراء هذه القوانين ووراء هذا الوجود ـ إذن هي تكشف المغاليق للعقل الإنساني دون أن تعلمه أن هناك خالقاً لهذا الكون الذي تكشف له مغاليقه ، قد لا تعلِّمه الإلحاد ـ لكنها تُكوِّن عقلاً يستقل أو يحاول أو يزعم أنَّه مستقل عن الخالق الأعظم لهذا الكون ، أما في حضارتنا الإسلامية فإن ذات العلوم أي العلوم الطبيعية نجد العلماء الذين أبدعوا فيها والعقل الذي اهتم بها . إنما يتناول فنون ومباحث هذه العلوم الطبيعية باعتباره عقل إنسان مكلَّف من خالق أعظم لهذا الكون .. عقل خليفة عن الله سبحانه وتعالى وهو يكشف أسرار الطبيعة ـ لا لمجرد السيطرة على الطبيعة بل أداء لرسالة إلهية كلَّفه الله بها أن يعلِّم ويتعلَّم ويتفقه في هذه العلوم كي يُعمِّر الأرض والكون وفقاً لقوانين ونظم وسياج خلافته عن الله سبحانه وتعالى .

إذن .. رغم اتفاق هذه العلوم الطبيعية في أنها مؤسسة على الحقائق العلمية إلا أن وظيفتها في الحضارة الإسلامية تتميز عن وظيفتها في الحضارة الغربية ، الهدف منها يتميز لأن في الحضارة الإسلامية هناك ارتباط ما بين العلم وما بين الغاية ، ما بين الحقائق العلمية وما بين الحكمة من هذه الحقائق العلمية ، ومن هنا فالعلم وفق المعايير الإنسانية ـ العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ـ لابد وأن تكون غايتها هي الغاية الخيِّرة لأن هذه العلوم ومباحثها وتطبيقاتها هي وظيفة من الوظائف التي عهد الله سبحانه وتعالى بها إلى العقل الإنساني في العالم ، إذن هنا تتميز العلوم الطبيعية ويتميز العلم العربي والإسلامي عن العلم في الحضارة الغربية ولا يصبح العلم العربي مجرد مقدمة للعلوم في الحضارة الغربية .

أما مدى استفادة الحضارة الغربية من الحضارة العربية الإسلامية ففي الحقيقة أيضا أن مقولة جارودي مقولة صادقة لأن الغرب عندما كان بسبيله إلى النهضة وعندما فتحت الحضارة الغربية على الحضارة العربية الإسلامية أخذت من حضارتنا العلوم الطبيعية وتطبيقاتها والمنهج التجريبي أما كل ما كان يتعلق بفلسفتنا ، بعقائدنا ، بتصوراتنا للكون أي بثقافتنا فهذا الجانب استبعدته الحضارة الغربية ولم تأخذ به ولم تقتدِ به في نهضتها الحديثة .

بل لقد بلغ الأمر بهم حتى في المفكر الواحد أن يعزلوا بعضا من فكره عن البعض الآخر ،

ففي **ابن رشد** على سبيل المثال وهو الذي اهتمت به الحضارة الغربية في نهضتها ، أخذوا ابن رشد الشارح **لأرسطو** ، أي أخذوا الجانب المتعلق بتراثهم هم من فكر ابن رشد ، أما ابن رشد الفقيه القاضي ، ابن رشد المؤمن بالتوحيد ، ابن رشد المتكلم المسلم فهذا الجانب الذي هو من خصوصيات الحضارة العربية الإسلامية كان مرفوضاً وظل مرفوضاً من قِبل الحضارة الغربية ، إذن نستطيع أن نقول مع جارودي **إن الحضارة الغربية أخذت العلوم التجريبية والمنهج التجريبي وتطبيقات العلوم التجريبية من حضارتنا ولم تأخذ الفكر والثقافة والمثل والقيم والأخلاقيات** ، أي أنها أخذت بجانب عام وشائع والذي لا يختلف باختلاف الحضارات ، أما ما يتميز به حضارياً وفكرياً وثقافياً وهو الذي يتعارض مع ما تتميز به الحضارة الغربية من طابعها المادي الإلحادي المتوارث منذ اليونان فلقد رفضوه من حضارتنا وأعتقد أن هذا درس للذين يتحدثون عن التفاعل بين الحضارات والانفتاح على الحضارات الأخرى ـ نعم لابد من التفاعل مع مختلف الحضارات ولابد من الانفتاح على مختلف الحضارات لكن لكل حضارة معيار تزن به ما هو مقبول وما هو مرفوض . لكل حضارة معيار يقبل أشياء فيتمثلها ويهضمها وتتحول إلى طاقة تزيد قسمه الاستقلال والتميز عند هذه الحضارة وعلى حين أن هناك ما هو طامس وناسخ وماسخ لهذا التمايز الحضاري ، فكما أن الغرب عندما انفتح على حضارتنا أخذ أشياء ورفض أشياء فأيضاً لابد وأن يكون هذا درسٌ لكل الذين يتحدثون عن التفاعل والتلاقي بين الحضارات .

وظيفة الإنسان

●● كيف تقف ممن يرون أن العلم الإسلامي محركه الأساسي هو البحث عن آيات الله في الطبيعة وفي التاريخ لتحقيق مشيئة الله دون الابتعاد عن الأسباب والنواميس ؟

● بالطبع هذه المقولة صادقة ، شريطة ألا يكون هناك تضييق لنطاق المشيئة وتضييق لنطاق النواميس ، إذا نحن فهمنا مكانة الإنسان المسلم كما أرادها الله في هذا الكون وهي عمارة هذا الكون ، إذا نحن فهمنا هذه الوظيفة الإنسانية ، عمارة الكون ، فلابد وأن يكون كل نشاط إنساني علمياً كان أو فنياً أو أدبياً أو ثقافياً أو تطبيقياً ـ لابد أن يكون كل هذا النشاط الإنساني في دائرة المشيئة الإلهية ، في دائرة التكليف الإلهي لأن وظيفة الإنسان هي عمارة هذا الكون على النحو والنمط الذي أراده الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا نفهم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ فهذه العبادة ليست هي الشعائر فقط كما يتصورها البعض وإنما كل مسعى الإنسان في سبيل الخير ، في سبيل التعمير ، في سبيل التقدم ، في سبيل البحث العلمي ، كل نشاط إنساني حتى بما فيه النشاط الترفيهي بما فيه التزين بما فيه أن يتمتع الإنسان بخيرات هذه الدنيا وطيباتها كل هذا النشاط الإنساني المشروع هو عبادة لله سبحانه وتعالى ، فالعلم والبحث العلمي والسعي في هذا الكون وفق المقاييس والمناهج العلمية هو جزء من العبادة ، ومن هنا يجب أن يكون الإنسان فيها ملتزماً بالتكاليف الإلهية ، بالأُطر ، بالنواميس التي حددَّها الله لخليفته كي يعمِّر الأرض وفق هذا المقياس الإلهي .

الوسطية الإسلامية

●● كثر ترديد لفظة (الوسطية الإسلامية) في الفترة الأخيرة نرجو إلقاء الضوء على هذا المفهوم ، وهل من الممكن الوصول إلى صياغة حضارية إسلامية جديدة في الاقتصاد والسياسة والثقافة داخل إطار هذا المفهوم ؟

● بالفعل مفهوم ومصطلح الوسطية الإسلامية من المصطلحات التي تحتاج إلى كثير من الدراسات وتسليط الأضواء ، لأن مصطلح الوسطية هو واحد من المصطلحات التي أصبحت للأسف الشديد غير مفهومة لدى عامة المثقفين بل ولدى نفر من خاصة المثقفين ثقافة غربية ـ هم يفهمون الوسطية على أنها نوع من انعدام اللون والرائحة والطعم ، انعدام التجديد ، التميع ، الثنائية ، وكل هذه المفاهيم قد تكون مفاهيم الوسطية في الحضارة الغربية بل إن بعضهم يفهم الوسطية على النمط الأرسطي أنها نقطة رياضية بين قطبين ، أما المفهوم الحقيقي للوسطية في الفكر الإسلامي وفي التصور الإسلامي فهي ليست على هذا النحو ، **الوسطية في المفهوم الإسلامي هي موقف ثالث يجمع ويؤلف بين ما يمكن جمعه وتأليفه من أقطاب الظاهرة المتناقضة** فعلى سبيل المثال ، نحن نتحدث عن الكرم ، الكرم موقف وسطي بين البخل والإسراف ، هو غير البخل والإسراف ، لكنه فيه شيء من السمات ؛ سمات التدبير وسمات البذل والعطاء . الشجاعة موقف وسط بين الجبن والتهور ، لكنه فيه شيء من الإقدام ومن الإحجام .

إذن ، عندما نتحدث عن الوسطية ، نتحدث عن موقف ثالث يؤلف ويجمع نتحدث عن موقف ثالث فيه نظرة شمولية لا تقف بين قطبي الظاهرة ، كالنقطة الرياضية بين قطبين لكنها تقف موقفاً وسطاً يجمع ويؤلف بين ما يمكن جمعه وتأليفه من قطبي الظاهرة .

عندما نتحدث عن العقلانية الإسلامية ، لا

العقلانية اليونانية التي ترفض الوحي والنقل والنص ـ ولا عن النصوصية التي ترفض العقلانية ـ وإنما نتحدّث عن عقلانية تؤلف ما بين العقل والنقل ، نقرأ النقل قراءة عقلية ، تحاكم النقل والمأثور والنص إلى العقل ، وأيضا تجعل العقل يقف خاشعاً أمام المناطق التي لا يستطيع أن يستقل بفهمها وفقهها ووعيها ، إذن **العقلانية ليست موقفاً بين العقل والنقل وإنما هي جمع وتأليف ما بين العقل والنقل .**

ونحن إذا نظرنا في حضارتنا الإسلامية ، نجد فلسفتنا الإسلامية وهي علم الكلام الإسلامي مؤسس على هذه الحقيقة ، أيضا عندما نتحدث في المجال الاقتصادي ، سنجد أن الوسطية الإسلامية ليست مع الفردية المطلقة كالليبرالية الغربية وليست مع الشمولية الغربية ، وإنما هي تقف موقفاً متميزاً ـ ليس بين الاثنين ـ وإنما هو الموقف الجامع لما يمكن جمعه وتأليفه من الموقفين ، المال مال الله والناس مستخلفون في هذا المال . إذن ، الملكية الحقيقية ملكية الرقبة في المال لله سبحانه وتعالى ﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ . ﴿ انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ ، لكن الإنسان كإنسان ليس مجرداً من الملكية تماماً وإنما له في المال ملكية مجازية أي ملكية المنفعة ، أي ما نسميه الوظيفة الاجتماعية في الأموال .

إذن ، هنا موقف ثالث يجمع ما بين الانحياز إلى الملكية العامة والملكية الفردية إطلاقاً فيؤلف بين ما يمكن جمعه وتأليفه من القطبين المتعارضين في المجال الاقتصادي ، إذن ، في كل المجالات الفكرية والاجتماعية والثقافية في علاقة الدين بالدنيا ، في علاقة الدين بالدولة ، في علاقة الدنيا بالآخرة ، في علاقة الفرد بالمجموع ، في كل هذه الميادين والمجالات نجد أن للوسطية الإسلامية مدخلاً وأنها زاوية للرؤية نستطيع من خلالها أن نحدِّد نهجاً فلسفياً وموقفاً حضارياً متميزاً ، بل لا أُبالغ إذا قلت إن هذه الحقيقة في الحضارة العربية الإسلامية هي الخصيصة الجامعة ، هي المدخل لبلورة مشروع حضاري عربي إسلامي متميز ، يكون بديلاً للحضارة الغربية ذات الطابع الإنشطاري والثنائي والتي تنحاز إلى قطب واحد من أقطاب الظاهرة على حساب القطب الآخر .

تحديات داخلية وخارجية

●● ما الذي يهدِّد المسلمين في زماننا هذا .. وما مسؤوليتهم اليوم تجاه تاريخهم وتراثهم وتجاه دينهم وعقيدتهم ؟

● بالطبع هذا سؤال كبير ، الذي يهدد المسلمين في عصرنا الراهن تحديات كثيرة ، بعض هذه التحديات داخلي وبعضها خارجي ، وهناك من يعلِّق كل أسباب التخلف ويرجع كل التحديات إلى الأسباب الخارجية فقط وبالتحديد الاستعمار الغربي ، وهناك من يُرجِع أسباب التخلف ويرى فقط التحديات الداخلية وخاصة التخلف الموروث عن العصور المملوكية والعثمانية والضعف الذاتي الذي تعيشه الجماهير الإسلامية والنظم الإسلامية لكنني ممن يؤمنون بالارتباط الوثيق ما بين التحديات الخارجية وبين التحديات الداخلية .

إذن ، هناك ارتباط ما بين العوامل الخارجية والتحديات الخارجية وما بين العوامل الداخلية والتحديات الداخلية هذه النظم العسكرية وعسكرة المجتمع منذ العصر المملوكي أدت إلى انحسار العقلانية العربية الإسلامية وإلى سيادة أنماط الشعوذة والخرافة في الحركات الفكرية .

إذن التخلف الفكري وانحسار العقلانية هذه عوامل تخلف داخلية نبعتْ من النظم التي لم تكن ذات طبيعة عربية حضارية ، ولم يكن لها مران على العقلانية العربية الإسلامية .

إذن ، نجد أن التخلف في الفكر ، وعسكرة المجتمع وهي تحديات داخلية لها ارتباط وثيق ، وهناك خيوط تشدها وتربطها بالعوامل الخارجية .

بقاء العوامل الخارجية التي تهددنا ـ تترية وصليبية ـ ثم استعمارية في العصر الحديث هو الذي كان ولايزال يحرس عوامل التخلف الداخلية ، نحن ننظر الآن في واقعنا فنرى الإقليمية والتشرزم والنظم الإقليمية المتشرذمة ونظم ملوك الطوائف في عالمنا العربي والإسلامي نرى فيها نمطا من أنماط التحديات والمخاطر التي تهدد المسلمين في عالمنا ...

لكن من الذي أنبت وزرع ورعى ويرعى هذه النظم وهذه العوامل ، وهذا التشرذم وهذه الإقليمية ؟

إنه الغرب الاستعماري ، إذن هناك ارتباط وثيق ما بين عوامل التخلف الداخلي وما بين الأخطار الخارجية حتى الخرافة والشعوذة والجمود الفكري ، كل هذه النزعات لو رأينا مسيرتنا الفكرية والتاريخية نجد أن هذه المؤسسات التي ترعى هذا اللون من ألوان الفكر ، كانت تجد الرعاية من الغرب الاستعماري ومن التحديات الخارجية ، خذ على سبيل المثال في **الجزائر** كان الاستعمار الفرنسي يحارب جماعة العلماء والشيخ **عبد الحميد ابن باديس** ، ولكنه كان يرعى حركة التصوف التي كانت ترى في الاستعمار قدراً إلهيا .

إذن ، عوامل التخلف الداخلية ، عوامل التشرذم الداخلية أو ما اسميه بالتحديات الداخلية هي عوامل لها علاقة ولها صلات بالتحديات الخارجية

إن ما يهددنا ، يهدد واقعنا ، يهدد مستقبلنا هي عوامل كثيرة بعضها خارجي وبعضها داخلي ، لكن هناك علاقات تربط بينها برباط وثيق .

✱ الوسطية في الإسلام موقف مستقل .

مسؤولية المسلمين

●● ما مسؤوليات المسلمين اليوم تجاه تاريخهم وتراثهم ؟

● واجبات المسلمين كثيرة ، الواجب الأول هو أن نمعن النظر ونجدَّ السير في سبيل النهضة ، وأن نفكِّر جيداً ومليّاً في أن نهضتنا لابد وأن تكون ذات طابع عربي إسلامي ، وأن هذه الأمة لها دور تاريخي كما كانت في يوم من الأيام ذات حضارة هي المنارة التي تشع على العالم وتثري الفكر الإسلامي فلابد لهذه الأمة أن تعود مرة أخرى بالنهضة العربية الإسلامية إلى ممارسة ذات الدور .

إذا كانت هذه الغاية وهذه هي المهمة الرئيسية والأساسية فعلى كل ذي فكر ، وعلى كل من يحمل هموم أمته أن يفكر في السبل والرؤى والمناهج والوسائل التي تؤدي إلى أن تنهض الأمة بهذه الرسالة الخالدة ، فإذا كنا أمة واحدة وإسلامنا هو الرسالة الخالدة لهذه الأمة الواحدة ، وفي هذا الإطار ، هناك واجبات كثيرة على المسلمين على كل ذي فكر أن يتدبرها وأن يقدم إسهاماته فيها .

الداعية الإسلامي

●● الداعية الإسلامي اليوم كيف يجب أن يكون ؟

● الداعية الإسلامي لابد وأن ينطلق من المنابع الجوهرية والنقية للفكر الإسلامي متجاوزاً خرافات عصور التراجع والجمود والإنحطاط ، وأن يرى هذه المنابع بعقل إسلامي معاصر ومستنير ... تلك هي مهمة الداعية الإسلامي ، **أن يعيش واقعه ويعيش عصره ، ويبحث لهذا الواقع عن الإطار الفكري والصيغة الإسلامية في المنابع الفكرية الإسلامية** ، لابد وأن يعيد هذا الداعية عقد القرآن ما بين الواقع الفكري الذي يعيشه في عصره وما بين النهج الفكري الإسلامي ، لابد وأن يفقه واقعه أولاً ثم يفقه المنابع الفكرية الإسلامية الجوهرية والنقية ، ثم يبحث لواقعه ولمشكلات واقعه عن الحلول الإسلامية ، ويطوِّر فكره الإسلامي بالاجتهاد كي يواكب التغيرات والمستجدات العصرية ـ تلك هي مهمة الداعية الإسلامي في عصرنا .

مستقبل الإسلام

●● إذا أمّعنا النظر إلى الواقع الإسلامي وإلى أحوال المسلمين اليوم . فكيف تنظر إلى مستقبل الإسلام ؟

● اعتقد أن المستقبل للإسلام بلا شك . ﴿ إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم ﴾ تلك معركة علينا أن نواجه فيها وبها العديد من التحديات الداخلية والخارجية ، المستقبل مشرق بإذن الله ـ لكن المهام صعبة وصعبة وثقيلة .

الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود في شعر جنوبي الجزيرة العربية

(١٣٤٠ - ١٣٩٥هـ) (١٩٢١ - ١٩٧٥م)

بقلم: د. عبدالله بن محمد بن حسين أبو داهش



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإنه يتبين للباحث في أدب جنوبي الجزيرة العربية عبر النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري مدى أثر التكوين السياسي للدولة السعودية في توجيه الفكر بهذه الأنحاء ، ومدى ما أوجده ساستها من أسباب اليقظة الفكرية الجادة ، وما اتصفوا به من مواقف حكيمة تجاه القضايا الإسلامية والعربية ، فلقد سلك أولئك الولاة منهجاً سياسياً حكيماً كان من آثاره : قيام شعار الدين ، ودفع البدع والمعتقدات الباطلة ، إلى جانب يقظة الفكر ، ونهضة التعليم ، وشيوع أسباب الأمن واستتبابه ، إذ انبسط هذا الواقع الجديد على حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية ، مما أوجد بفضل الله تعالى حياة آمنة مطمئنة ، ولقد وجد الأدب في رحاب هذه الدولة تشجيعاً جاداً ، انصرف الأدباء في ميدانه إلى التعبير عن حياتهم الجديدة بروح واثقة ، فلقد ملّوا من قبل آثار الفرقة ، وكرهوا عهد التناحر القبلي الذي كان قد حلّ بقبائلهم وقراهم ، حيث وجدوا من أسباب اليقظة الدينية ، والتعليمية ، والأمنية سبلاً للتعبير عن واقعهم ، كما وجدوا في ظلال هذه الدولة دواعي النهضة ، ولمّ شتات المسلمين ، والدعوة للجهاد ، والتضامن الإسلامي .

ولئن كان عهد الملك **عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود** (١٢٩٧ - ١٣٧٣ هـ) قد حفل بأسباب التمكين لهذه الآمال ، فإن بنيه من بعده ، قد سعوا في تحقيق تلك الأهداف والدعوة لها ، إذ يمكن في هذا المقام التعرض لشيء من الآثار الشعرية التي قيلت في **الملك فيصل بن عبد العزيز** - رحمه الله - (١٣٢٤ - ١٣٩٥ هـ) وذلك بشيء من التركيز والإيجاز .

الصلـة التاريخيـة

وتأتي صلة الملك فيصل بهذه الأنحاء وطيدة مكينة ، إذ عرفته في وقت مبكر من تاريخ توحيد هذا الكيان السياسي الكبير ، حيث عرفته هذه الأجزاء قائداً سياسياً فذاً يجوب أرجاءها ، ويبسط الأمن في ربوعها ، ويسعى إلى توثيق عرى الإخاء بين أبنائها في ظلال توحيد هذه الجزيرة العربية ، كما عرفته **نائباً عن أبيه في الحجاز** ، ثم **ولياً للعهد** ، ثم **ملكاً رحيماً عادلاً** ، شأنها في ذلك شأن بقية البلدان السعودية الأخرى . وكان في تلك الأطوار كلها وطيد الصلة بأبناء هذه المنطقة ، فلقد تحقق ذلك في إطار المهام السياسية التي حملها من قبيل أبيه في سبيل توحيد هذه البلاد .

ولما تولى رحمه الله تعالى زمام الملك في بلاده اعتاد زيارة هذه الأجزاء من مملكته ، يتفقد خلالها أحوال رعيته ، ويشهد واقع الناس فيها ، فلقد رأى زيارة عسير في عام ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م ، حيث أراد رصد واقعها عن كثب ، والتعرف على أحوال أهلها . وقد حدثني من أثق بقوله إنه في أثناء تلك الزيارة فضل الوقوف على تهامة من مشارف جبال عسير ، وأنه حينما أطل عليها بكى رحمه الله ، قلت : لعل بكاءه عندئذ قد نشأ حين ذكر أيامه الأولى فيها ، ومساره في دروبها ، ومعرفته برجالها ، فلقد سلك فجاجها ، وسار في سواحلها ، وارتبط نشاطه عندئذ بالمخلصين من أبنائها ، وليس هذا الاتصال وتلك الزيارة بقاصرين على عسير وحسب ، وإنما شأنها في هذا الحال مثل شأن غيرها من بلدان هذه المملكة الواسعة ، وربما امتازت هذه الأنحاء عن غيرها بما عرفته من صلات الفيصل الأولى لها .

وتزداد صلة الفيصل رحمه الله بهذه الأجزاء من جزيرة العرب من خلال الرسائل النثرية التي كان يوجهها إلى علماء هذه المنطقة ومشايخها ، فلقد حفلت المكتبات الخاصة بهذه الأنحاء بكثير من تلك الرسائل الخطية ، ومنها ـ على سبيل المثال ـ الرسالة التي بعث بها إلى **الشيخ سعيد بن علي النعمي**[1] في ١١ صفر ١٣٤١ هـ/١٩٢٢ م .

ولم يكن هذا الاتصال مقصوراً على أهالي أبها ، وماحلها ، وإنما وجد مثله مع مشايخ غامد وقحطان ورجال الحجر وأهل تهامة وغيرهم ومن ذلك أيضا كتابه المرسل إلى نائب قاضي بلاد غامد[2] في ١٣ شعبان ١٣٤٧ هـ .

الفيصل .. والشعراء

ولعل خير من يؤكد هذا الواقع شعراء : تهامة ، وعسير ، واليمن الذين تعرضوا في شعرهم إلى كثير من سمات الفيصل ، ومكانته السياسية ، ومدى ما يبذله في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين ، فلقد أفاضوا في هذا الجانب ، واستشادوا بدوره السياسي والفكري في حل كثير من القضايا العربية والإسلامية . أما تهامة فقد كانت من أوائل البيئات الشعرية بهذه الأنحاء احتفاء بشخصية الملك فيصل . وذلك لما كانت عليه حينذاك من منزلة أدبية ، وما كان عليه أهلها عندئذ من الولاء والطاعة ، فلقد كان للأثر السياسي الإصلاحي الذي اختطه الولاة السعوديون أثر في توجيه الفكر والأدب **بجازان** وما حوله .

ولعل من أشهر شعراء تهامة الذين أسهبوا في هذا الجانب : **الشاعر علي ابن محمد السنوسي** (١٣١٥ ـ ١٣٦٣ هـ) الذي عرف بوفرة نتاجه الشعري في هذا الجانب ، وبخاصة شعره الذي أنشأه في هذا العهد السعودي ، فلقد حفل مجموع « **شعراء الجنوب** »[3] ، وغيره بكثير من شعر السنوسي في هذا الميدان . إذ قال في قصيدته الموسومة بـ « عبد العزيز أدام الله دولته »[4]

وفيصل فيصل مهما يكر على	قرن يفتك لـه الأكباد تنفطـر
ويمنع الجحفل الجرار عن عطن	حتى يكون له الإيراد والصدر[5]

وقال في قصيدة أخرى عنوانها : « الملك السامي مراتبه »[6]

وفيصل فاق من ناواه في طرق	من السياسة في جد وفي لعب
وثاقب الرأي لا تخطىء رميته	كأنها النجم منقض من الشهب[7]

وقال في إحدى قصائده المخطوطة الأخرى :

وقارنهُ في طالع السّعد فيصلٌ	يصرّف في الأعداء رأياً مُسدّدا[8]

وقال في قصيدة مخطوطة أخرى :

مَاذَا نَخَافُ وأنتَ قَسْوَرَةُ الوَرَى	وَسعُودُ[9] رايتُها وفيصَلُ مِخْذَمُ[10]

ويتجلى إعجاب السنوسي بشخصية الفيصل من خلال : شجاعته وبسالته ، وما كان عليه من الحنكة السياسية ، وسداد الرأي ، إذ اقترنت هذه المعاني بواقع فعلي ملموس ، أدركه السنوسي عن كثب ، وهذا ما جعله يكبر هذا الجانب في شخص الفيصل .

ولم يقتصر الشعر الذي قيل في هذا الميدان على شعر علي بن محمد السنوسي وحسب ، وإنما أسهم فيه بقية شعراء تهامة المشهورين ، من أمثال : **محمد بن أحمد العقيلي** (١٣٣٦ هـ ـ) ، **ومحمد بن علي السنوسي** (١٣٤٢ هـ ـ ١٤٠٧ هـ) وغيرهما من ناشئة جازان الشعراء ، ومما قاله العقيلي مخاطباً الفيصل رحمه الله :

لك الود مني خالصاً لا يشوبه	رياء ولا يلتات بالزيف والدعوى
يمجد فيك الفكر ريان مشرقاً	ويكبر فيك العقل والخلق الأقوى
وعزماً لإنهاض البلاد بهمة	سعودية التصميم نجدية العزوى[11]

وتتجلى مكانة الفيصل بوضوح في قول العقيلي :

ملك لو توهب الأعمار كم	وهب الأعمار من قاصٍ وداني
ملك للعدل ما ينشده	في سبيل الله أو في فك عاني
ملك من رحمة صيغ ومن	قلبه الطاهر ينبوع الحنان

• • •

نحن وفد الشكر نزجي خالص الـ	حب والإخلاص منضور البيان
جاءكم جازان في أبنائه	ماثلاً بين يديكم للتهاني[12]

ولم يهمل العقيلي في شعره **دعوة الفيصل للجهاد** ، وإنما تناولها بشيء من العناية والاهتمام ، وحاول أن يظهرها في كثير من قصائده ، وبخاصة ذلك النداء الذي رفعه الفيصل عام ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م ، إذ قال العقيلي على أثره :

نادى الجهاد فلبّى الشعب قاطبة	الله أكبر طار المعتدون هبا
لبيك فيصل هذا الشعب منتظر	فلو أشرت له في لحظة وثبا
يدمر البغي في أعلى معاقله	ويسحق السخف والتهريج والكذبا[13]

ولقد أفاض هذا الشاعر كثيراً في الحديث عن الملك فيصل رحمه الله ، واستطاع إلى حد ما أن يحيط بشيء من شمائله وصفاته ، وذلك في كثير من قصائده الشعرية المختلفة[14] ، ولكنه مع ذلك قد صبغ شعره بصبغة المؤرخ لا الأديب ، وبخاصة فيما ظهر في شعره من ملامح الخطابة ، والتقريرية ، إذ يبدو أن اشتغال العقيلي بالبحث والتدوين قد ميز نتاجه بشيء من تلك الملامح والسمات .

أما محمد بن علي السنوسي ، فقد أسهم بكثير من شعره في هذا الميدان ، إذ وجد في أعمال هذا الملك سبيلاً للتعبير عن مشاعره وآماله ، فلقد تعرض في ذلك النتاج إلى : سيرته ، ودعوته إلى **التضامن الإسلامي** ، وموقفه من **القضية الفلسطينية** ، ناهيك عن **منهجه السياسي** ، **ومكانته في قلوب شعبه** ، وقد ساعد السّنوسي في ذلك كله تكوينه الأدبي ، وتعبيره الصادق الذي اتسم به ، ومما قاله السنوسي في تلك المعاني السابقة :

لك في عالم العروبة والإسلام	صوت لـه صدى وإفـاده
سرته مؤمناً بربك لا ترجو	سواه ولا تخاف عباده
وطريق المجاهدين أولى العزم	طويل والصبر يطوي بعاده
فبلغت المدى نجاحاً أكيداً	والنجاح الأكيد للحق عاده[15]

★ محمد بن علي السنوسي ★ ★ محمد بن أحمد العقيلي ★

وقوله :

إيه يافيصل لقد وقف العالم ... يرنو إليك فرداً وأمة
في مقام تطلعت نحوه الدنيا ... وقد ألقيت إليك الأزمة

• • •

رد للاجئين والليل داج ... قبس لاح من فلسطين ثمه[16]

وقوله :

يأبا خالد يحييك شعبٌ ... حبه فيك قد أذاب فؤاده
أنت أعطيته الرعاية والعطف ... فاعطاك قلبه ووداده

• • •

وإذا الروض جاده القطر ... غنّى كل طير وزغردت كل غادة
عشت يافيصل العروبة ... للشعب إماماً وفي يديك القيادة[17]

ويتضح من تلك الأبيات السابقة مجتمعة شمول : معانيها ، وصدقها ، فهي دون شك مما تحقق في شخص الفيصل ، ولقد زادها وضوحاً حسن تناول الشاعر لها ، ومقدرته على تكوينها ، فالحق أن السنوسي بارع في شعره !

ولم يكن أولئك الشعراء السابقون هم الذين تناولوا ذكر الفيصل في شعرهم وحسب ، وإنما أشبههم في ذلك بقية شعراء تهامة المعاصرين ، وبخاصة الناشئة منهم الذين أعجبوا بتلك الجوانب الحميدة في شخص الفيصل ، وشهدوا مظاهر الإصلاح في عهده ، وأدركوا نصرته للدين ، ودفاعه عن القضايا الإسلامية والعربية ، فلقد اتسم ذلك النتاج الشعري كله بوضوح الرؤية ، والصدق النفسي ، والبعد عن التزلف والغلو .

ولقد نهج **شعراء عسير** المتأخرون نهج إخوانهم الشعراء في تهامة من حيث التعرض لذكر الفيصل في شعرهم ، فلقد كانوا حريصين على التعبير عن مشاعرهم تجاهه ، ولعل من أشهرهم : **عبد الله بن علي بن حميد (١٣٢٦ - ١٣٩٩ هـ) ، وزاهر بن عواض الألمعي (١٣٥٤ هـ -) ، ويحيى بن إبراهيم الألمعي (١٣٥٦ هـ -) ، وأحمد بن عبد الله بيهان** ، وغيرهم .

أما **عبد الله بن علي بن حميد** ، فلقد خص الفيصل بكثير من نتاجه الأدبي سواء النثري[18] منه أو الشعري . وكان في كلا الحالين صادقاً في قوله معتدلاً فيه . ومن شعره قصيدته « **اللامية** » التي قالها بمناسبة مبايعة الفيصل ملكاً للبلاد ، وطالعها :

السعد وافى والبشائر تحمل ... والشعب في حلل السعادة يرفل[19]

ومن شعره أيضا في هذا الجانب قصيدته « **الهائية** » التي أنشأها تحية بمقدم الفيصل إلى عسير في زيارته التفقدية لها عام ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م ، ومما قاله فيها :

عج بي على الربع استجلي مجاليها ... أجدد الذكر في ماضي لياليها
استنشق الشيح والحوذان باكره ... وبل مسح ملح من غواديها
تحلب المزن في أرجائها غدقا ... واخضرت الأرض واهتزت روابيها
تشدو الطيور على أغصان عرعرها ... كأن داوود عن قرب يناغيها
تسبح الله ألحاناً ترددها ... جبال « تهلل » أصداء تغنيها
تشارك الشعب أفراحاً يعيش بها ... أهل الجنوب بقاصيها ودانيها

• • •

مولاي « أبها » تحي فيك فاتحها ... بالأمس واليوم حيَّت فيك بانيها
تزهو بأبها حلاها عند مقدمكم ... كغادة زادها حسناً تثنيها[20]

أما **زاهر بن عواض الألمعي** ، فقد اعتاد الإشادة بممدوحه الفيصل في كثير من قصائده الشعرية ، وبخاصة تلك القصائد التي كان ينشدها في مواسم الحج ، والمناسبات العامة . ومن شعره الوافر المعهود قصيدته الموسومة « بمؤتمر الحج الأكبر » التي يقول فيها :

فياحامي حمى الإسلام جرد ... سيوف الله تلتهب التهابا
وقد نامى ملاحم ضاريات ... فأنت القائد الأعلى جنابا
فقد ناديت للأقصى شعوباً ... وكان دعاؤك الأسمى مجابا
فإن تسبق إلى الأقصى ركاب ... فإن لفيصل منها ركابا[21]

وقال في قصيدة أخرى :

فيا فيصلَ الإسلامِ دمتَ موفَّقاً ... وذخراً إذا مازمجر الشرقُ أو هبّا
فقد كنتَ للقاداتِ رائدَ جمعِهِمْ ... وللغضبةِ الشماءِ أعلامُهُمْ كَعْبا
وتاقتْ فلسطينُ إليكَ تطلُّعاً ... لتُزجي في ساحاتها جحفلاً لجْبَا[22]

ولم يهمل هذا الشاعر داعي التضامن الإسلامي عند الفيصل ، وإنما أشار إليه في قصيدته السابقة بقوله :

ولاغروَ في داعي التضامن فيصلِ
ألا فَهْو في فعلِ المكارم قد شبّا
فشدُّوا رجال المسلمين اجتماعكم
على الوحدة الكبرى فما خاب من لبى[23]

ومن الواضح أن النبرة الخطابية الظاهرة في هذه الأبيات تعكس حماسة الشاعر ، وتشير إلى أثر بيئته ، وتكوينه الثقافي في شعره ، إذ تأثر نتاجه الأدبي بتلك العوامل ، واصطبغ بها ، بالرغم من صدق معانيه ووضوحها .

ويأتي الشاعر **يحيى بن إبراهيم الألمعي** في طليعة شعراء عسير احتفاء بذكر الفيصل ، إذا اشتمل ديوانه : « **عبير من عسير** » على عديد من قصائده التي قيلت في هذا الشأن[24] . أما **أحمد بن عبد الله بيهان** ، فقد اعتاد الحديث عن الفيصل في كثير من قصائده المعهودة بشيء من التناول الشعري المميز ، وذلك في مثل قوله :

فأطل فيصل صارخاً يأمتي ... عودي لهدي شريعة سمحاء
المجد لا شرقية كلا ولا ... غربية معدومة الإثراء
بل فيض إسلامية قدسية ... مدنية مكية الإسناء
فتوحدت بنداء فيصل أمة ... كادت تضيع بمهمه الآراء[25]

وليس الشعر الذي أسهم به الشعراء في عسير في هذا الميدان بقليل ، وإنما هو وافر ، قد لا يحاط به في هذا المقام المحدود ، فشأنهم في ذلك مثل شأن غيرهم من الشعراء في بقية البلدان السعودية الأخرى .

شعراء اليمن

أما شعراء اليمن المحدثون ، فقد شاركوا إخوانهم الشعراء في تهامة وعسير

بشيء من نتاجهم الشعري المناسب ، إذ لم يكن ذكر الفيصل في ذلك النتاج بقليل ، وإنما هو وافر تمثله مشاركة الشعراء الوافدين منهم إلى هذه البلاد ، وبخاصة في مواسم الحج ، أو حينما كانوا يفدون على الفيصل رحمه الله في الحجاز ، وهو نائب لأبيه فيه ، إلى جانب زياراتهم المعتادة لهذه البلاد والفيصل ملك لها . فالحق أن الشعراء المحافظين منهم قد أسهموا بشيء من نتاجهم في هذا الميدان ، وربما كان شعرهم الذي قيل في رثاء الفيصل يفوق شعرهم المعهود في حياته ، وهو ما يمكن إيراده في هذا المقام اكتفاء به دون سواه ، إذ هم بهذا العمل الأدبي في ميدان الرثاء يشبهون إخوانهم الشعراء في تهامة وعسير وفي غيرهما الذين أفجعهم موت الفيصل وأضر بهم فقده ، فلقد صور أولئك الشعراء بعامة آلامهم تجاه هذا الحادث الجلل ، وأخذوا في التعبير عن أحاسيسهم بروح صادقة حزينة ، إذ غلب على ذلك النتاج الشعري صدق التجربة ووضوح المعاناة .

ومن أشهر شعراء اليمن مشاركة في رثاء الفيصل : **عبد الله بن علي صوفان**[٢٦] (١٣٣٥ هـ -) ، **والعزي مصوعي** (١٣٤٥ هـ -) .
أما **صوفان** فقد أنشأ قصيدة حزينة ، لم تخل من صدق التجربة ووضوحها ، ومنها قوله[٢٧] :

زَارَ دَمْعُ العَيْنِ أَكْنَافَ المحاجِرْ   وتحرى الحزنَ منا كل صابرْ[٢٨]
وَرَمَانَـــا بِهُمُــومٍ هَيَّـــجتْ   صَاغِراً أَشْجَانها منَّـا وكابِـرْ
سَلَبَ النَّـوْمَ فَصِرْنَـا سُهَّـداً   وَتَفَرَّقْنَـا فَمَـا تَلْقَـى مُنَاظِـرْ
وَأَتَـى الكَرْبُ سَرِيْعـاً نَحونَـا   وَتَذَكَّرنـا لِهَـوْلٍ لاَ يُغَـادِرْ
وَلَكِـمْ أَنُـهَتْ حَبِيْـاً حَاذِقـاً   ولَبِيْباً كانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِـرْ
وفخيماً في الورى مِنْ مَعْشَرٍ   عَاشَ في أَوْسَاطِهِمْ ناهٍ وَآمِـرْ

وقوله :

إنْ فقدنا صِلَةً مِـنْ فَـيصَلٍ   وَصَفَـاءً وَوَفَـاءً ومَفَاخِـرْ
أَوْ بَكَيْنَـاهُ بِدَمْـعٍ وَدَمٍ   فَلِمَ والكل فيما صَارَ صائِـرْ
نسأل اللهَ يُرِيْنَـا رحمـةً   في ثرى فَيْصلِنا ذاك المثابِرْ[٢٩]

وأما **العزي مصوعي** فيقول في إحدى قصائده :

عمَّ الأسى شرقاً وغربـاً   وازداد قلب الكـون كربـا
وهفت من الحرمين أفئـدة   تكـاد تـذوب رعبـا
ما صك مسمعها وأفقدهـا   الشعـور وشق قلبـا
صوت نعـى ملك البـلاد   وفـيصلاً للحـق عضبـا
صوت كحشرجـة الجريـح   أحال خصب الأرض جدبا
صوت الرياض وقد تهاوى   ركنهـا بـالأمس غصبـا
ياللمصاب أهكـذا غـدراً   نـواري اليـوم قطبـا !

• • •

وإذا تقطعت النيـاط   علـى فقيد الديـن اربـا
وتجلل الحرمان من لـون   الليالـي السود ثوبـا
فشهيد آل سعـود أبكـى   رزؤه عجمـا وعربـا
إن يبكـه الإسـلام   يبك غضنفر العزمات ندبا
أو يبكـه الإيمـان   يبك فضيلة وحجى وسيبا[٣٠]
أو يبكه البيت الحـرام   ومـن دعـا فيـه ولبّـا
يـبك التـواضع والـخشوع   ومـن لنصر الله هبـا
تـبك حبـيب المسلميـن   وأكثـر الزعمـاء حدبـا[٣١]

ويتحقق في هذا الشعر اليمني الذي قيل في رثاء الفيصل صدق التجربة ، ووضوح المعاناة ، إذ عبر ذلك الشعر عن إحساس أولئك الشعراء تجاه فقد هذا الإمام الذي سعى في : التأليف بين قلوب المسلمين ، ودعا إلى التضامن بينهم ، وكان حريصاً على لم شملهم ، ودفع الفرقة الظاهرة في صفوفهم ، وإذا كان هذا الشعر اليمني الذي اختير في هذا المقام قد صدر من لدن شاعرين متفاوتين ، فإنما أريد به تمثل البيئتين الفكريتين المختلفتين في اليمن ، وبخاصة في جبالها وفي تهامتها .

شعراء تهامة وعسير

والحق أن شعراء تهامة وعسير على وجه الخصوص ، قد استطاعوا أن يعبروا عن آلامهم تجاه فقد إمامهم بصدق ووضوح ، وذلك من خلال قصائدهم الوافرة التي قيلت في هذا الميدان ، إذ لم يكن عددهم بقليل ! ولعل من أشهرهم : **محمد بن أحمد العقيلي ، ومحمد بن علي السنوسي ، وعبد الله بن علي بن حميد ، وزاهر بن عواض الألمعي ، ويحيى بن إبراهيم الألمعي**[٣٢] ، **وأحمد بن يحيى البهكلي ، ومحمد بن عبد الله المعلمي**[٣٣] ، **وعبد الرحمن ابن أحمد النعمي**[٣٤] ، **ومحمد مشاري**[٣٥] **وعلي أحمد صقل**[٣٦] ، **وعمر سالم فرساني**[٣٧] ، **وجبران قحل**[٣٨] وغيرهم . أما العقيلي فقد رثى الفيصل بقوله :

أي رزءٍ بفيصل طبق الكون   أحـال الوجـود كالبركـان
فإذا الأفق لوحة من سواد   وإذا الجو لجة من دخـان
يشهق العصر بالتنهد حزنا   ويئـن التاريـخ بالأحـزان[٣٩]

ويكاد محمد بن علي السنوسي يفوق شعراء عصره بهذه الأنحاء حين أسهم بقصيدة يقول فيها :

رنَّ في سمعي فكذبت صداه   نبـأ رَوَّع قلبـي وشجـاه
مالهذا الصوت كاب لونـه   قاتم النبرة مرعوب نـداه
ماله ؟ ماذا عراه ما الذي   هزه ؟ ماذا دهاه من نعاه
أصحيح قد هوى بدر الدجى   وانطوى ذاك المحيا من سماه
وتـوارت جبهـة عاليـة   من سناها يقبس النجم سناه
أصحيح ذاك ؟ كـلا إنـه   غاب عنا وهو باق في هداه
فيصل مـات ولكن ذكـره   يغمـر العالـم والدنيـا شذاه
مات جسماً وتوارى هيكلاً   وهو حي في قلوب وشفاه[٤٠]

أما عبد الله بن علي بن حميد فقد أنشأ قصيدة مطولة يقول في طالعها :

جل المصاب فهدَّ منه كياني   والخطب أعياني وشد لساني
والقلب من هول الفجيعة مسه   ضرب من الأرقال والخفقان
والعين من حجم المصاب سخينة   تجري مدامعها على الأوجان
ومغانى الأفراح صرن مآتما   وتجلببت بغلائل الأحـزان
مذ قيل فيصل عاجلته يد الخنا   واغتيل طود شامخ الأركان
فكأنما أرض الجزيرة زلزلت   وتصدعت من ثورة البركان[٤١]

وقد شارك زاهر بن عواض الألمعي إخوانه الشعراء في تهامة وعسير بقصيدة يقول فيها :

أفقيد هذا الشعب إنّ فراقكم   خطبٌ يعزُّ على النفوس ويعظم
يافيصل الإسلام يامن جرحه   سيظلُّ في الأعماق ناراً تضرم



★ د . زاهر الألمعي ★



★ العزي مصوعي ★

تبكيك من أرض الهدى أطلالها   نوّاحة لو أنها تتكلم

• • •

أمكفكف العبرات وهي هوامعٌ   دَعْهَا تفضْ ليخفَّ عنها المأتَمُ
ففقيدنا الغالي عظيمٌ فقدُه   ومصيبة الإسلام فيه أعظمُ
ولو أنّ نفْعًا خُيِّرتْ بفدائه   لمشتْ إليه نفوسنا تستسلم
لكنها الأقدار يغلب أمرها   والله يقضي ما يشاء ويبرم[٤٢]

وتأتي مشاركة **أحمد بن يحيى البهكلي** مخالفة لشعر مواطنيه الشعراء من حيث التناول الفكري ، وطريقة التعبير ، إذ يقول :

مثلما تهصرُ اليدُ الفصنَ هَصْرا   ووريقاته تساقَطُ تترى
وكما بَعْثَرت حبيباتِ رملٍ   ريحُ صَيْفٍ تحَوّلُ الحسْنَ نُكرا
مثل هذا يجيئنا القدَرُ الصا   رمُ يخطو فما ندبِّرُ حِذْرا
هي أقدارنا سوائمُ في مَرْ   تَع أعمارنا تذلُّ وتَضْرى

• • •

إنه ماتَ لم نعاند ولكنْ   عاندَ الحبُّ ربّ رحماكَ تترى
كان في كل خافق أملاً يا   ربّ فاغفرْ له وأجْزِله أجرا
واعِنّي فإنني لستُ أدري   مَنْ أعَزّي فيمن فقدناه طرّا[٤٣]

وتأتي مشاركة بقية شعراء تهامة وعسير مشابهة لمشاركة إخوانهم الشعراء السابقين من حيث التعبير الصادق وطول النفس ، لولا افتقاد بعضهم للدربة والموهبة الشعرية . وهذا ما دعا إلى الاكتفاء بشعر السابقين منهم في هذا المقام . وذلك رغبة في اختصار القول ، وعدم الإسهاب فيه ، فالواقع أن أولئك الشعراء بعامة ، قد أفاضوا في الحديث عن الفيصل رحمه الله ، وكلهم مسه الحزن ، وأتعبه الألم ، كما أنهم لم يقصروا حديثهم عن الفيصل على الشعر وحسب ، وإنما أسهموا بشيء من نثرهم الأدبي في هذا الجانب ، وربما شارك بعضهم بشيء من شعره العامي الملحون .

الهوامش والتعليقات

(١) سعيد بن علي النعمي من أهل العكاس بمدينة أبها .. ورسالة الفيصل إلى النعمي ، خطية تاريخها ١١ صفر ١٣٤١ هـ ، توجد لدى الشيخ هاشم بن سعيد النعمي في أبها .

(٢) عبد العزيز بن محمد المنصوري الغامدي .. ورسالة الفيصل ، خطية ، توجد لدى عبد الوهاب ابن عبد العزيز الغامدي ببلجرشي .

(٣) جمعة محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد العقيلي . وقد طبع في عدن .

(٤) المصدر السابق ٤ .

(٥) المصدر السابق ٧ .

(٦) المصدر السابق ١٨ .

(٧) المصدر السابق ٢٠ .

(٨) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث .

(٩) الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود .

(١٠) توجد هذه القصيدة المخطوطة لدى الباحث . والمِخْذَم : « السيف » .

(١١) ديوانه « الأنغام المضيئة » ٤٥ .

(١٢) المصدر السابق ٤٦ .

(١٣) ديوانه : « أفاويق الغمام » ١٢٦ .

(١٤) انظر ص ١٢٥ من الديوان السابق .

(١٥) ديوانه : « الينابيع » ٤٤ .

(١٦) المصدر السابق ٤٨ .

(١٧) المصدر السابق ٤٥ .

(١٨) انظر كتاب : « أديب من عسير » ٣٤ ، جمع محمد بن عبد الله بن حميد .

(١٩) المصدر السابق ٨٥ .

(٢٠) المصدر السابق ٨٩ .

(٢١) ديوانه : « الألمعيات » ٤٣ .

(٢٢) ديوانه : « على درب الجهاد » ٨١ .

(٢٣) المصدر السابق ٧٩ .

(٢٤) انظر : ديوانه « عبير من عسير » ٧٦ ، ١٧٧ .

(٢٥) ديوانه : « نزيف المشاعر » ٣٤ .

(٢٦) من علماء اليمن الوافدين على البلاد السعودية ، استقر في نجران ، له حلقة تعليمية في مسجد الأخدود بنجران ، وله نتاج شعري وافر . مقابلة شخصية معه في نجران في ٨ شعبان ١٣٩٩ هـ .

(٢٧) قال في صدر هذه القصيدة : « هذه تعزية الإمام الراحل فيصل ... » ، القصيدة نفسها .

(٢٨) قال في الأصل : « هذا من الشعر المقيد يوقف على آخر القوافي » ، القصيدة نفسها .

(٢٩) قصيدة ابن صوفان في رثاء الملك فيصل ، توجد لدى صاحبها في نجران ، وقد قال في خاتمتها : «أنشأها وكتبها المفتقر إلى عفو الله علي بن عبد الله صوفان اليماني... ١٣٥٩/٣/١٥هـ».

(٣٠) انظر « المعجم الوسيط » ٤٦٩ .

(٣١) ديوانه : « ألحان الشاطيء » ١٠٧ .

(٣٢) قال في طالع قصيدته :

« العين تبكي والفؤاد محرق   والنفس تحزن دائما وتمزّقُ » . « عبير من عسير » ٩٨ .

(٣٣) انظر كتاب « الثلاثاء الحزين » جمع عبد العزيز أحمد شكري .

(٣٤) وطالع قصيدته :

« ياراشد الشعب العظيم بحكمة   بخطوة جبارة وممثلي » . القصيدة نفسها .

(٣٥) قال في صدر قصيدته : « في فقيد الإسلام المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز » وطالعها :

« الشعب من هول المصاب حزين   فكل بيت صرخة وأنين » . القصيدة نفسها .

(٣٦) وطالع قصيدته :

« ولدت أبا الشعب يافيصل   فغنى الوجود وغنى الزمان » مسابقة الشعر بنادي جيزان الأدبي لعام ١٣٩٧ هـ ، ٧ .

(٣٧) وطالع قصيدته :

« مجال علياك آيات لها سور   صرح تسامي فلا ترقي له الفكر » . المصدر السابق ١٤ .

(٣٨) وطالع قصيدته :

« إن غاب عنا فيصل بشهوده   ماغاب عن فيصل بجهوده » . المصدر السابق ١٢ .

(٣٩) ديوانه : « أفاويق الغمام » ١٠٥ ، انظر كتاب « الثلاثاء الحزين » ١٨٥ .

(٤٠) ديوانه : « الينابيع » ٥٩ ، انظر كتاب : « الثلاثاء الحزين » ٢٣٠ .

(٤١) محمد بن عبد الله بن حميد (جامع) ، « أديب من عسير » ١٣٣ .

(٤٢) ديوانه : « على درب الجهاد » ١٣٣ .

(٤٣) ديوانه : « طيفان على نقطة الصفر » ٧٣ ، انظر كتاب « الثلاثاء الحزين » ١٣٨ .

☆ ☆



موضوع المسابقة: اختيار موضوع المسابقة متروك للطفل.

الجوائز: خصص للفائزين في هذه المسابقة خمس وسبعون جائزة، وقد قسمت هذه الجوائز إلى ثلاث فئات توزع على المتسابقين الفائزين كما يلي:

★ خمس وعشرون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.

★ خمس وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.

★ خمس وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

شروط المسابقة:

١- يستطيع أي طفل لا يزيد عمره على ١٤ عاماً ويقيم حالياً في المملكة أن يشترك في المسابقة.

٢- يتقدم المتسابق برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمل الطفل نفسه.

٣- يراعى ألا تقل مساحة ورقة الرسم عن ٤٥ سم طولاً و ٣٠ سم عرضاً.

٤- يرسم المشهد بالألوان التي يختارها المتسابق.

٥- ترسل الرسوم في مظروف مقوى حفاظاً عليها من التلف.

٦- يكتب المتسابق اسمه خلف الرسم بخط واضح بالإضافة إلى عمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به.

٧- يرسل المظروف في موعد أقصاه ٢٦ جمادى الثانية ١٤٠٨هـ الموافق ١٤ فبراير ١٩٨٨م إلى العنوان التالي:
مبنى الإدارة - العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢١٦ - أرامكو - الظهران.
ويكتب في أعلى المظروف: مسابقة أرامكو السنوية التاسعة لرسوم الأطفال.

تبقى جميع الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة مع الاحتفاظ بحق نشر أي منها حسب ما تراه الإدارة، وسوف تنشر أسماء الفائزين في جميع الصحف والمجلات السعودية.

أرامكو

(PRI-5-87)

من المكتبة السعودية

• الكتاب : سفينة الصحراء
• المؤلف : عبد العزيز المسند
• الناشر : تهامة جدة ، الكتاب العربي السعودي رقم ١١٢
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م

هذا واحد من كتب الرحلات المتنوعة التي عرفتها مكتبتنا العربية ، ومن قبيل ما كتبه ابن جبير وابن بطوطة ، إلا أنه أقرب علاقة إلى رحلات عزام وبخاصة في مهد العرب . ونحن نزعم أن الهدف الذي استهدفه الأستاذ عبد العزيز المسند ، لا يختلف كثيراً عما استهدفه المرحوم عزام . فهو الوقوف على معالم على وشك الأندراس ، وبعث للماضي في صورة ما تبقى منه إلى عصرنا الحالي . وكل منهما يعتمد المشاهدة ، ويقيم دليله على تجربته الخاصة ، فضلا عن ازجاء المواقف الرهيبة المحرجة التي تبين إلى أي حد يبدو الإنسان محباً لمعرفة المجهول ، وفي سبيل ذلك يخاطر بما كان في وسعه . يعرض عنه .

والرحلات عند الإنسان فطرة ، أو هكذا تبدو . ومن قديم ارتحل الإنسان وحده وارتحلت القبائل ـ جرهم مثلا وإياد وقضاعة ـ وتنوّع الهدف أو اختلفت الضرورة . وأشهر الرحلات رحلة الخضر وذي القرنين ، وأبرزها رحلة سيدنا إبراهيم من أقصى شمال الجزيرة إلى مصر والبلد الحرام . وفي العصر الحاضر جاب الجزيرة العربية مجموعة من الأجانب المستشرقين على رأسهم بركهارت !

فلم يكن عجيباً قط أن يرحل الشيخ المسند ورفاقه من أمثال عبد الله الصالح وراشد العبد الله الرقيبة ، بل العجيب ألا يرحل وقد تهيأت له الظروف المواتية ، على الأقل ليعرف ، ثم يعرّفنا بما يندّ عنا ومن قبيله تاريخ عقيل . وللشيخ حمد الجاسر رأي فيهم ، وللشيخ المسند كلام طويل أثبته تحت عنوان « عقيل » ص ص ٨٧ ـ ١٠٨ وتساءل في آخر المطاف : لماذا لم يكتب تاريخ عقيل ؟ الأنه لم يوجد من بينهم مؤرخ أو أديب أو عالم ؟

ونسأل نحن : ألم يفعل هو وقد رأى مالم يره أحد ؟

على أية حال تبدأ رحلة المسند باختيار الإبل في مخيم « الدُّغمانية » في رياض على مبعدة ستين كيلو متراً من بريدة . لكن القيام كان من البُطيْن المهلك ـ وقد تحول أخيراً إلى مزارع تجري من بينها الأنهار ـ وفي وسطه شجر الطلح ويعرف بمجفلات ، ويتوسط النفود ومرتفعات الطرفية ، وبه قوّ من منازل عبس .

وأما الزمان فكان يوم الجمعة الموافق ١٤٠١/٤/١٦هـ ـ ١٩٨١/٢/٢٠م بعد صلاة الفجر ، وإن تكن الثامنة صباحا ساعة الفصل الحقيقية . وحول الواحدة بعد الظهر كانوا بعيدين عن بريدة بتسعين كيلو متراً ، حيث نزلوا ليأكلوا ويصلوا الظهر قصراً وجمعا .

ودعونا مؤقتا مما سيعقب ذلك وهم مصعدون شمالا بغرب على المدرج المسكون بالمضيان ـ وهم محاربون في الأصل ـ ليقابلهم الشيخ إبراهيم الراشد الحميد مخوّفا إياهم ومحذّرا ، وإلا فستحجب طرافة الاستعداد للرحلة نفسياً ومادياً . وببساطة كان الشيخ المسند ـ مؤلف الكتاب والشاهد الأول على الرحلة ـ يسرد كل صغيرة وكبيرة ، ويمر على المواضع المجهولة بعاطفة جيّاشة ، ويذكر كل شيء ـ كما لو كان معلماً ـ عن الناقة ورحلها وفيما يختلف « العقيلي » عن الجمال أو راكب الناقة العادي أو أصحاب البريد والمحاربون .

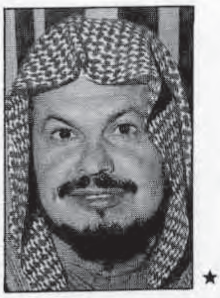
وبطبيعة الحال قد يعرض عن كل أولئك أي قارىء لا تعنيه التفصيلات ، وبخاصة مواقع الأماكن بالنسبة إلى المشهور من البلاد والأعلام . إلا أنه بعد قليل لا يلبث أن يشعر بأن هذه تحمل فلذات من مشاعر الرحلة ، وقد يتصوّر ـ إذا كان له قدرة على التخيل ـ رحلة الشاعر القديم في مطوّلته على ناقة كأنها قنطرة الرومي أو سفين ابن يامن ، ورحلة الظعن التي أحسن زهير بن أبي سلمى رصدها بعد عشرين حجة :

تبصر خليلي هل تري من ظعائن
تحملن بالعلياء من فوق جرثم
جَعَلْن القَنان عن يمينٍ وحَزْنه
وكم بالقَنان من محل ومحرم

وهل فعل الشيخ المسند أكثر من ذلك ، مع فارق كبير هو أنه ليس من الظعن . إلا أنه رصد المواضع وإن يكن خالف القدماء أيضا في أنه لم يبدأ الحديث ولم يخاطب مجتمعه عن طريق بعث الماضي ، وإنما بدأ الحديث من منطلق واقع له أصل قديم يريد أن يحييه في الذاكرة ، ومن ثم لم يلجأ قط إلى الفعل « تبصر » في قول الشاعر المتكرر عند أغلب الشعراء ربما بالسياق نفسه

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن

عبارة قالها زهير وقالها الطفيل وقالها امرؤ





★ عبد العزيز المسند ★

القيس وعلقمة الفحل وأوس بن حجر ولبيد ، تدعو إلى التأمل ولاستعادة أسباب القديم ، في حين كان التأمل عند المسند مشاهدة وعيانا .

استطردنا ونعتذر ..

لكنها كلمة ينبغي أن تقال في معرض رحلة على سفينة الصحراء ، وقد عرفنا البداية ، وأما النهاية فنحددها متعجلين بسكاكا في الجوف . وهناك حملت المسند طائرة إلى الرياض ، بينما « صحب بقية الرفقة أبلهم قافلين إلى القصيم . وكانت لحظة الوداع صعبة جداً ، إذ يبكي بعضهم عندما تركتهم ، ويتمسك آخرون بي ليقنعوني بالعودة معهم . ولكن الدوام لله تعالى ، وكل اجتماع سينتهي بفراق إلا المؤمنين ، فإنهم يجتمعون في دار النعيم على حال أفضل » ص ١١١

كان ذلك يوم الخميس الموافق ١٤٠١/٤/٢٩هـ ـ ١٩٨١/٣/٥م أي بعد أسبوعين حفلا بالطرائف وضروب التعب وتغيرات الجو ، وبجلسات القهوة وتلاقح الأفكار واستعادة صور من الماضي القديم . وهذه ـ في رأينا ـ من أبرز ما يمكن التوقف عنده طويلا في رحلة الأسبوعين ، ونترك التفصيلات للقارىء يلتمسها في كتاب من أطرف الكتب التي صدرت في مجموعة « الكتاب العربي السعودي » .

★ ★

● الكتاب : إبحار .. ولا بحر .. (ديوان شعر) .

● المؤلف : سعد البواردي .

● الناشر : دار الإشعاع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، (١٢١ صفحة) .

يحاول الشاعر (سعد البواردي) في ديوانه [إبحار .. ولا بحر] أن يكون مجدداً في الصياغة الشعرية ، ولا سيما في اللغة واللفظ والصوت .. فمن خلال البحور الشعرية القديمة ـ وبخاصة البسيط والمتقارب والكامل والوافر ـ ومجزوءاتها ، والأبحر الرشيقة السريعة القصيرة ، تعامل مع أصوات الألفاظ معاملة تلفت الانتباه .. فهو على الرغم من كتابة شعره بطريقة الشعر الحديث ، وبدون الالتفات إلى تنظيم الأشطر والقوافي في نسق واحد ، ورغم العديد من قصائده التي تندرج تحت نمطية الشعر الحر .. فإن الصنعة الشعرية بادية على معظم شعر الديوان .. ويبدو أن الشاعر يحاول إخفاء تلك الصنعة ولكن بلا جدوى .

ومن المعروف أن أي شعر لا يخلو من الصنعة ، ولكن على الشاعر المجيد أن يخفي هذه الصنعة الشعرية ببراعته الفنية .. بحيث يخرج الشعر كأنه المطبوع لا المصنوع .. وحين تتلاشى الصنعة ـ وكأنها لم تكن ـ تبرز مهارة الصانع ، وتتألق شاعرية المبدع ، أما إن سادت الصنعة على جو النص ، وأصبحت هي المحور في العملية الشعرية ، فإن كل قيم الشعر تضعف .

ويبدو أيضاً أن الشاعر البواردي ـ وهو ينظم شعره ـ تستبد به صنعته ، وتحتويه محسناته اللفظية والبديعية ، وبخاصة إغراقه في الجناس الناقص الذي كان قد استخدمه في كتابيه : [وللسلام كلام ، وحتى لا نفقد الذاكرة] . فإن كنا قد أنكرنا عليه ذلك الإغراق في النثر ، فإننا نستنكره في الشعر أكثر . ولقد نسي البواردي الشعر ومادته وروحه وانفعاله وجماله وفنه .. وأصبح همه أن يصطاد اللفظة المسجوعة المجنسة ، كي تحدث صوتاً موسيقياً أو إيقاعاً مؤثراً ، وليحدث في شعره تلك الموسيقى الداخلية التي تحدث عنها النقاد والمعاصرون ، والتي تقوم على اختيار الكلمات وترتيبها من جهة ، ثم المشاكلة بين أصوات هذه الكلمات والمعاني التي تدل عليها من جهة أخرى .

ولكن هذه الخاصية استحالت عند البواردي إلى ولع بديعي ، وزخرف لفظي ، ووصف للكلمات والألفاظ ، حتى أصبح هذا الوشي والتطريز المنسق ، يعيد لأذهاننا ما كان قد انتهى إليه النثر العربي في أواخر العصر العباسي ، أيام الصابي والصاحب وابن العميد والهمذاني والحريري وأضرابهم . يقول في آخر قصيدة (إبحار .. ولا بحر) : [غل وغول وأغلال وحرباء] .

فلا تمر بنا قصيدة إلا ونقع على ذلك الوشي اللفظي المنمق ، سواء داخل الأسطر ، أو خارجها في القوافي :





★ سعد البواردي ★

أيها الملاح .. الزورق تائه
أيها الفلاح .. البستان تافه
(ص ٢٨).

أو يقول:

العقل وحده الغريب في حماه
والبدر وحده الكئيب في سماه
والحب وحده الغريق في دماه
(ص ٣١).

وكأني بالشاعر يجهد نفسه كثيراً، كي يقع على ألفاظ قوافيه المجنسة التي يلتزم بها ما لا يلزمه الشعراء العرب من قبل، ما عدا المعري، في لزومياته. فكم بحث مثلاً البواردي في أحد مقاطع قصيدته (أبداً) حتى وجد هذه الألفاظ الأربع: (شمعه، دمعه، جمعه، قمعه).

وإن تلك الصنعة المجهدة لتظهر في قصائده المأساوية. فالتكلف يفقد مثلاً قصيدته (معزوفة الضياع) كل جو المحنة والحزن ومأساة (صبرا وشاتيلا)، حين ينظمها على شكل مقاطع وبعدد حروف الهجاء بدءً من: (أ) في «ألفها» ألم .. (ب) في «بائها» بوح .. (ت) في «تائها» تهت .. يقول:

(ح) في «حائها»: حُب حلمت به
وإذا به في صحوتي جُب

كما أن تلك الصنعة في الرصف اللفظي لتمتص الكثير من حرارة الانفعال وتوهج المعاناة، يقول في مطلع قصيدته (متاهة) التي يريد فيها أن يجرب حلولا رومانسية بين قلبه والطبيعة، بشكل يسقط ما في الطبيعة من إشراق على قلبه المظلم، ولكن التعبير السطحي هو الذي يسود:

أسرتني يا بدر والأنجم
فليل قلبي ظالم مظلم
لا بدر في آفاقه مشرق
ولا نجوم حوله تبسم

كما قد يقوده ذلك التلاعب اللفظي إلى أن يستخدم بعض حروف النحو في الشعر:

تجمدي أيتها الحواس
همسنا «ليت» «لعل» «لا، لا»

وإذا كانت الصنعة المتكلفة في الألفاظ هي السائدة على ديوان (إبحار .. ولا بحر)، فإن تلك الصنعة لتتبدى في المعاني، وذلك في استعارة لمعاني أو مواقف الآخرين .. فقد يستمد شعره أحياناً من نبع وفيض الشعراء القدامى والمحدثين، فبيت للأعشى (كناطح صخرة ..)، قد يوحي له بقصيدة كاملة مثل: (ناطح الصخر)، وبيت لشوقي (نظرة فابتسامة ..)، قد يوحي له أيضاً بثلاثية (أبجديات الحب):

أول الحب نظرة تعشق العين عندها
فلقاء فهمسة تتسامى بوجدها
وأخيراً وعن هوى قبلة الحب بعدها

وموقف بعض الشعراء المبدعين المعاصرين في تجاربهم ومعاناتهم قبيل الموت الحتمي، كتجربة أمل دنقل وهو على فراش المرض، ينظم قصيدته الرائعة (زهور)، يجعل البواردي يتنفس ذات الجو الحزين في قصيدته (باقة ورد باكية).

على أن الديوان لا يخلو من بعض الروائع الشعرية السامية كقصائده (هتف

● الكتاب: زمن العشق الصاخب (مجموعة قصصية).
● المؤلف: حسن محمد النعمي.
● الناشر: نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

هذه مجموعة من عشر قصص قصيرة، صاحبها فنان واعد ذو أسلوب متميز .. حتى بأخطائه التي لا أدري كيف يقترفها، وهو خريج قسم اللغة العربية بكلية آداب الملك عبد العزيز!

ولهذا الفنان الواعد شاعريته التي تؤهله لأن يكون نمطاً ناجحاً لأحد مناهج كتابة القصة القصيرة.

وأرجو ألا يفهم هذا الكاتب ـ وهو بعد غَضُّ الإهاب ـ أن نقداً يوجَّه إليه لا يعني قط الحط من قدره، وإنما يعني أنه عملية ترشيد مشروعة تقف تماماً وفي موازاة مع معاناته الشخصية بأعمال النقاد التطبيقيين، عندما يصدرون عن آراء



تبدو - غالباً - متعارضة، ويختار هو بعضها أو من بين بعضها سبيلاً يستكمل به وفيه تجربته. ففي أتون اصطراع النقاد يولد كبار الفنانين، ولو لم يتطاحن بالمملكة عواد وحمزة شحاته - وكلٌّ له عصبة - والعقاد وصلاح عبد الصبور بفريقين متعارضين في مصر، لما ظهر الثبيتي، ومحمد جبر، وأمل دنقل، وأحمد زرزور.

أقول هذا، وليس في نيّتي إطلاقاً أن أعيق النعمي.. فهو بنا وبغيرنا وبنفسه أولا، قادر على الاستمرار، غير أننا نخشى أن يظل حبيس أفكار محدودة تدور على طول صفحات مجموعته «زمن العشق الصاخب».

وأخطر من ذلك أن يتقوقع أو يتجمد في قوالب لغوية يروح يرددها بلا وعي، وعلى غير بصر بعواقبها السلبية، وبخاصة إذا قررنا أن لكل - بالضرورة - قاموسها اللغوي، بحيث يكون من الخطل أن تتردد عبارة معيّنة في كل أزمة تقع وإن تباينت أسبابها.

أما عن الأفكار، فالأمر فيها سهل، ويستطيع أي قارئ أن يتبيّن أن معاناة النعمي القصصية لها ثلاثة وجوه.

★ الوجه الأول: خاص بقصص، منها: «زمن العشق الصاخب» - وهي القصة التي سُمّيت بها المجموعة كلها - تدور على نزوع شخصي قوامه الإصرار على رفض مبدأ أو قضية أو شيء يفرض عليه. وينتهي هذا الإصرار بالنكوص أو بالتسليم بالرأي المقابل: فقصة «لحظة الانطلاق» مثلاً، في هذا الوجه، عن العزب المضرب عن الزواج، ويقاسي في عزوبيته الأمرين.

ثم يقع نهب التردد الذي أنشأ يعاوده، والتردد هنا مطلوب حتى يكون عدوله مقبولا ومعقولا، وبمقتضاه يكون الزواج قيداً ليناً مع أنه أقوى من قيد الحديد، حتى إذا رأى سعادة صديق له مع زوجه وابنه - وما أسعده! - ورأى طفلة صغيرة تتعثر في ثوبها الطويل وتنكسر منها زجاجة عصير اشترتها، وخف لمساعدتها، سأل نفسه: مم تخاف؟ يجب أن تحسم الموقف.. مد الخطوة أكثر.. أنت تحب الأطفال إذن تزوّج!

وقد ارتاحت نفسه إلى هذه النتيجة، وهذا هو العدول أو النكوص، وبه قامت حبكة القصة التي من هذا الوجه.

★ وأما الوجه الثاني: فعن الهزيمة التي تعني الإخفاق «فصول من رحلة التعب»، و«الركض في دائرة المجهول»، و«مخاض الساعات الأخيرة»، في إطار الجوع الضاري واليأس المدمّر - حتى ليغدو رغيف الخبز طوق نجاة - وبغنائية أداء يسحقه هاث العبارات المتخاذلة.

ويمكن أن تتخذ قصة «الركض في دائرة المجهول» نموذجاً لهذه السوداوية، وقد بدت الأم - بطلة القصة - حائرة بأولادها، والصبية دمعة أبدية، والأب الربان الماهر قهره بحر الحرمان، وبدأ جثمانه يرقد في عالم آخر!

هنا يتدخل الراوي - وهو المؤلف نفسه - ليكمل فداحة المأساة بنواح يجتر كل ما يعمق سوداويته، حتى لتصبح القرية كلها جوعى، والجوعى يضنيهم البرد، ويعيشون الغربة الأبدية في الزمان الرديء.

وفي لحظات انتظار حفنات الحبوب لتشغل البطون الخاوية - هؤلاء الأطفال من المسؤول عن اغتيال براءتهم؟ - كان الأغنياء يمارسون قسوتهم ويستولون على الأكياس الملأى بالحبوب، والأم تلامس جسد زوجها المسجى «أيها الليل بطولك السرمدي.. بوحشتك الأزلية.. بظلامك المستبد.. متى تنقضي... آه.. من هذه الدوّامة.. حطمتني.. أجبرتني على الفرار إلى أغوار نفسي.. وأنتم يا أطفالي.. عندما يتغيّر وجه الزمن.. أستطيع أن أعطيكم ما تريدون».

وتلك النقط المتوالية قد تكون مناسبة لحالة التهدج التي تعانيها الأم، فهي مقبولة في هذا الموضع - إلى حد ما - غير أنها مرفوضة في كل الكتاب، لأنها مبعثرة بلا معنى يقتضيها، وبالتالي بلا هدف!

وليعذرني القارئ الذي ينتظر نهاية القصة، وأية نهاية؟ الأم خرجت تتلمس طوق نجاة، وهذا الطوق لازمة بيانية في أسلوب المؤلف:

- أمي.. إلى أين؟
- نبحث عن مكان آخر.
- ونترك أبي هنا؟
- ربما نعود إليه في يوم آخر!

★ ولا تعليق ، لأننا نريد الوجه الثالث . وفي رأيي ـ إذا أسقطنا قصة سقوط الجسر لأنها من نوع مخالف لسائر قصص المجموعة ـ أقول في رأيي إنه مما نقبله بتردداته وغنائياته القاتمة ، بالرغم من استرفاده الوجهين السابقين .. ومع ذلك يميزه وجه غامض ، أشبه بجو الحكايات الخرافية ، كما تصوره قصة «حمى الأزمنة المجدبة» في القرية التي كان كل ما فيها مصاباً بالسعال ، فيما كانت تحسو ظلها ، وتجتر كل يوم كؤوساً من جراحات كاذبة «يا صبر المواسم المجدبة .. امنح عشاقك صوت حياة» وكان الصوت يتقيأ غرابات موجعة !

وبعبارات شاعرية غامضة ـ كتلك التي ميزناها ـ عرفت القرية «الخير» بوفود غريب مجهول ، فلما اغتيل مُسخت بئر الحياة التي فجّرها وفوده وأبحر فيها الحزن الأسطوري ، ثم غلت في أعماقها حمى غجرية وعادت القرية تقتات الحكايات القديمة في موسم قحط جديد .

وليس من داع للاستشهاد بقصة أخرى ، وإن كنا نجد الجو نفسه في «البوح بأسرار الكآبة» حيث يقتات جوع المساءات من عالمه ـ أي عالم المؤلف ـ والزمن اللولبي الدوران يستكين في حنجرة اللهفة ليتقيأ خلاصة التوتر والانزعاج ، ويتذكر العشيرة عند باب صنعاء ، وهي تجتر صدى الآهات ـ ولماذا الصدى فقط؟ ـ لتغتسل بصديد الكآبة (ص ٩٤) .

أما العبارات التي أوردناها فهي نموذج أو نماذج للقوالب اللغوية التي ألحت إليها ، ونضيف إليها «أتجشأ مرارة الخيبة» ، ومرارة الهزيمة ، ومرارة الانتظار ، (ص ٢٥ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٦٦) . و«كل الدروب تتقيأ أشواكاً خنجرية» (ص ٦٦) ، وقد رأينا اللهفة تتقيأ خلاصة النور .. فلماذا الاجترار والتجشؤ والتقيؤ؟

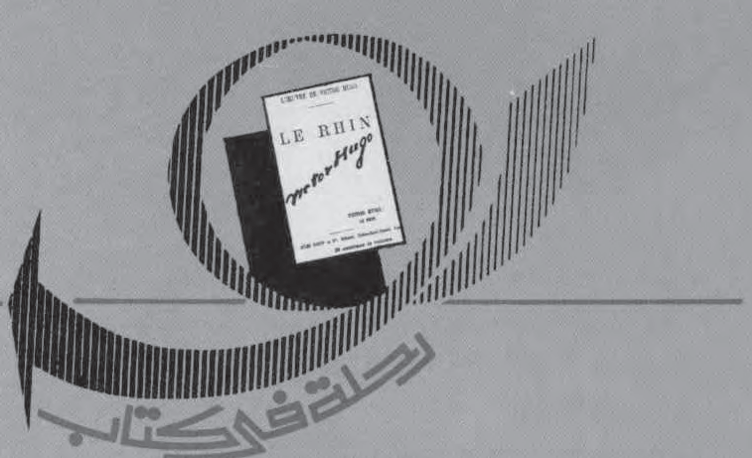
★ ★

دعني أحلم

شعر: سعد البواردي

دعني أحلمُ بالدنيا
إني في حلمي أحيا
فتّحت عيوني عُمراً
لم أبصر عمري شيئاً
فتشتُ لراحلتي العجفا
ء .. لا زاداً . لا سقيا
ما أقسى أن أملك عينين
ولكن دون رؤيا ..
الوهم القاتل حولي
يطوي أيامي طيّاً
يُفزعني .. يُوجّعني
يكوي لي عمقي كيّاً
دعني في حلمي أسلو
وبظل السلوى أتفيا





عرض وتقديم : د . فكتور الكك

رحلة فكتور هوغو إلى نهر الرّاين

كتاب مغمور ووجه ظليل من عبقرية شاعر فرنسا العالمي

يُعتبَر فكتور هوغو Victor Hugo محطّةً حاسمةً في مسيرة الشعرفي فرنسا ، وصاحبَ أسلوب مميّز في النثر ، ورائد موضوعات جديدة في كلا المضمارَيْن ، وإنْ تكنْ شاعريّته هي التي بوّأته مقامه السامق في عَبْقَر البارزين .

على صعيد آخر ، يمتاز هوغو بغزارة إنتاجه في كلتا الصّناعتين كذلك ، وبتصدّيه ، في صناعة النثر ، لمعالجة موضوعات اجتماعية ، لموضوع البؤس الاجتماعيّ في رائعته « البؤساء » Les Misérables ، التي كان لها أثر في توجيه الرواية نحو أدب الحياة .



★ فيكتور هوجو ★

إلاّ أنّ ناحيةً من نواحي إنتاجه النثريّ بقيت في الظلّ فلم يتناولها بالبحث الدارسون الكثُرُ لتراثه المتنوّع ، وهي « الرِّحلة ». فله في هذا الفنّ الأدبيّ **كتاب اسمه « لورن »** Le Rhin قلما تناولته براعة مؤرّخي الأدب .

وفي أعقاب مرور قرن على وفاة هذا الشاعر الفرنسيّ الكبير ذي الشهرة العالمية والأثر المشهود في الأدب العربيّ ، رأينا أن نتناول كتاب رحلته المغمور ، فنعرّف القرّاء به وننبش من تراث هوغو ، إلى جانب إسهاماته الأدبيّة ، ملامح من فكره في شؤون شتّى ، ولاسيّما في شؤون القارّة الأوروبيّة .

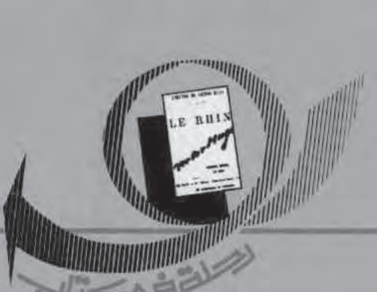
لابدَّ من الإشارة إلى أن كتاب رحلة فكتور هوغو هذا انضَّم إلى مجموعة مكتبتي الخاصة منذ أربع سنوات . فقد وقعتُ عليه في إحدى العواصم الأوروبية واشتريته من غير مساومة في سعره . فالكتابُ أشرف المقتنيات وأمتن صلة بين الإنسان وأخيه الإنسان .

هذا الكتاب مجموعة رسائل وجّهها فكتور هوغو من مسارح رحلته في بلاد نهر الرّاين (راينلاند ، كما يقول الألمان) إلى صديق له في باريس ، في أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر .

وقد صادف طبع الكتاب عام ١٨٤٢ م إعادة طرح مسألة الخلاف بين فرنسا وألمانيا حول بلاد الرّاين ، فكان للشاعر هوغو رأي موزون توفيقيّ في المسألة المعُاد طرحُها ، كما سنرى ، مما جعل لكتاب رحلته بُعْداً سياسيًّا ، إلى جانب وجوه قيمته المتعدّدة .

رحلة بلا هدف

ولابدَّ من الإشارة ، هاهنا ، إلى أنَّ فكتور هوغو لم يكن له ، في بدء رحلته ، هدف محدَّد منها ، ولا هو نوى ، يوم شرع بها ، طبع كتابه ، بل تأليفه كذلك . فهو يستهلّ المقدّمة التي كتبها عام ١٨٤٢م بعد أربع سنوات تقريباً ، من بدء رحلته (١٨٣٨ م) ، بالقول إنه باشر رحلته ،



وليس له من هدف سوى مشاهدة الأشجار والسَّماء ، وهما شيئان لا يراهما المرء في باريس[١] . وهذا ما يتبيَّنه القارىء من خلال مطالعته الصفحات الأولى لكتاب رحلته . كأني بفكتور هوغو يلتقي ـ وقد أخذ منه الملل مأخذه ـ شاعرنا اللبنانيَّ المعاصر حيث يصرخ :

يارحلةً ليس لها مقصدٌ   أجملُ مافيها أغانيها[٢] !

لكنّه ، وهو يهيم على وجهه هكذا ، رأى نفسه على ضفاف « الرَّاين » !

صَنمة الرَّاين (من الحلم إلى الفكرة)

إنَّ التقاءه « الرَّاين » أثار فيه مالم تُثِره أيَّةُ واقعة من وقائع رحلته ، أي إرادة النظر والمراقبة وتفحُّص الأشياء في سبيل هدف محدَّد . وقد عبَّر هوغو عن هذه الحال بقوله إنَّ مواجهته الرَّاين « جمعَت مسيرة أفكاره السَّارحة على هواها ، طبعت سياحته بفحوى شبه واضحة بعد إذ كانت غير ذات هدف ، منحت دراساته نقطة ارتكاز ، بكلمة ، نقلته من أحلام اليقظة إلى [بؤرة] الفكرة »[٣]

●● **ماضي أوروبا ومستقبلها :** أمّا نهر الرَّاين ذاته فالناس لا يرَوْن إليه كما ينبغي . فكلّهم يتحدّثون عنه ، وليس بينهم من يقوم بدراسته . وكلّهم يرحلون إليه ، من دون أن يعرفه أحد ، ويسرّحون إليه النظر ، من دون تعمّق . وواقع الأمر أنّ خرائب « الرّاين » تحتلّ المخيِّلات الرفيعة ، في حين يشغل قَدَره الأذهان الرّصينة . وهنا يستخلص شاعرنا لبَّ أهميّة نهر « الرَّاين » فيقول « **وهذا النهر الرائع يُتيح لعين الشاعر ، كما لعين متعاطي الشأن العام ، أن تتبيَّن ، من خلال شفافية أمواجه ، ماضي أوروبا ومستقبلها** »[٤] .

يوضح فكتور هوغو فكرته هذه ـ التي تُبرزه أديباً ملتزماً بقضايا مجتمعه وعصره ، كما شعره الذي يبدو بعيداً عنهما وهو في جذورها ـ كما يلي : إنَّ تأمّل ماضي الرّاين تجسَّد في معاينة المباني التي تصيبها عوادي الأيّام . أما حساب المستقبل فيجري من خلال المحصَّلات المحتملة للأحداث الحيَّة ثم يضيف ، بقدرة رؤياه الثاقبة : **إنّ الرّاين سيضحى يوماً ، وهو قريب جداً ، المسألة الصارخة للقارّة الأوروبية** . فلمَ لا يوجّه الشاعر تأمّله نحو هذه الناحية ؟ وهو يعني بذلك أنَّ للشاعر رسالة وطنيّة وقوميّة ، وسياسيّة كما يعبّر أبناء عصرنا الملتزمون .

●● **التوفيق بين فرنسا وألمانيا :** ينطلق فكتور هوغو ـ وهو المتمرّس بالسياسة والذي سيخوض غمارها ، فيما بعد ، خوضاً عمليًا ـ في فهم المستقبل ، من الحاضر حيث يتكشَّف له أمران ؛ الأوّل أنَّ **الرّاين فرنسيّ أكثر مما يظنّ الألمان** ، والثاني **أنَّ الألمان أقلّ عداءً لفرنسا ممّا يعتقد الفرنسيّون** . هذا الاعتقاد الثُّنويّ ، الذي تحصّل له وترسّخ فيه ، غدا ، بالنسبة إليه ، أحد المنطلقات لبحث هذه المسألة .

واقع الأمر أن فكتور هوغو ـ الذي كتب مقدّمة كتابه في كانون الثاني/يناير من عام ١٨٤٢ م ـ يشير إلى أنّ مسألة الراين طُرحت من جديد بين فرنسا وألمانيا لستة أشهر أو ثمانية خلت ، أي في منتصف العام ١٨٤١ م تقريباً . وقد تناولها بالبحث والأخذ والردّ أهل تفوُّق وشرف وانشعبوا على اتجاهين ، كما يحدث غالباً ففئة اعتبرت **معاهدات ١٨١٥م** أمراً واقعاً ، وعليه تخلَّت عن الضفّة اليسرى من الرّاين لألمانيا ، غير مطالبة إلاّ بصداقتها ؛ والفئة الأخرى ـ فيما احتجّت بشدّة على معاهدات ١٨١٥ م وبحقّ ، بحسب رأينا ـ طالبت الضفّة اليسرى بقوّة وتخلّت عن صداقة ألمانيا . **فالأولون ضحَّوا بالرّاين في سبيل السلام ، والآخرون ضحّوا بالسّلام في سبيل الرَّاين** . ويضيف فكتور هوغو : في رأينا ، كان هؤلاء وأولئك على خطأ وصواب في آن . فبين هذين الرأيين المتناقضَيْن والمتضادَّيْن بدا لنا موقعٌ لرأي موفِّق بينهما .

المحافظة على حقّ فرنسا من دون خدْش قوميّة ألمانيا ـ تلك هي المعضلة التي تراءى حلُّها لكاتب سطور هذه الرّحلة من خلال سياحته في بلاد الراين[٥] . فعندما عرضت في ذهنه هذه الفكرة لم تكن لتتجلّى له كفكرة بل كواجب يجب إنجازه . إذ ينبغي لأيّ امرىء أمام مسألة تهمّ أوروبا ، أي الإنسانيّة بأسرها ، أن يضيء الجانب الذي يستطيع منها ، مهما يكن نوره خافتاً . إنّ العقل البشريّ ، ملتقياً بذلك **الشريعة الإسبارطيّة** ، يُجبر صاحبه ، في بعض الحالات ، على الجَهْر بالرأي . وهكذا كتب فكتور هوغو ـ من دون مراعاة الشأن الأدبيّ إلى حدٍّ ما ، بل بالشعور البسيط الصّارم الذي ينتاب من أدّى واجباً ـ مائتين من الصفحات التي تختم المجلّد الثاني من هذه المطبوعة ، وتأهّب لنشر تلك الصفحات . وكان ينفّذ ذلك إذ فاجأه وسواس . ماذا يمكن أن تعني مائتان من الصفحات معزولةً عن الجهد الذي اعتمل في ذهن الكاتب خلال استكشافه « الرّاين » ؟ ألا يجب التمهيد بالقول إنه زار بلاد « الرَّاين » ، وعندئذ سيأخذ الناسَ العجبُ ، عن حقّ ، في أنه لم يجد في ذلك النهر سوى مسألة من مسائل السياسة الدّوليّة ؟ وهو الشاعر ، تَوْقاً ؛ وعالم الآثار ، هوايةً ..

أن نعمد ، بتقريب تاريخيّ ، إلى إيضاح مسألة معاصرة ، أمرٌ مفيد ، من دون ريب . لكنْ ، أليس يستأهل « الرّاين » ، هذا النهر الفذُّ في العالم ، أن يُرى لذاته وفي حدّ ذاته ؟ فكيف يُفسَّر مرور الكاتب أمام تلك القلاع ، وبجانب الأطلال ، وبحضرة ذلك الماضي من دون تفحُّصها

والتأمل فيه ؟ أليس من واجب الكاتب ، أياً كان ، أن يكون منسجماً مع ذاته ، وألاّ يظهر للناس إلاّ بالمظهر الذي يألفونه فيه ؟ إنّ من شأن ذلك إضعاف الثقة فيه حيث تُطلب بإلحاح . فالواجب لا يُجيز الانحراف عن الهدف .

وهنا برزت إلى ذهن فكتور هوغو الرسائل التي كان كتبها خلال رحلته . أعاد قراءتها ، فتيقّن من أنها ، في واقعيّتها ، تشكّل نقطة الارتكاز التي لا نزاع حولها والمنطلق الطبيعيّ للخلاصات التي انتهى إليها في المسألة الرّاينانيّة . إنّ الألفة التي تفيض من بعض التفاصيل ، والدقّة في بعض الأوصاف ، وشخصانيّة بعض الانطباعات لهي بيّنات تضيء المسألة بنور طبيعيّ . زد على ذلك أنّ فكرة الكاتب . مهما تكن حميمة وغير واضحة القسمات ، إنْ هي كُشفت للقرّاء بأمانة ، أياً كانت النتيجة ، فإنّ هؤلاء وإنْ لم يشاركوا المؤلّف في تبنّي خلاصاته ، فإنهم لا يشكّون في قناعاته . فإذا وقع ذلك ، تحققّت خطوة كبيرة ؛ والمستقبل يتعهّد الباقي ، بعد ذلك .

وهكذا ، انطلاقاً من تلك الدوافع الحاسمة ، عقد فكتور هوغو العزم على نشر رسائله وعلى أن يقدّم للناس مجلّدين عن « الراين » بدلاً من مائتي صفحة .

وقبل أن ننتقل إلى موضوعات أخرى من رحلة شاعر فرنسا الكبير ، نختم باعترافٍ له مهمّ لا بل فذٌ في **مسألة النزاع على نهر الرّاين بين فرنسا وألمانيا** . وأقلّ ما يوصف به اعتراف هوغو هو التعالي على الجراح في مسألة كانت مثار وقائع ومنازعات وحقد . بل إنّ شاعرنا تجاوز ذلك إلى الضّرب في أعماق التاريخ ، إذ قال « إنّ ألمانيا ـ ولا يخفي الكاتب ما يضمره ـ هي أحد البلدان التي يُحبّ وواحدة من الأمم التي يعجب بها . فيكاد يكون له شعور بَنَويّ تجاه ذلك الوطن الشريف لجميع المفكّرين . لو لم يكن فرنسيًّا لرغب في أن يكون ألمانيًّا »[٦] .

هذا الشعور الإنسانيّ من جهة لأنَّ أرض الأدباء والمفكّرين والموسيقيين هي وطن الجميع ، والشعور بالمسؤولية الوطنيّة من جهة أخرى ، جعلت من فكتور هوغو في رحلته ، إضافةً إلى كونه شاعراً وأديباً ، صاحب نظرة سياسيّة في العلاقات الدّوليّة . وقد أشار ، في آخر مقدّمته ، إلى أنه التقى ، في آخر مطافه ، الأوقيانوس المزدوج والعميق للحاضر والماضي ، السياسة والتاريخ .

رحلة في الذات قبل الأرض

اعتقد أنَّ القّصاص الفرنسي **إميل زولا**[٧] هو صاحب هذا القول العظيم الدلالة « الفنّ هو الطبيعةُ مرئيّةً من خلال مزاج » . وهو قول ينطبق على فنّ فكتور هوغو خلال رحلته إلى بلاد الرّاين . فقد سطّر في الرسالة الأولى لدفتر رحلته ، مخاطباً صديقه الباريسيّ بقوله « تعلم ، ياصديقي ، أني لستُ أبتغي الأحداث في السَّفر ، بل الأفكار والأحاسيس لذا ، حسْبي جِدَّةُ الأشياء . القليل يرضيني . كُلُ ما أبغيه أشجارٌ ، وعشبٌ ، وهواء ، وطريق يمتدّ أمامي وينسحب ورائي . إذا كانت البلاد مسطّحة أحببتُ الآفاق المنبسطة ، وإذا كانت وعرة أحببتُ المناظر غير المتوقعّة ... »[٨] .

ويؤكدّ موقفه هذا ، بصورة أخرى ، في مكان آخر من رسالته الرابعة المؤرخَة في ٢٩ تموز/يوليو ١٨٣٨م ، إذ يصف **مدينة « سواسُون »** Soissons بقوله « أما أنا فكنت أنظر بانتباه ، بعينَي الذّهن ، إلى سلام عظيم وعميق يخرج من ذلك السَّهل المظلم الذي شهد **قيصر** ينتصر ، **وكلوفيس** يملك ، **ونابليون** يتداعى . ذلك أنَّ الرجال ، وإن يكونوا قيصر ، أو كلوفيس ، أو نابليون ، ليسوا سوى ظلالٍ تمرُّ [مرَّ السَّحاب] ؛ وذلك أنَّ الحرب إنْ هي إلاّ ظلّ مثلهم تذهب بذهابهم ، في حين أنَّ الله ، والطبيعة التي تصدر عن الله ، والسّلام الذي يصدر عن الطبيعة ، هي باقية »[٩] .

إنها رحلة الأفكار والأحاسيس ، وإنه النظر بعيني الذهن يُفضي إلى التأمّل في الوجود والكون وما وراءهما ، لكأني بفكتور هوغو يقوم برحلة تأمّلات في ذاته ومن خلالها في الكون ، فيرفع عقيرته منشداً بلسان الشاعر العربيّ :

ليسَ شيءٌ على المنون بباقِ   غيرُ وجهِ المسبّح الخـلاّقِ !

وفي مكان آخر يعبّر هوغو عن جوهر رحلته هكذا « إنها يوميَّات فكرٍ أكثر منها يوميّات سفر »[١٠]

●● **إحياء التاريخ** : من هنا ، يمكن اعتبار رحلة فكتور هوغو دفتر تأمّلات في شؤون الكون والحياة . لذا أفاض في ذكر الأحداث التاريخية فترى كتابه يضج بها ، يذكرها عن ظهر قلب في رسائله إلى صديقه الباريسيّ ، وقلّما يخطيء فيها : ناهيك بالتعاليق الأرخيولوجيّة حول المباني التاريخية والخرائب . ونشير ، في هذا المجال ، إلى ما كتبه هوغو عن **مقاطعة « شامباني »** Shampagne ، فهي من خير الأمثلة على هذه الناحية من خصائص رحلته .[١١] فهو يعرض فيها ، بإيجاز يدلّ على تبحُّر ، التاريخ القديم وتاريخ القرون الوسطى ، وصولاً إلى عصره . لكنّه لا يعرضه عرضاً جامداً يقتصر على السَّرْد ـ وهنا تتجلّى عبقرية الشاعر والكاتب هوغو ـ بل يُحييه ، بحديثه وتشخيصه ، واصلاً الماضي بالحاضر فإذا هما مجسَّدان أمامك لا تعرف واحدهما من الآخر ! فيذّكرك ، أحياناً ، بالبحتريّ في « سينيّته » الشهيرة التي مطلعها :

صُنْتُ نفسي عمّا يدنّس نفسي   وترفّعتُ عن جَدا كلّ جِبْسِ



وإليك مثلاً على ذلك من وصفه مقاطعة « شامبانيا » المذكورة التي يكاد يحبها شاعرنا . فهو ، بعد أن يُشير إلى تاريخها القديم وأحداثها الخالدة من معارك وانتصارات وأبطال يقول « إنَّ الحوليّات العتيقة لهذه الغالية [**بلاد الغال** Goule] البلجيكيّة التي أصبحت شامبانيًا ليست دون الحديثة شاعريّة . هذه الساحات كلّها تضجّ بالذكريات : **ميروفي والفرانك ، أيتيوس والرومان ، تيودوريك والفيزيغوط .. معسكر أتيلا ، جادّات شالون العسكريّة .. كاراكلاً ، سابينوس ، باب عطارد في مدينة رانْس** .. كُل ذلك التاريخ العتيق ، وقد غطَّته دُكْنُ الأيّام ، يتحدّث ، يحيا ويختلج كما بالأمس ، وهو يصرخ من أعماق الظلمات : توقَّف ، يارائد المسالك ! خوالي الشعب الكِلْتيّ تُتَمْتِمُ همهماتها الغامضة في ليلة هذا التاريخ اللّيلاء ! »(١٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه ، في هذا المقام ، معرفة فكتور هوغو بتاريخ المدن والدّساكر والقرى . وهو أمرٌ لا يتوافر إلاّ للمتضلّعين من التاريخ ، إذ أن معرفة التاريخ العام أمر سهل ، لكنَّ معرفة التواريخ الخاصة لا تنقاد إلاّ للمتبحرّين في دراسة القرون الخالية ، ولاسيّما في دراسة الجزئيّات .

في هذا السِّياق ، يبدو لنا فكتور هوغو من المتعمقّين في علم الرجال ، كذلك . فهو يكثر من ذكر رجالات كل بلدة أو مدينة أو ناحية ، سواءٌ انتموا إلى فرنسا نفسها أو كانوا من الغزاة والطارئين ، في قديم التاريخ وحديثه . وهذا مبثوث في صفحات كتاب رحلته ، تكاد لا تخلو منه رسالة ، وفي بعض الرسائل صفحة .(١٣)

تفضيله النظام الملكيّ

من خلال اهتمام فكتور هوغو بالتاريخ ، وبتاريخ فرنسا بوجه خاص ، يتّضح لنا أمرٌ عُرِف عنه ، بصورة عامة ، لكنّه صريح في كتاب رحلته هذا ، وهو اعتزازه بملوك فرنسا وترجيحه النظام الملكي على الجمهوريّة .

حين يتحدّث هوغو عن « شامبانيا » ومدنها يجنح إلى هذا القول « كما ترى ، أنَّ التاريخ المحلّي لجميع هذه المدن من « شامبانيا » هو تاريخ فرنسا ؛ هو تاريخها بالتفاريق ، لكنّه تاريخ كبير ، مع ذلك .

إنَّ « شامبانيا » تحتفظ ببصمات ملوكنا القدامى . ففي « رانْس » Reims كانوا يتوَّجون .. **سان لويس ولويس الرابع عشر** ، قاتلا كلاهما ، لأول مرّة ، في « شامبانيا » ، الأول في ١٢٢٨ م ، في مدينة « **تروا** » Troyes حيث رفع عنها الحصار ؛ الثاني ، عام ١٦٥٢ م ، في مدينة **سانت مينيهولد** Sainte Menehould التي دخلها من الثغرة . يالمصادفة العجيبة ، كلاهما كانا في الرابعة عشرة ! »(١٤) .

ويعتبر فكتور هوغو **الإمبراطور نابليون** استمراراً لملوك فرنسا العتاق ، فيتابع في السّياق ذاته ، قائلا « تحتفظ شامبانيا بدمغة نابليون . لقد كتب بأسماء شامبانيويّة الصفحات الأخيرة من منظومته الخارقة ، **أرسي سور أوب ، شالون ، رانْس ، شامبوبير ، سيزان ، فرتو ، ميري ، لافير ، مونميراي** . معارك في عددها ، وانتصارات في عددها ! **فيزم ، فيتري ، دولفان** ، جميعها تناوبت كونها مقرّه العسكريّ العام ... **نوجان سورسين** Nogent - sur - Seine شهدت في خمسة أيّام خمسة انتصارات للإمبراطور ، وهو يتحرّك على **المارن** (نهر) مع حفنة من أبطاله ... »(١٥)

من الدلائل الأخرى على تعلّق هوغو بالملكية قوله في مستهلّ الرسالة الرابعة من الكتاب ، بتاريخ ٢٩ تموز/يوليو ١٨٣٨ م « صديقي العزيز ، أكتب إليك من **جيفيه** Givet ، اليوم ، وهي مدينة قديمة صغيرة شَرُفت بأنها قدّمت **للويس الثامن عشر** آخر كلمة مرور وكلمة سرّ ... »(١٦) .

أمّا حين يتكلّم على يوم **لويس السادس عشر** في مدينة **فارينْ** Varennes فإنه يصف بأقبح النعوت من تقاعسوا عن واجبهم ويتناول الأحداث بأسى ونقمة(١٧) .

في مقابل ذلك ، تراه يصبّ غضبه على الثورة الفرنسيّة ، بعبارات ينثرها ، هنا وهناك ، معلّقاً على رواية أو حدث أو موقف ، كأن يقول في معرض حديثه على تهديم معالم معمارية في **مدينة « شالون »** Châlons « الثورة الفرنسيّة كانت رهيبة ؛ الثورة الشامبانيوية كانت غبيَّة »(١٨) .

هذه النقمة التي يعبّر عنها بأسلوب مباشر ، من دون مواربة ، يقابلها موقف ساخر جارح من مهدِّمي تراث فرنسا باسم الثورة . في معرض كلامه على **قصر « مونمور »** Montmort ، يذكر أنّ حيطانه كانت مغطّاة بلوحات ضخمة من الجدرانيّات المنسوجة تمثّل رسوماً عائلية . في أيام الثورة ، انبرى لها جماعة نبهاء من القرية المجاورة فنزعوا اللوحات وأحرقوها ، ممّا وجّه ضربة قاضية للإقطاعيّة .

الأديب الوصّاف

إذا كانت عبقريّة فكتور هوغو قد تجلّت في وجوه غير مألوفة من خلال كتاب رحلته إلى بلاد الرّاين ، فإن تجليّات وجه الشاعر والأديب لم تكن أقلّ بهاءً . فهو ، في هذا الفنّ أيضاً ، شاعر الطبيعة والفلك والعمران والنفس الإنسانية ؛ وفي نهاية المطاف ، شاعر متأمّل مفكّر .

الأمثلة على ذلك كثيرة ، بينما وصفه الطريق بين « **سانت مينيهولد** » و« **كليرمون** » . يقول هوغو « الطريق من سانت مينيهولد إلى كليرمون خلاّب . بستان لا ينتهي . على جانبي الطريق أجمة من الأشجار المثمرة تنعكس على خضرتها أشعة الشمس مهرجاناً من الألوان ، وتلقى بظلالها على الطريق في مِثْل تقطيع أوراق الهندباء . في القرى سماتٌ سويسريّة وألمانيّة . بيوتٌ من الحجارة البيضاء ، نصف مغطّاة بألواح خشبيّة ، تعلوها سطوح من القرميد المجوّف تتجاوز الحيطان بقدمين أو ثلاثة . بيوت تكاد تكون يحسّ المرء معها بقرب الجبال . واقع الحال أنَّ **جبال الأردين** هاهنا ... »[٢٠] .

●● **عشقه الشجر** : ثمّة أمر لا مناصّ من ذكره ، في سياق حبّ هوغو للطبيعة وإبداعه في توصيفها ، وهو شغفه غير المحدود بالأشجار . فهي ، بالنسبة إليه ، محور الطبيعة وجاذب تعلّقه بها . من وجوه تلك العلاقة الفريدة ما وصفه من موكب مهاجرين إلى **أميريكا** من **الألزاس** ، وهو في السهل المؤدّي إلى « **فوشان** » Vaux - Champs . فالرحّالة الشاعر يقصّ بأسىً رحلة المهاجرين الذين وُعدوا بأراضٍ في **مقاطعة** « **أوهايو** » **الأميريكية** وخلّفوا وراءهم أرضاً قال فيها الشاعر اللاتيني **فرجيل** أجمل القصائد لألفي سنة خلت ! وهنا يقف هوغو وقفة المتأمّل في الأوطان والناس فكتب « أدهشتني هذه اللامبالاة . كنت أظنُّ الوطن أرسخ نقشاً في الصميم من الناس . ألا يعني هؤلاء الناس ألاّ يروا الأشجار نفسها ، بعد اليوم ؟ »[٢١] .

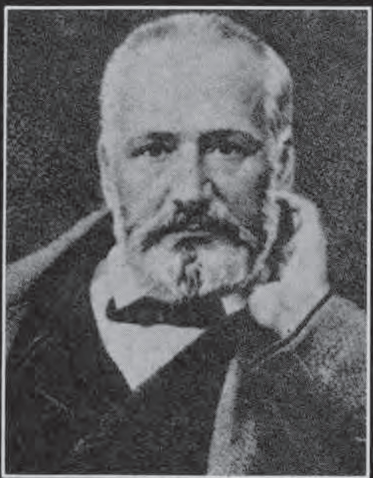
في مكان آخر يخصّ **شجر الدّرْدار** بمحبة مميّزة دون سائر الأشجار التي يشغف بها . يقول « هنا ستَّ عشرة شجرة دَرْدار كبيرة هي أطرف مثيلاتها في العالم ، تلوي بقاماتها فوق الطريق شَكِسَةً ، وبلِمَمِها مشعثَّة . الدّردار بعض انشراحي في السَّفر . كلٌّ منها جديرة بأن يتفحصّها المرءُ منفردة . سائر الأشجار غبيَّة ومتشابهة . أشجار الدّردار ، وحدها ، تنطوي على طرافة وتهزأ بجارها ، ترتدّ إذا انحنى ؛ هزيلة إذا التفّ ؛ يتغوّل وجهها بإشارات شتّى عندما يأتي المساء ويمرّ بها العابرون . لصغار الدّردار ورق ينبت في اتجاهات مختلفة ، كما المفرقعات تتفجّر »[٢٢] .

وما يقال في حبّ فكتور هوغو للأشجار يقال في شغفه بالسماء في نجومها وكواكبها ومجرّاتها ، وإن بمقدار أدنى . لكن وصفه إياها يضاهي وصفه الأشجار بل يمتاز في شروده التأمّليّ[٢٣] .

رسالة الشاعر

بعد جلاء هذه النواحي من رحلة هوغو في بلاد الرّاين ، متشابهَيْن في تدّفقهما كالقدر ، يتكشّف لنا ، من خلال النصوص التي تناولناها ، موقفه من رسالة المبدع ، شاعراً كان أو كاتباً ، أو رسّاماً ، أو سوى ذلك ، وبالتالي من وظيفة الفنّ . فلنحاول أن نجمع بين ما يرشح لنا ممّا قرأناه وما صرَّح به في تضاعيف كتابه . وأبرز ما يعلنه هوغو ، في هذا الميدان الذي يختصر الحياة . أنّ **الشاعر معنيٌّ بكل ما في الكون وجميع ما يجري فيه !**

قال هوغو « حَسْب الشاعر أن يحيا في أحد العصور المصيريّة من الحضارة ، لتُعنى نفسه ، بالضرورة ، بكل شيء ، بالطبيعة ، والتاريخ ، والفلسفة ، بالنّاس والأحداث ؛ وليكون ، دوماً ، في حالة تأهّب لمباشرة



خلاصة أحداث حياة فكتور هوغو وتسلسل مؤلّفاته عبْرَ السنين (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥ م)

٢٦ شباط ١٨٠٢ م : ولادةُ فكتور ـ ماري هوغو ، الولد الثالث لـ ليوبولد هوغو ، ضابط (ثم لواء) ولـ صوفي تريبوشيه .

١٨٠٣ ـ ١٨١٤ م : عهد الطفولة موزَّعاً بين كورسيكا (١٨٠٣ م) ، نابل (١٨٠٨ م) ، مدريْد (١٨١١ م) ، وباريس (١٨٠٤ م ــ ١٨٠٧ م) ، وفوّيانتين (١٨٠٩ م ، ١٨١٢ ـ ١٨١٤ م) .

١٨١٤ ـ ١٨١٨ م : التحصيل المدرسي في داخليّة كوردييه (١٨١٤ م) وليسيه لُوي

رحلة فكتور هوغو الى نهر الراين



المسائل العمليّة مثل سواها . يجب أن يعرف ، عند الحاجة ، كيف يؤدّي خدمة مباشرة ويسهم في حركة الواقع . ثمّة أيّام ينبغي خلالها أن يصبح كل امريء مجنّداً ، وكلّ مسافرٍ بحّاراً . في هذا العصر المميَّز العظيم ، يحتّم عدم التراجع ، منذ البداية ، أمام رسالة الكاتب الشاقّة ، فرض شريعة على النفس بعدم التراجع مطلقاً . **إنّ حكم الأمم هو تحمُّل مسؤولية** ؛ التّوجُّه إلى الأذهان هو تحمُّل مسؤولية من نوع آخر .. جمعُ الوقائع ، معاينة الأشياء شخصياً ، تقدير المصاعب ، الإسهام في الحلول قدْر الإمكان ، هي الشرط بعينه لرسالته ، مفهومةً بإخلاص .. هو يدرك أنّ متابعة الأمور قوّة . ويمكن لهذه القوّة أن نضيفها إلى ضعفه . إنّ نقطة الماء التي تسقط من الصخرة تثقب الجبل ، فلِمَ لا يكون في استطاعة نقطة الماء التي ترشح من الذّهن أن تنفذ إلى المسائل التاريخيّة ؟ »[٢٤] .

هذا النّص نموذج لمفهوم الالتزام الأدبيّ ، في معناه العام الإنسانيّ لا في المفهوم العقديّ الضيّق الذي يعوّل فيه الأديب إلى صحافيّ أو سياسيّ . وهو جدير بالتأمّل والدراسة . فأحلام اليقظة أو النّوم تمثّل

لوغران (١٨١٦ ـ ١٨١٨ م) . والمحاولات الأدبية الأولى .

١٨١٩ م : هوغو يؤسس Le Conservateur Littéraire Bug-Jargal (الكتابة الأولى) .

١٨٢١ م : موت والدته .

١٨٢٢ م : هوغو يتزوج أديل فوشيه Adéle Foucher Odes et Poésies Diverses .

١٨٢٣ م : La Muse تأسيس Han d'Islande Française .

١٨٢٤ م : ولادة ليوبولدين هوغو . Nouvelles Odes .

١٨٢٦ م : Bug-Jargal (الكتابة الثانية) .

١٨٢٧ م : اجتماعات الندوة Cénacle Cromivell et sa Préface .

١٨٢٨ م : موت الجنرال هوغو . مولد فرنسوا فكتور هوغو .

١٨٢٩ م : Le Dernier Jour d'un condomné. Les Orientales . منع Marion de Lorine .

١٨٣٠ م : أول عرض لمسرحية هرناني Hernani (٢٥ شباط) . ولادة أديل هوغو .

١٨٣١ م : Morion de Lorine. Notre Dame de Paris. Les Feuilles d'Automne.

١٨٣٢ م : Le Roi S'amuse .

١٨٣٣ م : Lucrèce Borjia . بدء علاقته بجوليت درويه . Marie Tudor .

١٨٣٤ م : Claude Gueuse. Littérature et philosophie mêlées .

١٨٣٥ م : Angelo. Les Chants du Crépuscule.

١٨٣٧ م : Les Voix intérieures .

١٨٣٨ م : Ruy Blas . يبدء بتسجيل ملحوظاته حول مشاهداته .

١٨٤٠ م : Les Rayons et les Ombres .

١٨٤١ م : انتخابُه في الأكاديمية الفرنسية .

١٨٤١ م : Le Rhin .

١٨٤٣ م : فشلُ Burgranes . غرقَ ابنته ليوبولدين مع زوجها .

١٨٤٥ م : عُيّن عضواً في مجلس الشيوخ .

١٨٤٨ ـ ١٨٤٩ م : انتخب عضواً في الجمعيّة التأسيسيّة ، ثم التشريعيّة .

١٨٥١ م : طرد ، بعد الانقلاب ولجأ إلى بلجيكا (بروكسيل) .

١٨٥٢ م : نشر في بروكسيل نابليون الصغير Napoléon le Petit ، ثم انتقل إلى جرسي .

١٨٥٣ م : نشر في بروكسل Les Châtiments .

١٨٥٦ م : نشر Les Contemplations .

١٨٥٩ م : (السلسلة الأولى) La Légende des Siècles .

١٨٦٢ م : البؤساء Les Misérables .

١٨٦٤ م : نشر وليم شكسبير William Shakespeare .

١٨٦٥ م : نشر Les Chansons des rues et des bois .

١٨٦٦ م : نشر Les Travailleurs de la Mer .

١٨٦٨ م : موت زوجة هوغو في بروكسيل .

١٨٦٩ م : نشر L'Homme qui rit .

١٨٧٠ م : ٥ أيلول : عودة مظفَّرة إلى باريس .

١٨٧١ م : انتخابه نائباًعن باريس في الجمعية الوطنية ، ثم ما لبث أن استقال .

١٨٧٢ م : نشر L'Année terrible .

١٨٧٤ م : Quatrevingt - treize .

١٨٧٥ ـ ١٨٧٦ م : نشر Actes et Paroles . انتخب عن باريس في مجلس الشيوخ .

١٨٧٧ م : (السلسلة الجديدة) Histoire d'un crime. L'Art d'être grand-père. La Légende des Siècles .

١٨٧٨ م : Le Pape .

١٨٧٩ م : La Pitié suprême .

١٨٨٠ م : L'Ane. Religions et Religion .

١٨٨١ م : Les Quatre vents de l'esprit .

١٨٨٢ م : Torguemada .

١٨٨٣ م : (ملحق) La Légende des siècles . موت جولييت درويه .

١٨٨٥ م : ٢٢ أيار/مايو : موت الشاعر . أول حزيران : مراسم دفن وطنية .

١٨٨٦ ـ ١٩٠٢ م : نشر كتب مخطوطة بعد موته .

عبقريٌّ للواقع يمكن تسخيره في سبيل حلّ صعوباته ومعضلاته . إنّها المعاناة ، تعرف ، بديهةً ، كيف تُقدِم ومتى ، وكيف تُحجِم ومتى .

خـاتمـة

هذا بعض الحصاد الذي يؤوب به من يرافق فكتور هوغو إلى ضفاف الرَّاين في رحلة الواقع والشعور والتأمّل . إنها رائعة أدبيّة ورسالة قوميّة إنسانية بين فرنسا وألمانيا ، ومن ثمّ بين شعوب القارّة الأوروبية ، واستطراداً بين شعوب العالم . هي نغمة سلام تنتظم أعمالاً في أسلوب الجمال يستخدم النثر الذي نافس به شاعرنا أهله الكبار .

★ هوجو في المنفى ★





★ جولييت و ١٧،٠٠٠ رسالة إلى فيكتور هوجو ★



★ « أويل » زوجة الشاعر فيكتور هوجو ★



★ فيكتور هوجو وحفيداه جورج وجان ★

كتاب فكتور هوغو شاهدُ عصرٍ من العلاقات الأوروبيّة ، ومحيي ماضٍ من الأمجاد في تاريخ فرنسا السياسيّ والاجتماعيّ والثقافيّ ، ومتنوِّرُ مستقبلٍ لفرنسا وأوروبا ، وقبل كل شيء شهادة حيّة لحقبة من حياة فكتور هوغو الخصبة بالشاعريّة والكتابة والفكر ، ولاسيّما في مجال الإبداع الأدبيّ والنظريّات الأدبيّة .

لقد أثبت هوغو في سِفره الضخم حول بلاد الرَّاين أن « الأنا » ليست تقوقعاً وانطواء على الذات ، بل هي في مركز المجتمع والحياة السائرة دوماً كنهرٍ جارٍ . « أنا » فكتور هوغو كانت في كتابه « الرَّاين » ، محور ذاته ، ومحور فرنسا ، وقلب أوروبا والعالم .

الهـوامــش

(١) راجع كتاب رحلته Le Rhin ، منشورات جول روف وشركائه ، باريس ١٨٤٢ م ، ص ٥ .
(٢) توفيق يوسف عوّاد في « قوافل الزمان أو قصائد البيتَيْن » ، منشورات مؤسّسة أ . بدران ، بيروت .
(٣) Le Rhin ، ص ٥ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٦ .
(٥) آثرنا مناخمة أسلوب فكتور هوغو في الكتابة وأساليب التعبير ، من دون المسّ بعبقريّة التعبير بالعربيّة .
(٦) Le Rhin ، ص ٢٠ . تُراجَع لما سبق ذكره الصفحاتُ السابقة من دون تحديد ، ولاسيّما الصفحات ١٣ ـ ١٥ .
(٧) زعيم المدرسة الطبيعية في الكتابة (١٨٤٠ ـ ١٩٠٢ م) .
(٨) Le Rhin ، ص ٢٧ .
(٩) المرجع نفسه ، ص ٧٢ .
(١٠) المرجع نفسه ، ص ١٠ .
(١١) راجع رسالته الثالثة ، ص ٤٤ وما يليها ، ولاسيّما الصفحة ٦١ وما بعدها ، وبخاصة ٦٥ ـ ٦٨ .
(١٢) الرسالة الثالثة من المرجع ذاته ، ص ٦٦ . يُشار إلى أنّ هذه الترجمة وسائر الترجمات والاقتباسات أنجزها ، عن الفرنسيّة ، كاتب هذه الأسطر .
(١٣) راجع ، مثلا ، الصفحات ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٨ ـ ٨٩ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
(١٥) المصدر نفسه ، ص ٦٥ ـ ٦٦ (الرسالة الثالثة) .
(١٦) نفسه ، ص ٧٠ (الرسالة الرابعة) .
(١٧) نفسه ، ص ٤٥ ـ ٤٧ (الرسالة الثالثة) .
(١٨) نفسه ، ص ٥١ (الرسالة الثالثة) .
(١٩) Le Rhin ، ص ٤٠ (الرسالة الثانية) .
(٢٠) نفسه ، ص ٥٨ ـ ٥٩ (الرسالة الثالثة)
(٢١) نفسه ، ص ٣٧ .
(٢٢) نفسه ، ص ٣٨ (الرسالة الثانية) .
(٢٣) راجع المصدر نفسه ، ص ٧٣ ـ ٧٤ (الرسالة الرابعة) .
(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٦ ـ ٧ (المقدّمة) .

مطالعات في الكتب



ديوان الزركلي

تأليف : خير الدين الزركلي * عرض : محمود الأرناؤوط

يسعدني أن أزف إلى قراء « **الفيصل** » نبأ صدور « **ديوان الزركلي** » الذي يضم « **الأعمال الشعرية الكاملة** » للعلامة المؤرخ والشاعر المتميز الأستاذ **خير الدين الزركلي رحمه الله ، صاحب كتاب « الأعلام »**[1] ، الذي كتب الله تعالى له الانتشار في ربوع الدنيا ، فأفاد منه العرب والمستعربون إفادات جمة ، وصار لدى العلماء وطلاب العلم مفتاح كل ترجمة ، فعرف الزركلي بـ « الأعلام » دون سواه من مصنفاته الكثيرة المتنوعة ، وكاد البعض أن ينسى ما للرجل من **القصائد والموشحات** التي تعد بالمئات ، أضف إلى ذلك أنه رحمه الله بدأ حياته الأدبية شاعراً ، وانتقل إلى جوار ربه وهو يعد ديوانه هذا للطبع .

لقد كان الزركلي مالئ الدنيا وشاغل الناس في أيام شبابه وعنفوان قوته ، فقد **أصدر مجلة « الأصمعي » بدمشق** وهو فوق العشرين بقليل ، فعطلتها السلطات العثمانية ، فغادر إلى بيروت **فدرس في مدرسة « اللاييك »** فترة ثم عمل مدرّساً للتاريخ والأدب العربي فيها ، وحين وضعت **الحرب العالمية الأولى** أوزارها ، انتقل إلى دمشق ليصدر **صحيفة « لسان العرب »** فيها وكانت يومية ، ثم أعقب ذلك بإصدار صحيفته الثانية « **المفيد** » مع صديق له ، ثم غادر دمشق إثر **وقعة « ميسلون »** واحتلال الجيش الفرنسي لسورية ، واستقر **بمكة المكرمة** ومنح الجنسية العربية فيها ، وكان ينظم القصائد الوطنية الحماسية ويرسل بها إلى الثائرين المشاركين في الثورة السورية ، مما دعا البعض إلى تلقيبه بشاعر الثورة الأكبر[2] ثم قصد **الأردن** فشارك في إنشاء حكومته الأولى ، ثم قصد مصر وأنشأ « **المطبعة العربية** » في القاهرة وطبع بها عدداً من كتبه[3] ، ثم ساءت صحته فباع المطبعة وقصد فلسطين فأصدر فيها صحيفته الثالثة « **الحياة** » ، ولم تلبث السلطات الإنجليزية أن أوقفتها ، ثم دعي إلى السعودية فكان مستشاراً لمفوضيتها في القاهرة ، وشارك في أثناء عمله هناك في مداولات إنشاء « الجامعة العربية » ثم انتدب لإدارة وزارة الخارجية بجدة ، وفي عام ١٩٥١ م ، **عين وزيراً مفوضاً للحكومة السعودية لدى « الجامعة العربية » ، ثم سفيراً للمملكة لدى المغرب** ، فكان عميداً للسلك السياسي الدبلوماسي فيه ، وقد أفاد من وجوده في المغرب بالاطلاع على المخطوطات في خزائنه ، وكان رحمه الله من أعضاء المجامع اللغوية في دمشق والقاهرة وبغداد ، وقام برحلات كثيرة إلى مختلف دول العالم ، وقد أتاحت له تلك الرحلات النظر في كنوز مختلف المكتبات . وكان يعشق « دمشق » ويؤثرها على سواها من مدن الدنيا ، وكان ينتسب نفسه إليها ، وقد كتب بالتغني بها قصائد كثيرة ، وكان متواضعاً يكره التكبر ، ولا يبخل في مساعدة الكبير والصغير ، يستقبل العلماء والسُّوقة ، وكل من يقصده بحاجة علمية ، وكان كظيم غيظ ، رحيب صدر ، لطيفاً شفيفاً ، إلا إذا مست كرامته ؛ وكان يكره الرياء ويترفع عن التزلف ، ويقدر أكابر الناس ، وقد كانت **للملك عبد العزيز آل سعود** ولأولاده من بعده محبة خالصة في قلبه ، عبّر عنها بقصائد كثيرة نظمها في مديح ورثاء ملوك الأسرة السعودية .

وكان ينظم الشعر على طريقة السلف ، **وقد تأثر في نهجه الشعري بالمتنبي والبحتري** وغيرهما من كبار الشعراء في الأمة ، وعلى الرغم من قوته في الشعر ، ومن إحاطته بدقائقه ، كان لا يتذمر من رأي يبدى له في بعض شعره ، إذا كان في هذا الرأي ما يعترف بصحته ، ولم يكن من الميالين إلى ما ينعت بالشعر الحديث ، غير أنه لم يهاجم أصحابه الرواد قط ، وكان يرى في تلميذه وابن عمه **الشاعر سليم الزركلي** (أمدَّ الله في عمره) خير امتداد لمدرسته الشعرية ، وكان أسعد الناس بوصول ابن عمه إلى قمة الشعر في الشام وهو معاصر له[4] .

والحقيقة فقد توفرت لديوان الزركلي ، موضوع تقديمنا ، جميع صفات الإخراج الراقي ، فعني صاحب **مؤسسة الرسالة** عناية فائقة بطباعته ، فأحضر له الورق المصقول ، وزينت جميع صفحاته برسومات فنية ، ولوحات خطية ، وقد توجت عناية الناشر بطبع الديوان ، بأن طلب إلى الأستاذ الشاعر سليم الزركلي أن يتولى تقديم الديوان والتعريف بصاحبه ، فقام الأستاذ رغم تأخر صحته (عافاه الله) بتقديم الديوان بكلمات تلهب المشاعر ، وتشعر المرء وكأنه أمام شريط مصور يعرض لحياة الشاعر من مختلف جوانبها ، وأنهى الأستاذ تقديمه بهذه الأبيات من قصيدته الرائعة « دمعة على شقيق الروح خير الدين الزركلي » .

أخير الأقارب والأبعدين ... وخير الصديق وخير الصحاب
وسعت الرجال بحلم الحكيم ... ونبل الحميم ، وفيح الرحاب
ولطف الأنيس ، وأنس الجليس ... بطول أناة ، وصبر عجاب
غذوت القلوب بحلو النشيد ... ورضت العقول بسحر الكتاب[5]

وختاماً لا أجد ما أضيف إلى ما كتبت سوى القول : رحمك الله يا خير الدين فقد كنت بحق علم القرن العشرين .

الهوامش

(١) كتبت فصلاً خاصاً عن « الزركلي » وكتابه « الأعلام » في كتابي « الكشكول الصغير » طبع مؤسسة الرسالة في بيروت فراجعه .

(٢) الأستاذ أدهم الجندي رحمه الله في كتابه « أعلام الأدب والفن » ٣٨٧/١ ، الصادر في دمشق عام ١٩٥٤ م .

(٣) من بين كتبه التي طبعها في مطبعته بالقاهرة « ديوان خير الدين الزركلي » عام ١٩٢٥ م ، غير أن ذلك الديوان لم يكن يضم بين دفتيه سوى شعره في البدايات ، وقد ضم ذلك إلى هذا الذي قدمناه .

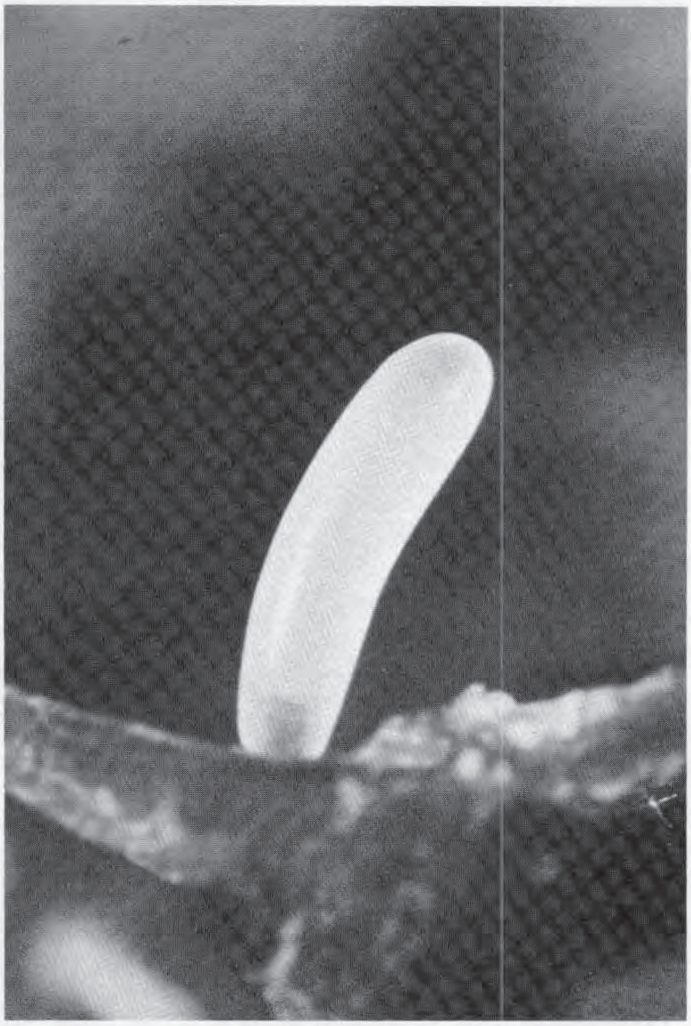
(٤) للتعرف على المستوى الرفيع الذي بلغه أستاذنا الشاعر سليم الزركلي ننصح من يرغب بقراءة ديوانه « دنيا على الشام » الصادر عن دار العلم للملايين ببيروت .

(٥) استفدت في بعض المعطيات أثناء تعريفي بصاحب الديوان ، من مقدمة الأستاذ سليم التي صدر بها الديوان ، ومن كتاب « علم الأعلام خير الدين الزركلي » الذي ضم جميع الكلمات والقصائد التي ألقيت في حفلة تأبين « صاحب الديوان » في النادي العربي بدمشق ، ومن حديث مسجل في شريط لديّ جرى بيني وبين أستاذي سليم الزركلي ، وكان موضوعه « حياة خير الدين الزركلي » .

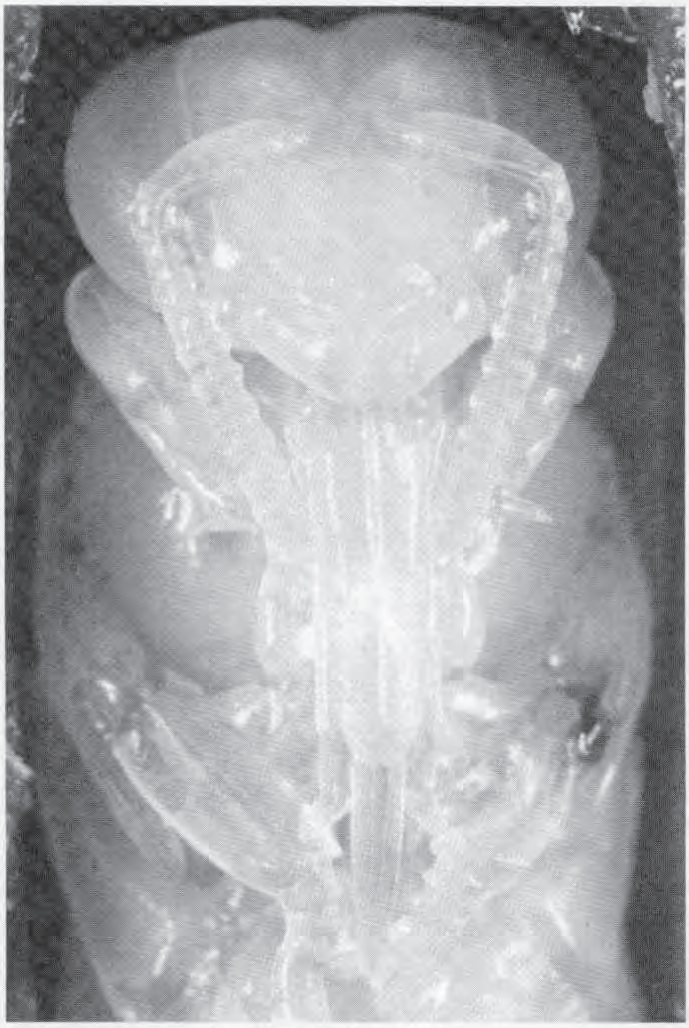


أســرار وخفــايا مملكة النحل

★ شغالة تجمع الرحيق من زهور الخلنج ★



★ بيضة ملقّحة ★



★ العذراء وتكون الأطراف الخارجية ★

كتبت : فتحية محمد عبد الهادي

تساهم أنواع معينة من النحل في تلقيح أزهار كثيرة من النباتات ، وبذلك يتعاون النحل مع الإنسان في زيادة إنتاج محاصيل زراعية هامة نافعة .

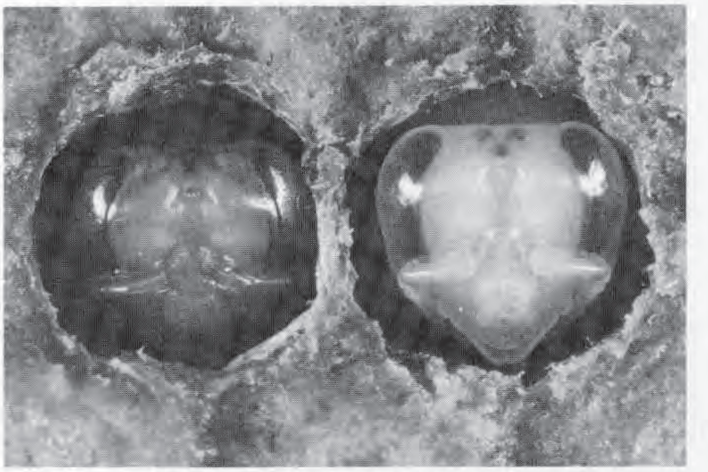
وللنحل مملكته الخاصة ، تدور في بلاطه الملكي أحداث وخبايا .. وتربطه الملكة بحاشيتها وجنودها علاقات وطيدة .. وبوجه عام ، يعد النحل من « الحشرات الاجتماعية » ، ونحل العسل هو أكثر الحشرات جميعاً ، فائدة للإنسان .. وهناك نحو خمسة آلاف نوع من النحل في أميريكا الشمالية ، وقد استجلب إليها نحل العسل من أوروبا ، وهو أهم الأنواع جميعاً ..

وللنحل طبائع ، كما للإنسان . بعضه محب للعزلة والانطواء ، وبعضه الآخر ، وهو الأغلب ، اجتماعي يسعى للاختلاط ، ولا يطيق الوحدة .. **يكره الكسل ويحب العمل** . يولع بزيارة الجيران . يحمل الهدايا ويتقبل الزاد ، تعبيراً عن الشكر والامتنان .

وللنحل ثلاث طوائف ، هي : الملكة ــ والذكور ــ وطائفة الإناث العقيمة وتسمى (الشغالة) ، وقد يصل عددها نحو عدة آلاف . وتكبر الملكة كثيراً في حجمها عن الأفراد الأخرى ، ولها « **زبان** » لا تستعمله أبداً إلا في مهاجمة من ينافسها من الملكات الأخرى ، وهي لا تعمل إلا في وضع البيض ، وتقوم الشغالة على خدمتها وتقديم الغذاء لها ..

ويقول **الدكتور محمد عباس عبد اللطيف** (أستاذ الحشرات ــ بجامعة الإسكندرية) ، في كتابه (نحل العسل) ، إنه من المعروف أن هناك تقسيماً للعمل بين أفراد الطائفة على حسب الجنس ، **فالملكة وظيفتها وضع البيض ، والشغالة** تقوم بجميع الوظائف الأخرى ، **والذكور** وظيفتها تلقيح الملكات .. بل ، **تقوم الشغالة بدور كبير في مستعمرة النحل ، وهي ذات خمس عيون ، على كل جانب من رأسها عين مركبة فيها أكثر من ستة آلاف عدسة** ، وبين هاتين العينين ، توجد ثلاث عيون أخرى في مثلث صغير .. أما أرجلها ، فهي أكثر غرابة في تكوينها .. وتنتهي كل قدم من أقدامها الست بخف لزج ، ومخلب تتعلق به على الأماكن الخشنة ، كما توجد على أرجلها الخلفية سلال صغيرة تتكون من شعر غليظ ، تجمع فيها حبوب اللقاح من الأزهار ..

وتشبه خلية النحل مدينة عامرة ، تقطنها عدة آلاف من أفراد



★ عذراوتان في خليتين ★



★ يرقات قبل الفقس بخمسة أيام ★



★ الملكة .. لا ترقد على ما تضع من بيض ★

النحل . وعندما تبلغ الشغالة مرحلة النضوج ، تبدأ عملها في تنسيق الخلية ، ثم تُبعث إلى الخارج لتجمع مادة بنيّة اللون تسمى (**صمغ النحل**) ، تقشرها من براعم الأشجار ، وتعود بها في سلال حبوب اللقاح إلى الخلية ، وتغطي بها المواضع الخشنة والشقوق داخل الخلية .

وبعد مضي أيام ، تكون قد تعلمت استخدام أجنحتها ، فتنطلق في رحلات طويلة لجمع رحيق الأزهار . وهذا الرحيق ، وهو سائل حلو المذاق ، تفرزه أزهار كثيرة لتجذب به الحشرات ، وتبتلع الرحيق في كيس صغير داخل جسمها ، يسمى (**كيس العسل**) ، وكذلك تجمع من بعض الأزهار ذلك المسحوق الأصفر ، وهو ما يسمى **بحبوب اللقاح** ، وتملأ منه سلالها التي تحمل نحو مائة ألف حبة . .

ولا تغامر الشغالة ، عادة ، بالابتعاد أكثر من نصف ميل ، ولو أنها قد تستطيع أن تقطع نحو أربعة أو خمسة أميال في رحلتها ، **ويمكنها الطيران بسرعة من خمسة إلى ثمانية أميال في الساعة** ، وقد تحصل بعد ثمانين ألف رحلة على رحيق يكفي لإنتاج رطل واحد من العسل .

ويقول **الباحث الأمريكي « فرديناند ك . لين »** ، في كتابه « كل شيء عن عالم النحل » الذي ترجمه إلى العربية **الدكتور أحمد عماد الدين أبو النصر** ، يقول : « . . . وإذا ما ضمّت رحلات شغالة النحل معاً ، لكانت كافية لدوران النحلة مرتين حول العالم ! فيا لها من مسافة طويلة تلك التي تقطعها في سبيل الحصول على رطل واحد من العسل » .

وتفرغ الشغالة ما جمعته في كيس العسل ، داخل حجرات الخلية ، وهي الحجرات المخصصة لأقراص العسل . تفرغه هناك حتى يأخذ في النضج خلال عدة أيام ، كما تخزن أيضاً في حجرات أخرى حبوب اللقاح التي إذا مزجت مع الرحيق وشيء من العسل ، لتكونت مادة بنية صفراء تسمى « **خبز النحل** » . . . **وتضع الملكة بيضة واحدة في كل حجرة من « حجرات التربية »** ، ومعظم البيض من النوع الملقّح ، **وتفقس عنه آلاف من الشغالة** ، وتضع ملكات ، لكنها تبيض في حجرات أخرى بيضاً غير ملقّح ينتج منه الذكور (وذكور نحل العسل كسولة ، كل همها هو تناول الطعام ، وتسمى « **التنابلة** ») ، ولكن بعد نحو ثلاثة أيام ، يفقس البيض ، وتخرج منه **يرقات** صغيرة تتغذى في البداية على الطعام الملكي ، وهو سائل لبني يفرزه عدد في رؤوس الشغالة ، حتى تكاد تملأ فراغ حجرة حضانتها ، وعندئذ تتوقف تغذيتها ، ويوضع غطاء مسامي من الشمع ويقفل عليها . وفي هذه

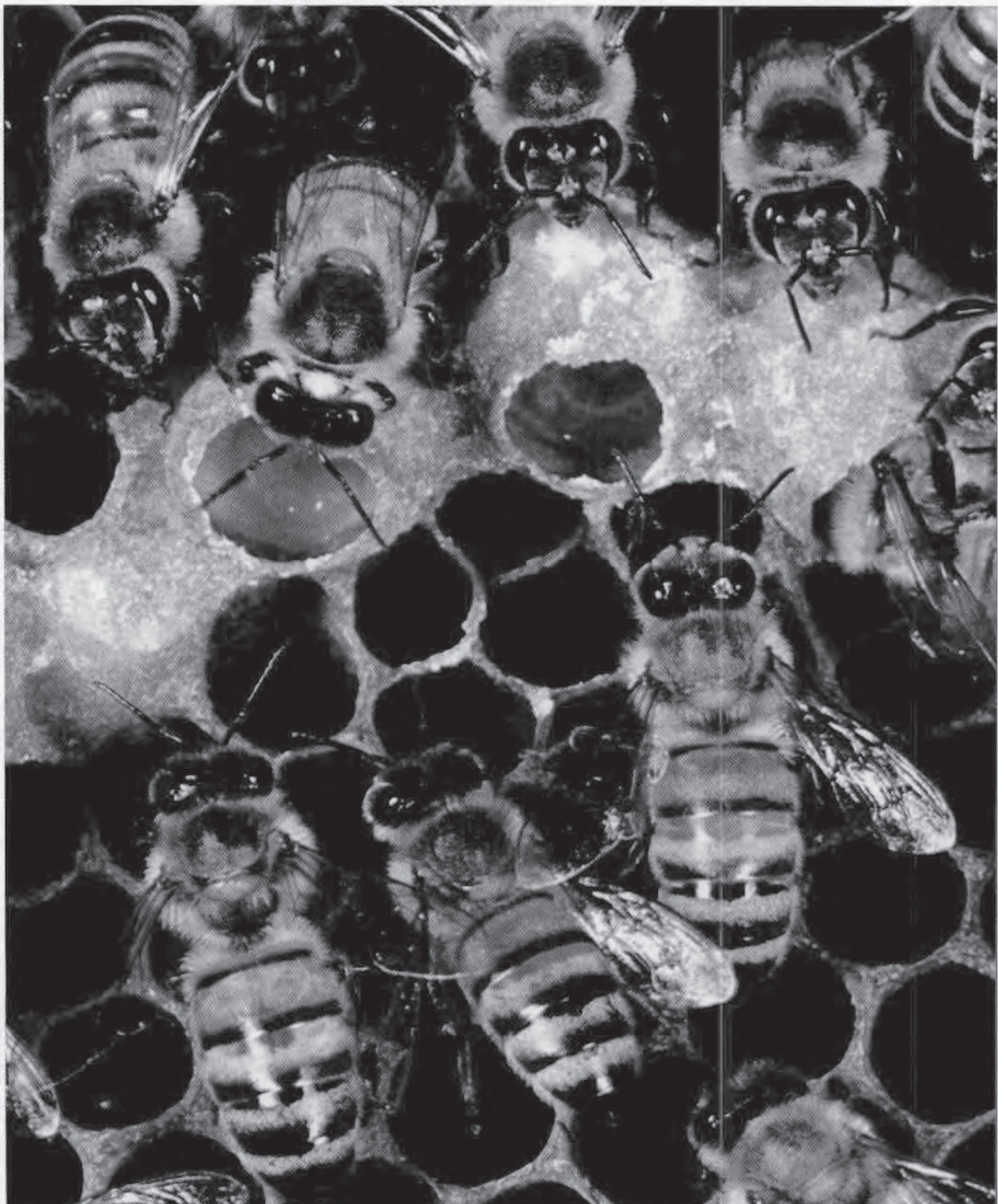
المرحلة ، تدخل في طور **العذراء** ، أحد أطوار حياة الحشرة العجيب . . وبعد مضي أيام أخرى ، تقرض طريقاً لها إلى الخارج ، وتصبح شغالة كاملة النمو . . ويكون قد مرّ عليها نحو ثلاثة أسابيع منذ وضعت البيضة . والبيضة التي تنتج الملكة هي من نفس نوع البيض الذي يخرج الشغالة ، لكنها توضع في حجرة أكبر ، وتُغذى الدودة الصغيرة التي تفقس منها على الطعام الملكي طول الوقت حتى تتحول بعد ستة عشر يوماً إلى ملكة كاملة الهيئة . وهي حقاً جديرة بلقب الملكة ، واجبها الوحيد هو وضع البيض ، وتستطيع أن تضع نحو ثلاثة آلاف بيضة كل يوم أو مائة ألف خلال فصل واحد .

وتقوم الشغالة بتنظيف الخلية والسعي لجمع الرحيق وحبوب اللقاح ووضع أقراص العسل ، كما تقوم بأعمال أخرى عجيبة ، **فهي لديها** **طريقة خاصة لتكييف الهواء** (التهوية Fanning) داخل الخلية ، فعند مدخل الخلية تتجمع الشغالة وتضرب بأجنحتها التي تتحرك بسرعة كبيرة تبلغ ٤٠٠ مرة في الثانية ، حتى أنه لا يمكن رؤيتها ، وتحدث هذه الحركة تيارات من الهواء تكيِّف الخلية . وكذلك تتجمع عند الحجرات التي أفرغت فيها الشغالة الأخرى ما في أكياسها من عسل ، أفراد من الشغالة لتبخر ما فيها من الماء وتسوي العسل . وفي حجرة التربية ، حيث يرقد صغار النحل ، تحفظ الشغالة درجة حرارتها ثابتة .

وتهاجر الملكة مع الشغالة إلى بيت جديد ، فتحط على فرع شجرة وتتعلق به ، وتتماسك الأسرة الضخمة ، حينئذ ، يستطيع النحّال أن يأسر هذا التجمع وينقله إلى خلية جديدة . .

وعندما تزور النحلة زهوراً أخرى تسقط هذه الحبوب على براعمها

★ الشغالات يبنين الخلية ★





المتفتحة . وهناك نباتات كثيرة تلزمها حبوب اللقاح من زهور أخرى ، كي يتم تلقيحها ، وتنتج البذور ، ويسمى هذا «**بالتلقيح الخلطي**» (Cross – Pollination) ، وهو يشكّل فصلاً عجيباً في قصة الخلق الكبرى .

وتعتمد أشجارنا وثمارنا على الحشرات كي تحمل لها حبوب اللقاح من البراعم الأخرى ، كما هي الحال في نبات القطن والبرسيم الذي يزرعه الفلاح ، وكذلك الخضر التي نزرعها في حدائقنا .

ومن المؤكد ، أن هناك حشرات أخرى تساعد في هذا العمل الطيب حتى بعض أنواع الذباب . لكننا نجد أن النحل وحده يقوم بأكثر من نصف عمليات التلقيح الخلطي التي ينتج عنها نحو بليوني دولار من المحاصيل في الولايات المتحدة كل عام ، وعلى ذلك يخبرنا العلماء ، أنه في مقابل كل كمية من العسل والشمع ينتجها لنا النحل وتقدر بخمسة دولارات ، نجد أن دوره في إنتاج بذور المحاصيل يقدر بمائة دولار على الأقل . كما نجد أن الفلاحين وأصحاب مزارع الفاكهة ، كثيراً ما يستأجرون خلايا النحل ، ليقوموا بتلقيح حقولهم وحدائقهم وبساتين الفاكهة ، وتربى نحو ستة ملايين خلية للنحل في هذه البلاد ، وفي أحيان كثيرة ، تنقل مائة خلية منها أو أكثر في سيارات خاصة أثناء الليل ، وترسل إلى مسافات بعيدة ، حيث تزداد الحاجة إليها .

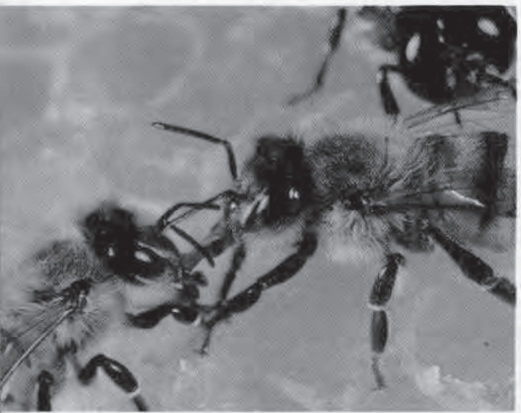
عملية التلقيح

ولا شك أن كثيراً من المحاصيل الزراعية ، في المناخيْن المعتدل والاستوائي ، يستفيد من التلقيح بواسطة الحشرات . . ويناقش **الدكتور**

★ الشغالات حول الملكة ★



★ لغة التفاهم والغزل ★



★ الشغالة .. تغطي الشعيرات أرجلها وظهرها وأسفل جناحيها ★



★ نحلة بالغة ترعى نحلة صغيرة .



«**فري**» الأخصائي في هذا المجال، النظام السائد في مستعمرات نحل العسل، ونشاطه في تلقيح المحاصيل الزراعية والأزهار في الحدائق والبساتين..

إن استخدام تلقيح هذا النوع من النحل ليس بجديد، فمنذ العصور القديمة، عرف الإنسان تلقيح أنثى النحل بأزهار ذكورها، بل عرف تلقيح «تويج» شجيرات التين العقيمة بحبوب اللقاح كي تثمر، مع أن عامل التلقيح الفعلي يكمن في ذلك «**الزنبور**» الصغير (النحلة)، ولكن لم يكن ذلك معروفاً حتى بدايات القرن العشرين، ثم ما لبثت أن عرفت أهمية النحل في تهجين أشجار الفاكهة، وبدأ العمل في استغلال مستعمرات نحل العسل لتلقيح هذه الأشجار.

وحبوب اللقاح Pollen، عبارة عن الغذاء البروتيني الذي تعتمد عليه طائفة من النحل، كما أنه يحوي بعض الدهون والعناصر المعدنية والفيتامينات اللازمة لنمو اليرقات والشغالة حديثة الفقس. وتزور الشغالة الأزهار، فمنها ما يجمع حبوب اللقاح، ومنها ما يجمع الرحيق. والرحيق عبارة عن مادة تفرزها **غدد الرحيق** Nectaries، الموجودة بالأزهار، وهو يتكون من ماء وسكر بنسب متفاوتة، ويوجد عادة في قاع تويج الزهرة. وتلعب روائح الأزهار وألوانها دوراً هاماً في جذب الشغالة. ووجد أنه يمكن للشغالة أن تجمع حبوب اللقاح والرحيق معاً، من زهرة واحدة يسمح تركيبها بذلك. وعندما يقل الرحيق بالأزهار تهجره الشغالة تدريجياً إلى منطقة أخرى غنية بالرحيق وحبوب اللقاح.

وتعتبر حبوب اللقاح في الزهرة من أعضاء التذكير، وتتكون في «متك» الزهرة الذي يتكون من عدة جيوب تحوي بداخلها حبوب اللقاح.

وعملية تلقيح الأزهار عملية معقدة، ويُعتبر (**داروين**) أول من أشار إلى أهمية التلقيح الخلطي في زيادة المحاصيل الزراعية، ففي هذه العملية، يتم نقل حبوب اللقاح من «**المتك**» إلى «**الميسم**». وقد يكون التلقيح ذاتياً، وذلك في حالة انتقال حبوب اللقاح من متك الزهرة إلى ميسم نفس الزهرة. أما التلقيح الخلطي فهو انتقال حبوب اللقاح من المتك إلى مياسم أزهار نبات آخر من نفس النوع. وهناك نوع من التلقيح يحدث بين أصناف مختلفة من النباتات لنفس النوع. ونحل العسل من أهم العوامل التي تساعد في عملية تلقيح أزهار كثير من المحاصيل الزراعية.. ومن المشاهد عادة أن نحل العسل قد يجمع رحيقاً أو حبوب اللقاح في الرحلة الواحدة، بينما **النحل «الانفرادي» و«الطنّان»** قد يجمعانها في الرحلة الواحدة.

ويرجع نقصان عدد هذه الحشرات النافعة في عمليات التلقيح إلى عوامل عديدة، منها الاتساع في استصلاح الأراضي الزراعية، واستعمال مبيدات الحشرات، مما يستوجب معالجة الآفات الزراعية بدقة وحكمة، مع مراعاة عدم الإضرار بهذه الحشرات النافعة، خاصة النحل الطنّان، إذ إن هذا النوع نشيط في عملية التلقيح بدرجة كافية، فهو يستطيع أن يمدّ ألسنته الطويلة في الأعماق الضيقة من تويج الأزهار فيحصل بنجاح على الرحيق. وهو يعتبر في شمال أوروبا، من أهم الحشرات المساعدة في عمليات تلقيح أزهار المحاصيل الزراعية. لكن نحل العسل هو أكثر الحشرات الملقِّحة أهمية بالنسبة لتلك العمليات، فهو يقوم بزيارات إيجابية غزيرة لأزهار أنواع كثيرة من المحاصيل. ذلك لأن عدد مستعمرات نحل العسل اللازمة لتلقيح المحصول الزراعي يتوقف على عوامل كثيرة، أهمها حجم الأزهار، وكثافتها في الحقول، ومقدار الرحيق، وحبوب التلقيح، وجاذبية الأزهار للنحل، وسلوك النحل وكفاءته في عملية التلقيح..

ويقول **الدكتور «روثماستيد» عالم النبات**، إن نحل العسل، ينتعش وينشط في مجال التلقيح الخلطي (التهجيني)، لأنه يستمد ارتفاع روحه المعنوية من وجوده بين مجموعة متنوعة من الفاكهة ــ إذ هو يشعر بغبطة غريبة، ويتبدد شعوره بالملل عندما يحمل حبوب اللقاح من أزهار شجرة التفاح إلى أزهار فاكهة أخرى مجاورة ــ كما أثبت «روثماستيد» **أن حشرة نحل العسل تتمتع بعاطفة اجتماعية فائقة، فهي ودودة، كثيرة الزيارات، خاصة لجاراتها من الأزهار والأشجار!**.

ونجد أن نحل العسل ينقل حبوب التلقيح من زهرة ذكرية مخصبة إلى زهرة ذكرية عقيمة، فيحدث التلقيح الخلطي، وغالباً ما يميل هذا النوع من النحل إلى زيارة الذكور المخصبة، بين محاصيل البصل والفول والجزر وعباد الشمس والقطن!.

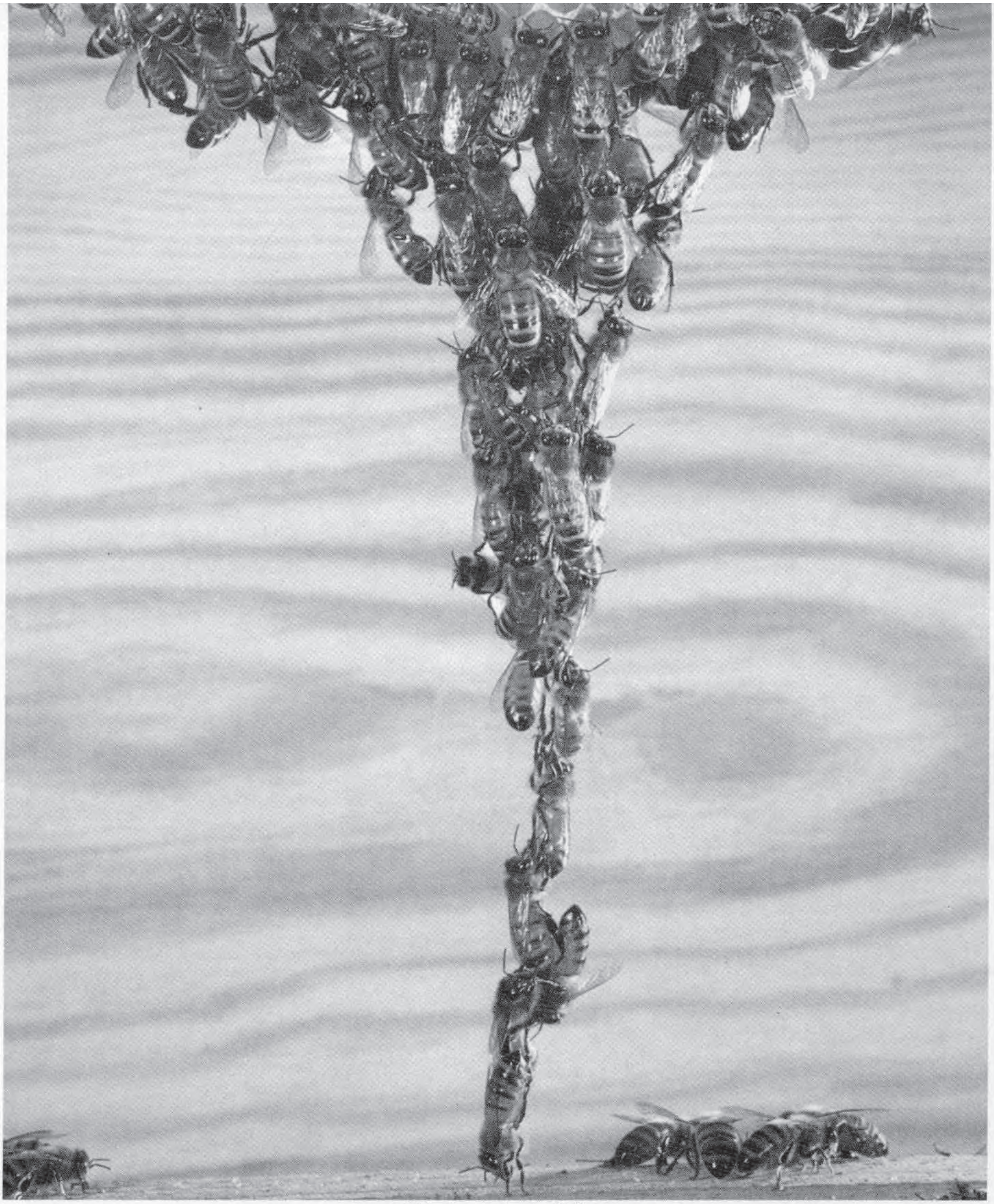
إن زراعة المحاصيل المتنوعة في حقل واحد، شاسع المساحة، تضمن إغراء نحل العسل على العمل التلقيحي، إذ إن تنوع الأزهار يجتذبه. ولكن، ذلك مشروط بدراسة أنواع المحاصيل التي تشكل بيئة نباتية يشعر فيها النحل بالانسجام والتوافق.. وهنا، تكمن الأسرار التي تكشف عنها الأبحاث العلمية المتلاحقة. وقد كشف عن جوانب منها بعض العلماء والخبراء منهم الدكتور «روثماستيد».

* * *

ولكن.. ما سر الجاذبية الكامنة في حبوب اللقاح ورحيق الأزهار؟! وما سبب جذبها للنحل؟!.

يقول «روثماستيد»: إن **مادة «الفرومونز»** Pheromones التي تفرزها ملكة النحل، تستحث كل أفراد وحاشية البلاط الملكي في مستعمرات النحل، على العمل والنشاط بدأب وجدية! بل، إن هذه المادة تدفع «جنود» النحل إلى المحاصيل الزراعية النافعة! ومن هنا جاء الاهتمام بمادة «الفرومونز» بعد إثبات فعاليتها في تنظيم النشاط الإداري المنتج في مستعمرات النحل وخلاياه، وفي تعزيز وتقوية عمليات التلقيح لزيادة إنتاج المحاصيل الزراعية!.

إن هذه الأبحاث والتجارب العلمية قد كشفت عن أسرار كثيرة من سلوك النحل ونظم إدارة مملكته. فالعلم الحديث يقتحم إذن، عالماً عجيباً، ظل غامضاً مبهماً، على مرّ العصور والأزمنة الماضية! لكنه مع



★ الشغالات .. تحمل الرحيق إلى الخلية ★

ذلك ، لم يرفع سوى طرف صغير قدر الأنملة من ذيل ستار عجيب ، لا طول له ولا عرض ، يكتنف عوالم من مخلوقات لا متناهية العدد والنوع ، تسعى في كون فسيح عميق بلا حدّ ، كون سرمدي .. أزلي أبدي ..

وهل يستطيع العلماء أن يضعوا أياديهم على كل مفاتيح الأسرار الكونية ؟! .

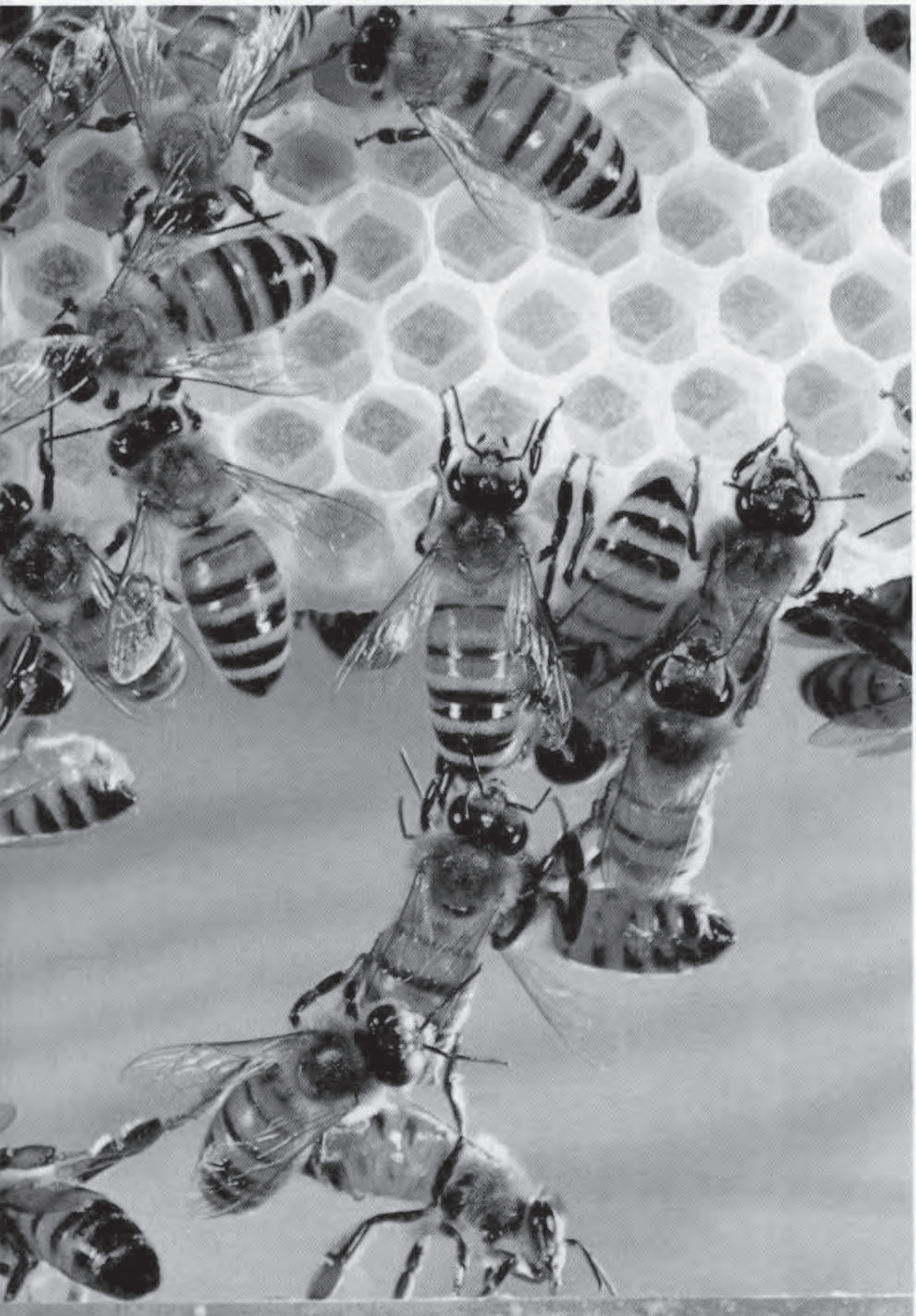
إن الله عز وجل قد علّم الإنسان ما لم يعلم .. لكنه سبحانه وتعالى هو الذي يعلم كلّ ما في السموات والأرض .. إن الله بكل شيء عليم ! .

الغِذاءُ الملكي

The Royal Jelly

إفرازه .. مواصفاته .. فوائده العلاجية والغذائية

★ الرحيق باللون الشفاف ، واللقاح باللون البرتقالي ... ورقصة جماعية ★



كتب : د. إبراهيم سليمان عيسى

كثر الإقبال هذه الأيام على الغذاء الملكي ، وقد يسمى لبن النحل نظراً لخواصه العلاجية والغذائية العالية ، وسوف أتناول في هذا المقال بعض المعلومات عن إفراز شغالات نحل العسل لهذه المادة ، وإنتاجها وفوائدها الغذائية ، وأثرها في شفاء الكثير من الأمراض ، وتحليلها لبيان مكوناتها من الفيتامينات والعناصر الغذائية المختلفة . ولقد وصف القرآن الكريم جميع ما يخرج من بطون النحل بأنه ﴿ شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ (سورة النحل ، الآية ٦٩) . والغذاء الملكي أحد المنتجات الهامة بجانب العسل والشمع وغير ذلك من منتجات المناحل المختلفة ، وفي كل يوم تظهر الفوائد الكبيرة ويتحقق شفاء الناس نتيجة استعمالهم للغذاء الملكي أو لبن النحل ، وقد يطلق عليه الفالوذج الملكي .

تعريف الغذاء الملكي

هو إفراز غدي تقوم بإفرازه شغالات النحل الصغيرة السن التي يتراوح عمرها ما بين ٥ إلى ١٥ يوماً ، وذلك بواسطة زوجين من الغدد يطلق عليها الغدد تحت البلعومية Hypopharyngeal Glands, توجد في مقدمة رأس تلك الشغالات ، مذاقه لاذع



★ عند تناول الطعام تفتح النحلة فكيها لتسهيل حركة اللسان ★

(حامض) طعمه يشبه الجبن وتتغذى عليه يرقة النحل الحديثة السن من الشغالات والملكات والذكور حتى اليوم الثالث من عمر تلك اليرقات ، ثم تستمر يرقات الملكات فقط في التغذية عليه ، وإنما سمي أحياناً «لبن النحل» تشبيهاً له باللبن المفرز من غدد الحيوانات الثديية لإرضاع صغارها ، وهو هلامي القوام لونه أبيض وقد يكون مائلاً للصفرة وله رائحة خاصة .





ويحتوي الغذاء الملكي على مجموعة من الفيتامينات وخاصة فيتامين (ب) ، ويعتبر من أغنى المصادر الطبيعية لحامض البانتوثنيك ، إلا أنه يفتقر إلى فيتامينات (د ، هـ) وغيرهما .

وقد دلت تجارب العلماء على أن الغذاء الملكي يحتوي على هرمونات جنسية منشطة ، وقد لوحظ بتغذية فئران التجارب بكميات منه تتراوح من (٦٠ ــ ٧٠٠ مجم) نمواً مبكراً في الجهاز التناسلي للأنثى يتناسب طردياً مع كمية الغذاء الملكي .

ولعل الملاحظة التي أثارت العلماء في هذه التجارب أن يرقات شغالات النحل تتغذى من اليوم الثالث لها بخليط من العسل وحبوب اللقاح ، بينما يرقات الملكات تستمر في تغذيتها بكميات وافرة من هذا الغذاء الملكي حتى اليوم الخامس ، حيث تتحول بعده إلى طور العذراء ، وما يتبع ذلك من اختلافات كثيرة فسيولوجية ووظائفية بين الملكة والشغالة .

وقد لاحظ **هيداك Haydak** أن يرقة الشغالة تتعرض لبعض الجوع بعد اليوم الثاني بالنسبة ليرقة الملكة التي تبدأ في هذا العمر بعض التحولات الداخلية بها ، فينشط نمو المبيض ويقف نمو الغدد تحت البلعومية ، ثم تحدث بعض التغيرات الأخرى في طور العذراء ، واستنتج أن التغذية الوافرة لليرقة التي سينتج عنها ملكة يتبعها نشاط هرموني كبير من المبايض يؤثر على الصفات الجنسية الثانوية الأخرى للملكة ، كما ينتج عنها الاختلاف الكبير بالحجم بين النحلة الشغالة والملكة ، كذلك الاختلاف في الحياة الجنسية للحشرة الكاملة ، ثم الاختلاف في العمر حيث يصل عمر الملكة إلى ٥ ــ ٦ سنوات في المتوسط ، بينما لا يزيد عمر النحلة الشغالة عن ٣ ــ ٤ شهور .

هذا علاوة على قيام الملكة في موسم النشاط بوضع ما يعادل وزنها من البيض يومياً مع استمرار النحل بتغذيتها بالغذاء الملكي ، وقد لوحظ أيضاً اختلاف التركيب الكيماوي لغذاء كل من اليرقات الملكية ويرقات الشغالة خاصة في نسبة المواد الدهنية وفي درجة الحموضة ، ولقد حاول بعض العلماء تركيب مادة تتشابه مع الغذاء الملكي ، وعند تجربتها لم يجدوا لها أي تأثير على اليرقات المختلفة مما يوضح أهمية الأثر الهرموني الجنسي للغذاء الملكي .

الغذاء الملكي .. والبكتيريا

بالرغم مما يظهر من التحليل الكيماوي للغذاء الملكي من أنه غذاء غني يمكن النمو عليه بسهولة إلا أنه لا يفسد داخل الخلية رغم أن درجة الحرارة تصل إلى ٣٥°م ونسبة الرطوبة عالية ، وهي ظروف تسمح بنمو الكائنات الدقيقة ، لذلك اختبر بعض العلماء مقدرة بعض أنواع من البكتيريا المرضية ومن بينها ميكروب التيفود ، فلاحظوا أن وجود الغذاء الملكي في البيئة التي تنمو فيها البكتيريا بنسبة حجم واحد لكل حجم من البيئة يتسبب في موت الميكروبات بعد دقيقة واحدة ، وعندما كانت نسبة الغذاء الملكي حجماً واحداً لكل عشرة أحجام من البيئة لم يتمكن أي ميكروب من الاستمرار عند النمو أكثر من ثلاثين دقيقة ، وبذلك ثبت أن للغذاء الملكي تأثيراً قاتلاً ومميتاً لبعض أنواع البكتيريا المرضية ، وبدأ دراسة أثر استعماله في قتل البكتيريا التي تصيب الإنسان .

وقد استطاع بعض العلماء فصل المادة الفعالة في الغذاء الملكي ، كما لاحظ علماء آخرون في **كولومبيا** أن معاملة الغذاء الملكي بالتسخين إلى درجة ١٠٠°م تقريباً تحت ضغط منخفض تسبب في زيادة قوة التأثير القاتل للبكتيريا بدرجة تعادل خمسين ضعفاً للتأثير الأصلي .

الغذاء الملكي .. والفيتامينات

سبقت الإشارة إلى متوسط تركيز الفيتامينات المختلفة بالغذاء الملكي ، وقد أثبتت تجارب بعض العلماء أن غذاء يرقة الشغالة من اليوم الثالث إلى اليوم الخامس من عمرها يحتوي كمية من حامض البنتوثينك أقل مما في الغذاء الملكي كثيراً ، إذ ينخفض تركيزه بمقدار ٨٦٪ وكذلك بالنسبة للثيامين إذ ينخفض بنسبة ٤٨٪ .

واعتبر أن حامض البنتوثينك Pantothenic acid له دخل في طول العمر ، ويعتبر الغذاء الملكي أغنى مصدر على الإطلاق من مصادر حامض البنتوثنيك فهو يحوي أكثر من ستة أضعاف الكمية الموجودة في الكبد ، وقد يفسر طول عمر الملكة بما تناله من كميات كبيرة من هذا الفيتامين ، كما يفسر انخفاض تركيزه في غذاء يرقة الشغالة (بعد اليوم الثاني من عمرها) قصر عمر الشغالة فلا يزيد عن بضعة أسابيع في حين يصل عمر الملكة إلى بضع سنوات ــ كما سبق ــ وهذه الملاحظة وجهت بعض العلماء إلى دراسة التأثير الإيجابي للغذاء الملكي على طول العمر بين أفراد الطائفة المختلفة .

الغذاء الملكي .. وفوائده

نظراً لخواص التحليل الكيماوي للغذاء الملكي واحتوائه على الكثير من المركبات والأحماض الأمينية والفيتامينات ، فقد قامت بعض الهيئات الطبية بدراسة أثر استعماله كعلاج لكثير من الأمراض التي تصيب الإنسان ، واشتد الاهتمام بدراسة الغذاء الملكي وعمل الأبحاث والدراسات التي توضح السر الكامن وراء هذه المادة الطبيعية التي تفرزها هذه الكائنات الصغيرة (اليرقات الشغالات الحديثة السن) .

وتتسابق الكثير من الهيئات في إجراء هذه الدراسات لما عرف بالدليل القاطع أن للغذاء الملكي خصائص ترتبط ارتباطاً قوياً بالحيوية وقتل الميكروبات المرضية بالإضافة إلى تأثيره الهرموني .

وتتعدد حالات استعمال الغذاء الملكي في شفاء الكثير من الأمراض وفي كل البلاد المتقدمة تقريباً ، وقد قامت

معامل الأدوية بتعبئة الغذاء الملكي في صور مختلفة تمنع تطرق الفساد إليه، أو فقد فاعليته وقيمته الحيوية، وأمكن إعداده على هيئة مستحضر للحقن تحت الجلد، أو معبأ في أمبولات يمكن تناولها كشراب عن طريق الفم. كذلك أمكن تحويله إلى مسحوق لعملية التجفيف **Lyophili Sation**، ثم يعبأ في كبسولات يسهل تناولها، كذلك استعمل الغذاء الملكي في مستحضرات التجميل (الكريمات) لتنشيط خلايا البشرة وإعادة الحيوية إليها وإزالة التجاعيد بها، وكانت النتائج مشجعة في العديد من الحالات، وهذه بعض الأمثلة لاستخدامه كمادة علاجية.

(أ) في أمراض الأطفال:

وجد العالمان Malossi and Gandi سنة ١٩٥٦م، في إيطاليا أن للغذاء الملكي أثراً علاجياً لأمراض الأطفال المختلفة وتم تجريب ذلك بطرق ومعدلات مختلفة وإعطاؤه للأطفال إما في صورة كبسولات أو في صورة حبوب جافة، وكانت ملاحظاتهم على الأطفال المعالجين كما يلي:

(١) إنه يساعد على تنشيط شهية الطفل في أغلب الحالات.

(٢) تأثيره مفيد للأطفال الذين يعانون من التقلصات في الأمعاء، وكذلك الذين يعانون من كثرة الإفرازات العرقية.

(٣) يؤثر في زيادة عدد كرات الدم الحمراء، كما يساعد على التوازن بين عدد كرات الدم المختلفة في حالة الأنيميا المزمنة.

(٤) يساعد على زيادة معدل استفادة الجسم بالبروتينات.

(٥) له تأثير خاص ديناميكي ومنشط للإنسان.

(ب) في أمراض الشيخوخة:

ثبت أن الغذاء الملكي يسبب تحسناً ملحوظاً في الحيوية لحالات من الشيخوخة، فقد عالج أحد العلماء ١٣٤ مريضاً سنهم يتراوح بين ٧٠ و٧٥ سنة وكلهم يعانون من النحافة والقوة المنهكة، وذلك بالحقن في العضل يوماً بعد آخر بمعدل ٢٠ مجم (غذاءً ملكياً) في الحقنة الواحدة. وكانت النتائج إيجابية ابتداءً من الحقنة السادسة حين بدأت العودة للشهية ثم تبعها الوزن الطبيعي للمريض.

كما لاحظ زيادة في ضغط الدم المنخفض مع عدم التأثير الضار في حالات الضغط المرتفع، ومن بين الأمثلة الواضحة ذكره للحالتين التاليتين وهما:

(١) سيدة (٨٤ سنة) نشطة ولكنها تعاني من بعض النقص العقلي والعصبي كما تعاني من انخفاض في ضغط الدم نتيجة لإصابتها بانفلونزا شديدة وطويلة، فقد تحسن الضغط كما تحسنت الحالة العصبية بعد ٦ حقن فقط وتركت سريرها وبدأ وزنها في الزيادة واستمر تأثير الحقن المفيد ثمانية أشهر بدون الحاجة لإعادة العلاج.

(٢) سيدة (٥٠ سنة) مرت بمرحلة سن اليأس منذ ٥ سنوات وتعاني من النرفزة والصداع المستمر وآلام في الحنجرة وقلة في النوم وآلام في الظهر ودوخة، مما بدأ معه الميل للانتحار، ولكن بعد العلاج تحسنت حالتها بعد الحقنة السادسة ونسيت أفكارها الانتحارية وانتظم النمو، وحالتها الجنسية أصبحت عادية بالنسبة لسنها.

(جـ) ـ في أمراض أخرى:

لاحظ بعض العلماء بإيطاليا أن هؤلاء المرضى يمكن معالجتهم بتناول ٥٠ مجم غذاءً ملكياً مخلوطاً بكمية من العسل يومياً خلال ٢٠ ـ ٣٠ يوماً وكانت النتيجة بعد إتمام العلاج **أن أصبح المرضى قادرين على العمل بدون اضطراب، ولوحظ تحسن في القدرة على التركيز العقلي، كما لوحظ زيادة في الشهية وبالتالي تحسن في الحالة المرضية.**

● أجرى بعض العلماء تجارب على عدد قليل من المرضى (لثلاث حالات فقط) أعطت كلها نتائج مدهشة، **إذ اختفت القرحة بعد علاج لمدة ٢٠ يوماً بالحقن مرة واحدة يومياً في الصباح**، وما زالت تجرى دراسات عن إمكان نجاح هذا العلاج.

● أشار بعض العلماء إلى فائدة الغذاء الملكي في علاج **أمراض الجلد** مثل حالات الإكزيما.

● لاحظ Ardry في فرنسا أن للغذاء الملكي تأثيراً منشطاً للغدة الكظرية (فوق الكلية)، وبالتالي **له تأثير عام مفيد على التمثيل الغذائي للجسم.**

● ومن ناحية أخرى وجد بعض العلماء بإيطاليا أن الغذاء الملكي يحتوي على $V.B_{12}$ بمعدل (٠,١٤٨٥ من المللیجرام لكل ١٠٠ جم وزن جاف) وهو الفيتامين الذي اكتشف وجوده في الكبد عام ١٩٤٨م، ويعتقد أن له أهمية كبرى في علاج الأنيميا وخاصة **الأنيميا الخبيثة**. ووجد أن التأثير المفيد الناتج عن الحقن بالغذاء الملكي لا يحدث حتى عندما يستبدل بالحقن بالفيتامينات المختلفة بمعدل يعادل ١٠٠٠ ضعف التركيز الموجود في الغذاء الملكي.

وأثبت بعض العلماء منهم ميلامبي أن للغذاء الملكي خاصية عالية في قتل الميكروبات تزيد حتى على حمض الفنيك، وهذا يفسر لنا لماذا يعيش الغذاء الملكي المجفف مدة طويلة دون أن يفسد.

● وفي عام ١٩٣٩م، وجد **هنري ل. ديبل** هرموناً ينشط الغدد الجنسية، **وقد أظهرت التجارب على أنه بمضي خمسة أيام على تلقي حقنة تحت الجلد من خلاصة الغذاء الملكي زاد وزن المبايض في إناث الفئران وزاد نشاطها**، كما ثبت أيضاً أن الأثر المنشط للغذاء الملكي يتناسب طردياً مع كميته، وكانت النتائج المشجعة في التجارب على الحشرات **(الذباب)**

والطيور والدجاج وحيوانات التجارب **(الفئران والفئران البيضاء)** بعثت الحماس لدى الأطباء على استغلاله في علاج أمراض أخرى خاصة .

● وفي عام ١٩٥٥ م ، أصدر **ر . ويلسون** تقريراً عن نتائج تجاربه في استعمال الغذاء الملكي على إعادة بناء الأعضاء الضعيفة ، وفي الأمراض العصبية ، وفي ضعف الجهاز الدوري وفي بعض أمراض غيرها ، وفي معهد **فلوريدا** للسرطان يدرس أثر الفالوذج الملكي (الغذاء الملكي) على نمو الزوائد الخبيثة .

استعمال الغذاء الملكي

يخلط الغذاء الملكي عادة بمعدل ١ جم لكل ١/٢ كجم من العسل ، والجرام يحصل عليه من ٥ ــ ١٠ بيوت ملكية ، حيث إن كمية العسل المستعملة في حفظ الجرام (غذاءً ملكياً) تعادل تقريباً ٢٠ ملعقة كبيرة ، وعلى ذلك فإن كل ملعقة من العسل تحتوي على ما يعادل ٥٠ ملليجراماً من الغذاء الملكي ، وهي الكمية التي ينصح الأطباء باستعمالها في كل دفعة يومياً . وتؤخذ ملعقة العسل المخلوط بالغذاء الملكي قبل الأكل إما مرة واحدة في الصباح والأخرى في المساء كعلاج للحالات التي ينصح بها الطبيب ، **إلا أن الإسراف في استعماله قد يأتي بنتائج غير مرغوب فيها كأمراض زيادة نسبة الفيتامينات في الجسم التي تؤدي إلى التسمم .**

فمن المعلوم جيداً أن الجرعة الصغيرة جداً من فيتامين (د) قد تؤدي إلى **التسمم** ، وكذلك ينطبق هذا على الهرمونات ، ولهذا كان من الضروري أن يكون العلاج بالغذاء الملكي تحت إشراف أطباء مهرة لهم خبرة دقيقة بجسم المريض .

ومع ذلك فما زالت دراسة الخواص العلاجية والوقائية للغذاء الملكي في المراحل الأولى ، وأن التجارب المقبلة والملاحظات الإكلينيكية ستعين على إظهار أسرار هذا الدواء القوي ، كما تعين الأطباء على الاستفادة منه لصالح صحة البشر .

الحصول على الغذاء الملكي

كما أشرنا سابقاً ، زاد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالغذاء الملكي في كثير من البلاد وخاصة في **فرنسا وإيطاليا وأمريكا وروسيا** ، وأجريت عدة دراسات وأبحاث عن مدى أهميته بالنسبة للإنسان ، كما درس تركيبه والعوامل التي يعزى إليها التأثير المفيد ، خصوصاً في بعض الحالات المرضية .

واهتمت مؤتمرات النحل الدولية بمناقشة الكثير من الأبحاث التي قدمت إليها ، ففي مؤتمر النحل السابع عشر الذي عقد في **روما** عام ١٩٦٠ م ، تضمن جدول أعماله على اثني عشر بحثاً عن الغذاء الملكي وإنتاجه وفوائده الصحية على الأطفال والكبار ، كما تضمنت المراجع العلمية العديدة من الأبحاث عن أهميته على الصحة العامة .

واهتمت وحدات البحوث ببعض الجامعات العربية في إجراء أبحاث عن الغذاء الملكي ، وطرق إنتاجه وحفظه وتأثيره على الإنسان في مختلف أطوار حياته .



وظهر وعي جديد لدى كثير من الناس عن فوائد الغذاء الملكي ، وبدأ كثير من الأطباء يصفونه لبعض المرضى ، وخاصة عند علاج نقص الحيوية عن طريق استعمال الأدوية الأجنبية المستوردة من فرنسا وأمريكا والتي تعتبر الغذاء الملكي المادة الفعالة فيها أو يدخل الغذاء الملكي جزءً رئيسياً منها .

ونظراً لنقص هذه الأدوية في السوق نصح الأطباء باستعمال الغذاء الملكي المحضر من طوائف النحل ، على أن يكون محفوظاً بطريقة



★ شغالة تحمل حبوب اللقاح على أرجلها الخلفية ★



★ الهجوم على نحلة غريبة عن الخلية ★

لا تفسد خواصه ، ومن هنا بدأ مربو النحل في تلقي طلبات شراء الغذاء الملكي . **وفي اعتقادي أنه لن يمر وقت طويل إلا وقد تخصصت بعض المناحل في إنتاجه كما هو الحال في الوقت الحاضر من تخصص بعضها في إنتاج الملكات والبعض الآخر في إنتاج طرود النحل أو إنتاج العسل .**

ويجب النظر إلى حقيقة هامة وأساسية وهي أن الغذاء الملكي **لا يعتبر حتى الآن دواءً محدد الصفات والتركيب ، بل هو مادة غذائية ذات فوائد صحية .**

أنسب الأوقات لإنتاج الغذاء الملكي

من الطبيعي أنه لا يمكن إنتاج الغذاء الملكي على مدار السنة ، وأنسب تلك الأوقات هي الفترة التي تربى فيها الملكات ، وذلك خلال شهور مارس ــ يوليو (آذار ــ تموز) ، وأكثر الشهور ملاءمة لهذه العملية هي شهرا مارس وأبريل (آذار ونيسان) .

أما في مواسم الصيف فقد ينشط النحل في ملء الإطارات والأقراص بالرحيق ، لدرجة لا تجد الملكة مكاناً للبيض حتى في الغرفة السفلية ، وإن لم يتنبه المربي فقد يتجه النحل للتطريد نتيجة للازدحام الواجب توافره في الطوائف القوية التي يتم فيها عملية تربية الملكات لجمع الغذاء الملكي .

وأخيراً .. فإن الأمل معقود على اهتمام الهيئات الطبية والصيدلية في البلاد العربية وجامعاتها ومراكز البحث فيها بالغذاء الملكي ، وإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث الهادفة إلى إماطة اللثام ، وكشف أسرار وخواص هذه المادة وفوائدها الحية ، علاجية كانت أو غذائية ، كما نأمل أن تشمل الدراسة الطرق المثلى لجمع الغذاء الملكي وحفظه وتداوله أسوة بكثير من بلدان العالم ودوله الأوروبية وغيرها ، خاصة بعد أن أشار القرآن الكريم إلى تلك الفوائد المتعددة في سورة مسماة باسم هذه الحشرة التي كرمها الله سبحانه وتعالى وهي سورة « **النحل** » .

ولا يسعني إلا أن أشير في نهاية هذا المقال إلى قدرة الله سبحانه وتعالى في تسخيره هذه الحشرة الصغيرة لكي تقدم للناس الغذاء والدواء .. ليس الغذاء الملكي وحده ، ولكن العسل والشمع ، وحتى سم النحل أصبح الآن سماً وترياقاً . ويقول الله تعالى ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ (سورة النحل ، الآيتان ٦٨ ، ٦٩) .

★ تحويل الرحيق إلى عسل ★



المراجع

(١) العلاج بعسل النحل (مترجم) ، دار المعارف ، القاهرة .

(٢) نحل العسل ومنتجاته : الدكتور محمد علي البنبي ، دار المعارف ، القاهرة .

(٣) تربية النحل : الدكتور صلاح الدين رشاد .

(٤) تربية النحل وإدارة المناحل : الدكتور أحمد لطفي عبد السلام ، دار المعارف ، القاهرة .

(٥) مملكة النحل : الدكتور محمد حسن حسانين ، والدكتور فاروق خليل ، الأنجلو المصرية ، القاهرة .

(٦) الكثير من المذكرات والمقالات والأبحاث لكاتب المقال وغيره .

(٧) Snod grass F.D. Anatomy and phisiology of the honey bee.

(٨) Butler, C.G. The honey bee.

(٩) Butler, C.G. The world of the bee.

(١٠) Eckert, J.E. Beekeeping mecmillan co., New York, 1960.

(١١) FREE, J.B. Insect Pollination of Crops. Academic Press, London, 1970.

(١٢) FREE, J.B. and WILLIAMS, I.H. The pollination of Crops by bees. Apidomia and international Bee Research Association. Bucharest, 1977.

(١٣) Mc GREGOR, S.E. Insect pollination of cultivated crop plants. United States

(١٤) Department of Agriculture, Washington, DC. 1976.

الدور البيولوجي لمركبات اليحمور واليخضور

بقلم: د. إبراهيم بن محمد بن أمين

تزدان أوراق النبات بحلة خضراء ترتاح للنظر إليها العيون ، ويكتنز جسمنا من الداخل بالدم لترتوي به الأنسجة . الصبغ الأخضر في النبات هو اليخضور (الكلوروفيل Chlorophyll) أما الصبغ الأحمر فهو اليحمور (الهيم ـ بكسر الهاء Heme) . والمثير حقاً أن اليحمور واليخضور يتبعان قسماً واحداً من المجاميع الكيميائية في التصنيف الكيميائي لهما ، من حيث التركيب الجزيئي ، فهما يندرجان تحت قسم المركبات البورفورينية Porphyrins أو المجاميع رباعية البيرول Tetrapyrrole .

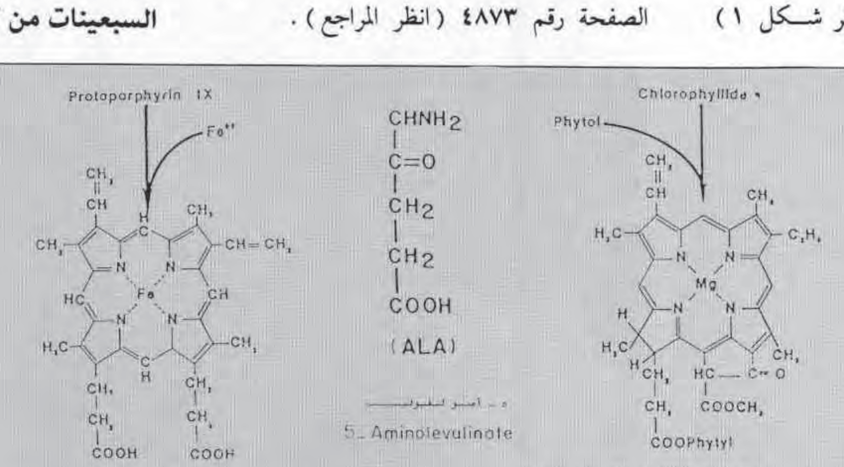
تجتذب دراسة هذه المركبات العديد من العلماء ذوي العلاقة بمجالات الكيمياء الحيوية والعضوية والعلوم البيولوجية والطبية ، بالإضافة إلى المختصين بعلوم النفط والجيولوجيا ، لأن البترول الخام يحتوي على هذه المركبات الحيوية بعد تحلل الخلايا الحيوية عبر العصور الجيولوجية المختلفة . ولسوف يقتصر الاستعراض التالي على أهم أقسام هذه المركبات الرباعية البيرول في الكائنات الحية مع التنويه بمميزاتها الفسيولوجية .

تكوين رباعيات البيرول

تتخلّق المركبات الأروماتية رباعية البيرول من الحامض الأليافاتي (٥ ـ أمينو ليفيولينيت 5 – Amino Levulinate) (انظر شكل ١) حيث تحتاج الخلايا الحيوية إلى ثمانية جزيئات من هذا الحامض لتكوين جزيء واحد من اليخضور أو اليحمور ، وذلك عبر سلسلة طويلة من التفاعلات الإنزيمية . ويتألف هذا الحامض أساساً من اتحاد الحامض الأميني القلايسين Glycine مع السكسنيل المرافق الإنزيمي أ Succinyl - CoA . ولقد كان العالم الأمريكي **شيمين** Shemin من أوائل العلماء الذين اكتشفوا وجود هذا التفاعل الإنزيمي في الحيوانات ، فلقد أجرى أبحاثه على كريات الدم الحمراء Erythrocytes وقام بنشر اكتشافه الجديد ـ في ذلك الوقت ـ **بمجلة جمعية الكيمياء الأمريكية** في عددها الخامس والسبعين الصادر في عام ١٩٥٣م ، على الصفحة رقم ٤٨٧٣ (انظر المراجع) .

سر الخطوة الأولى

لم يتمكن علماء هذا الحقل العلمي ـ حتى الوقت الراهن ـ من تقديم البراهين اللازمة لاعتماد شيوع التفاعل الإنزيمي السابق في أنسجة النبات على الرغم من أنه أصبح مألوفاً لديهم اختبار هذا الإنزيم في جميع الكائنات الحية الأخرى . لذلك قرر بعضهم احتمالية وجود تفاعل إنزيمي آخر تختص به عضيات البلاستيدات الخضراء Chloroplasts التي تزدحم بأفواج من الصبغات النباتية ، منها اليخضور . وكان الداعي لهذا الاقتراح هو افتقار جميع الكائنات الأخرى ـ ما عدا المملكة النباتية ـ للعضيات البلاستيدية . وبالفعل **تمكنت فئة من العلماء في أواخر السبعينات من تقديم دلائل غير مباشرة**



شكل (١) الحامض الأميني ٥ ـ أمينوليفيولينيت (أ ل أ) مع النواتج النهائية على هيئة البورفورينات الماغنسيومية (الكلوروفيل) والحديدية (الهيم) . مأخوذة عن المرجع رقم ١ .

على إمكانية احتواء الخلايا النباتية على مسارين منفصلين لتخليق الحامض ٥ - أمينو ليفيولينيت ، أحدهما بداخل عضيات البلاستيدات الخضراء **والآخر** بعضيات الميتوكوندريا Mitochondria . والعضيات الأخيرة مسؤولة ـ في جميع الخلايا النباتية والحيوانية ـ عن استخراج الطاقة الإحيائية من هدم المواد الغذائية المعقدة . ولقد ساعد على ظهور هذه النتائج الحديثة استخدامات النظائر المشعة **Isotopes** والمركبات الكيميائية الموسومة بالذرات المشعة التي ساهمت أيضاً في تقصي أسرار الكثير من المسارات الأيضية Metabolic pathways والتفاعلات الكيموحيوية . ولكن لا يزال سر الخطوة الأولى هذه ماثلاً أمام العلماء لإماطة اللثام عنها . . ويحاول منسوبو عدة مراكز علمية في الجامعات العالمية إزالة غموض ماهية الإنزيم النباتي المسؤول عن تخليق الحامض ٥ - أمينو ليفيولينيت لمعرفة الحقيقة الدامغة حول هذا الموضوع .

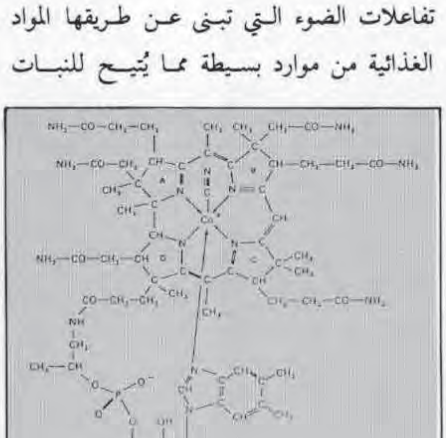
تصنيف رباعيات البيرول

١ - البورفورينات الحديدية Iron porphyrins : كما في الهيم (انظر شكل ١ ـ البروتوهيم) وهو الصبغ المحتوي بمركزه على عنصر الحديد في الصورة المختزلة (Fe^{2+}) . ولا توجد المركبات الهيمية في الصورة السائبة وإنما تتحد ببروتينات ذات تراكيب محددة لتكوين جزيئات معقدة الشكل الكيميائي وهي كالتالي :

أ - الدم Blood : أحد مكوّناته الأساسية مادة **الهيموقلوبين** Hemoglobin التي تتألف من أربع وحدات بروتينية بكل وحدة منها جزيء من الهيم الذي يسبغ على الدم صفة الحمرة ، كما تقوم المجموعة الهيمية في الدم بعملية التبادل العكسي بغازي الأكسجين وثاني أكسيد الكربون . يعتمد التنفس في الإنسان والحيوانات ـ الثديية والفقارية ـ على إمداد الخلايا المختلفة بالكميات المناسبة من الأكسجين المحمول على الهيموقلوبين ، كما يقوم نفس الهيم بعد تفريغ حمولته من الأكسجين باقتناص ثاني أكسيد الكربون لتخليص الجسم منه . كما تزخر خلايا العضلات بنوع آخر من اليحمور يُدعى **المايوقلوبين** Myoglobin الذي يتكون من وحدة هيمية متحدة بوحدة بروتينية واحدة ، ولذلك فهو أصغر حجماً ووزناً من الهيموقلوبين مما يجعله عاملاً مساعداً لتخزين الأكسجين في العضلات .

ب - السيتوكرومات Cytochromes : يلتصق الهيم أيضاً ببروتينات أخرى ذات أهميات تنظيمية وتركيبية لها أدوار فسيولوجية في عملية نقل الإلكترونات وإنتاج الطاقة الإحيائية على هيئة مركبات الأدينوسين ثلاثي الفوسفات Adenosine triphosphates ـ الذي يُعتبر عملة دولية في الخلايا الحيوية لبيع وشراء العديد من الخطوات والتفاعلات الحيوية ـ عن طريق الفسفرة التأكسدية . وما التسمم بمركبات **السيانيد** اللعينة إلا مثالا واحداً من المركبات السامة التي تفتك بنشاط هذه السيتوكرومات ، وتبعاً لذلك تثبيط عملية التنفس والموت الحتمي للكائن الحي .

تحتوي الخلايا النباتية على مثل هذه **السيتوكرومات** اللازمة لإتمام عمليات التنفس بداخل عضيات الميتوكوندريا ، بالإضافة إلى احتوائها على سيتوكرومات أخرى تدخل في تركيب البلاستيدات الخضراء للاشتراك في تفاعلات الضوء التي تبنى عن طريقها المواد الغذائية من موارد بسيطة مما يُتيح للنبات الفرصة لتخزين الفائض من نواتج التمثيل الضوئي Photosynthesis في أعضاء التخزين على هيئة مواد عضوية معقدة كالسكريات والبروتين والدهون والڤيتامينات .



شكل (٢) الكوبال أمين أو ڤيتامين ب١٢ كأحد المركبات رباعية البيرول المعدنية (عن مرجع رقم ٢) .

هنالك تراكيب إنزيمية تشتمل على مجاميع هيمية لها دور فسيولوجي عظيم في التخلص من بيروكسيد الهيدروجين (H_2O_2) وتحويله إلى ماء وأكسجين لينتفع بهما الكائن الحي مثل إنزيم السكاتاليز Catalase والبيروكسيديز Peroxidase .

من هذا كله يتبين لنا مدى أهمية مثل هذه المركبات البورفورينية الحديدية التي تتلخص في اشتراكها بعمليات التنفس واستخراج الطاقة الحيوية والتخلص من بعض المركبات الضارة وتحويلها إلى مواد نافعة .

٢ - البورفورينات الماغنسيومية Magnesium porphyrins : تتمثل هذه المركبات في الكلوروفيلات بأنواعها المتعددة التي منها كلوروفيل أ Chlorophyll a (انظر شكل ١) . لا تحتوي الخلايا الحيوانية والفطرية على اليخضور وإنما تمتاز به فقط الخلايا النباتية وخاصة تلك الموجودة في الأوراق . ويستطيع النبات الأخضر تحويل ثاني أكسيد الكربون إلى مركبات عضوية معقدة في وجود الفوتونات الضوئية والماء والعناصر المعدنية البسيطة . والكلوروفيل بترتيبه المنتظم داخل البلاستيدات الخضراء يحتكر عملية تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كيميائية حيوية جاعلاً النبات أول المصانع الغذائية التي سخرها الله عز وجل لسعادة البشرية عن طريق إمداده لكوكب الأرض بمختلف أنواع الثمر والخشب للغذاء والصناعة .

٣ - رباعيات البيرول الكوبالتية Cobalt tetrapyrroles : المركب الوحيد والمعروف تحت هذا الفرع هو **الكوبال أمين** Cobal amin أو **ڤيتامين ب١٢** (انظر شكل ٢) . ويتركب هذا الڤيتامين من الحلقة الكورونية Corrin ring المرتبطة بنيوكليوتيدة نيتروجينية تلعب دوراً هاماً في استحثاث تخليق وتجديد الدم في الإنسان والحيوان . **فنقص هذا الڤيتامين يؤدي إلى الإصابة بمرض**

فقر الدم الخبيث Pernicious anemia الذي يصيب فئة قليلة من الناس وهم الذين يعتمدون اعتماداً تاماً في غذائهم على النباتات فقط كالنباتيين Veg-etarians . وتعجز خلايا الإنسان والحيوان والنبات عن تخليق هذا الڤيتامين الحيوي على الرغم من أن أغنى المصادر الطبيعية به هي المصادر الحيوانية كالكبد والكلية من المواشي . تتولى الفطريات Fungi وخاصة التي تعيش بجوار الجذور النباتية في التربة عملية تخليق هذا الڤيتامين الحيوي ، وكما أن البكتيريا Bacteria لها القدرة على تخليق هذا الڤيتامين وخاصة تلك التي تقطن بداخل أمعاء الإنسان والحيوان أو تلك التي تستضيفها بعض النباتات البقلية كالفول في داخل عقدها الجذرية والمغموسة في التربة .

٤ ـ الفيتوكرومات النباتية Plant phytochromes : تكثر هذه الفيتوكرومات في المجاميع الخضرية للنباتات وهي التي تكون خارج التربة ، وهي ذات طبيعة بيرولية ـ بروتينية غير معدنية لها خاصية التأثر بنوعية الضوء وكميته ، فيمكن أن يتحوّل **الفيتوكروم** الخامل (P_R) إلى الحالة النشطة بامتصاص النبات للأشعة الحمراء عند الطول الموجي ٦٦٠ نانومتراً . ويرجع الفيتوكروم مرة أخرى إلى الحالة الخاملة بامتصاصه للأشعة التحت حمراء عند الطول الموجي ٧٣٠ نانومتراً (انظر شكل ٣) . ويسيطر الفيتوكروم النشط (P_{FR}) على العديد من الحركات التنظيمية في الخلايا النباتية كمراحل نمو البذرة إلى بادرة وإلى نبات كامل ، وكذلك يتحكم في عمليات الإزهار ـ تكوين الأعضاء الجنسية النباتية ـ ومراحل تكوين الثمار ونضجها عن طريق التأقت الضوئي . كما لا تستغني الهرمونات النباتية باستحثاثاتها الفسيولوجية من المؤشرات الفيتوكرومية التي تعتمد على نسبة الفيتوكروم النشط إلى صورته الأخرى الخاملة .

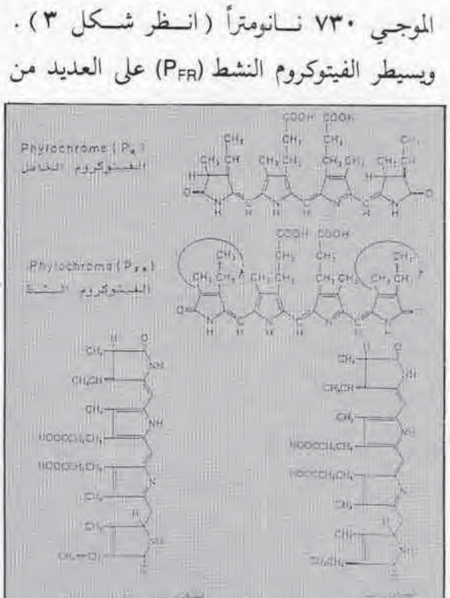
٥ ـ الصبغات الطحلبية Phycoc-hromes : يزدهر تكوين هذه المركبات رباعية البيرول وغير المعدنية في الطحالب Algae التابعة للمملكة النباتية . وتكثر هذه الكائنات الحية على جوانب القنوات المائية وفي البرك والآبار وغيرها من مصادر مائية . تسود في الطحالب الحمراء بجانب الكلوروفيل والسيتوكرومات صبغات **الفيكواريثرين** Phycoerythrin الحمراء ، بينما تتميز الطحالب الخضر المزرقة بتراكم صبغات **الفيكوسيانين** بداخلها .

والصبغات الأخيرة في الحالة النقية يميل لونها إلى اللون السماوي الأزرق ، وهي تساعد الطحالب على اصطياد الفوتونات الضوئية في أعماق المياه .

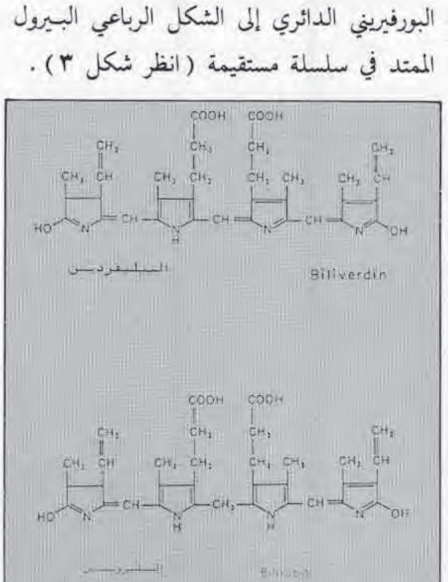
إذاً فهي تلعب دوراً هاماً في استكمال عملية التمثيل الضوئي . وتتكوَّن هذه الصبغات من عملية أكسدة الكلوروفيلات لتصبح خالية من الماغنسيوم المعدني وتتحوَّر من الشكل البورفيريني الدائري إلى الشكل الرباعي البيرول الممتد في سلسلة مستقيمة (انظر شكل ٣) .

٦ ـ البيليكرومات أو صبغات الحويصلة المرارية Bilichromes or Gall bladder pigments : تتكون البيليكرومات في الحيوانات نتيجة للأكسدة التي تعتري المركبات الهيمية . فمن المعروف أن متوسط عمر كريات الدم الحمراء في الدم حوالي ١٢٠ يوماً حيث يتم بعدها استدراج هذه الكريات المنهكة الحاوية للهيموقلوبين إلى الكبد والطحال . وفي هذين العضوين يتكسر الهيموقلوبين إلى مكوناته الأساسية فينفصل الهيم من بروتين القلوبين المفكك إلى أحماض أمينية . وأول نواتج أكسدة الهيم هو تكوين صبغات **البيليروبين** Bilirubin الحمراء (يدعى أيضاً ياقوتين الصفراء) الذي يتحوّر بعد ذلك إلى **البيليڤردين** Biliverdin (أخضرين الصفراء) . وتتجمع هذه المركبات رباعية البيرول (انظر شكل ٤) مع غيرها من أملاح كولسترولية Cholestrol salts بداخل المرارة حيث تساعد هذه المركبات بإفرازها في الأمعاء على هضم الدهون . ويتخلص الجسم من نواتج هدم الهيم عن طريق تحويرها في الأمعاء بواسطة البكتيريا المعوية إلى صبغات بنية اللون يصطبغ بها البراز .

من هذا الاستعراض العلمي السريع والموجز للمركبات الرباعية البيرول ندرك مدى أهميتها البيولوجية وشيوعها في الكائنات الحية ومشاركتها للكثير من العمليات الحيوية الضرورية للحياة .



شكل (٣) الفيتوكرومات النباتية والصبغات الطحلبية كمثال للمركبات رباعية البيرول الغير معدنية (عن مرجع رقم ٣) .



شكل (٤) صبغات الحويصلة المرارية بالحيوانات على هيئة البيليڤردين والبيليروبين ذات السلسلة رباعية البيرول (عن مرجع رقم ٢) .

المراجع

١ ـ رسالة الدكتوراه في فلسفة العلوم (قسم النبات ـ جامعة بريستول ببريطانيا ، عام ١٩٨٥ م) ، للدكتور إبراهيم محمد أمين بخاري بعنوان « تنظيم تخليق الحامض ٥ ـ أمينوليفيولينيت » .

٢ ـ بحث علمي بعنوان « الصبغات المتنقلة بين الحيوانات والنباتات » عام ١٩٧٩ م ، مجلة التطور البيولوجي ، عدد ٥٤ ، صفحة ٢٣٧ ، للدكتور دينيس فوكس .

٣ ـ كتاب الكيمياء الحيوية للعالم ألبرت لينينجر ، عام ١٩٧٥ م .

٤ ـ قاموس التغذية وتكنولوجيا الأغذية ، ترجمة د. فؤاد عبد العال وآخرون . عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، عام ١٩٨٤ م .

٥ ـ بحث علمي للدكتورين ألين ستوبارت وإبراهيم أمين بخاري ، عام ١٩٨٤ م ، بمجلة الكيمياء الحيوية ، عدد ٢٢٢ ، صفحة ٤١٩ .



تاريخ الأمطار الحمضية

بقلم: لطف الله قاري

عُرف تلوث [illegible] القرن [illegible] كانت [illegible] الأسود [illegible] الروائح الكريهة والرماد والغبار بسبب كثرة استعمال الفحم في المنازل وعند أرباب الحرف كالحدادين والنحاسين. وكان تلوث الهواء الناتج عن إحراق الفحم سبباً في الإضرار بصحة الإنسان والمنشآت والنباتات والجو. ولكن [illegible] استعمال الفحم، لأن الصناعة كانت تنمو باضطراد سريع. فإما أن تؤمّن لها الطاقة الضرورية من الفحم الحجري، وإما أن يؤدي استعمال الأخشاب إلى إتلاف الغابات المحيطة بكامل الجزيرة البريطانية.

وقد طرحت حلول عديدة منذ ذلك [illegible] حوّلا لأن زيادة استعمال الحطب أدى إلى أزمة في [illegible] جعلت الناس يستعملون الفحم [illegible] عام ١٦٦١م، أصدر جون إفلين كتاباً بعنوان «ظاهرة التدخين أو سوء وضع الهواء وتفشي الدخان في لندن، مع [illegible]»:

John Evelyn, Fumifugium or the Inconvenience of Aer and Smoak of London Dissipated, together with some Remedies Humbly Proposed

وقد اقترح إفلين في كتابه نقل الصناعات التي تعتمد على إحراق الفحم من المدينة إلى أماكن بعيدة عن السكان، وتكوين مساحات [illegible] تعرف بالأحزمة الخضراء [illegible]

وقد اتبع الإنجليز أسلوباً آخر للتخلص من إزعاج الفحم، وهو تركيب مداخن طويلة فوق البيوت والمعامل. وهذه الطريقة لا تزال تستعمل حتى اليوم في محطات الطاقة الكهربائية بالدول الصناعية.

كان التلوث الهوائي معروفاً إذن عند الدول الصناعية وفي المناطق المكتظة بالسكان، ولكن تراكم الملوثات في الهواء إلى حد يؤدي إلى تكون الأمطار الحمضية لم يكن معروفاً في ذلك الوقت. **فالأمطار الحمضية تنشأ عندما ينطلق غاز ثاني أكسيد الكبريت وغاز ثاني أكسيد النيتروجين إلى الجو عند احتراق الفحم، وبعد انطلاقهما في الجو يتحدان مع بخار الماء**

تاريخ الأمطار الحمضية

بفعل أشعة الشمس والحرارة ، ويتكون من ذلك الاتحاد حمض الكبريتيك وحمض النيتريك ، حيث ينتج حمض الكبريتيك من ثاني أكسيد الكبريت وحمض النيتريك من ثاني أكسيد النيتروجين . ويهبط كل من هذين الحمضين إلى الأرض ، إما مع ذرات الغبار والهباء العالقة في الجو أو مع مياه الأمطار ، فإذا هبط الحمض مع الدقائق العالقة سمي « **تساقطاً حمضياً جافاً** » ، وإذا هبط مع الأمطار سمي المطر **مطراً حمضياً** . ونظراً لأن تراكم ثاني أكسيد الكبريت وثاني أكسيد النيتروجين لم يكن بالكمية التي تؤدي إلى تكوّن المطر الحمضي أو التساقط الحمضي الجاف فإن الأمطار الحمضية لم تكن معروفة في الأزمان الماضية ، وقد ظلت الحال كذلك حتى القرن التاسع عشر الميلادي .

بداية التعرف على المطر الحمضي

وفي سنة **١٨٥٢** م ، انتبه كيميائي دقيق الملاحظة اسمه **روبرت أوگس سمث** Robert Augus Smith إلى علاقة تربط بين تزايد الهباء الأسود في سماء مدينة **مانشستر** الصناعية ببريطانيا ، والحموضة التي اكتشفها في المطر والبرد . وبعد ذلك العام بعشرين سنة (**١٨٧٢** م) ، أصدر سمث كتاباً من ستمائة صفحة استخدم فيه لأول مرة اصطلاح « الأمطار الحمضية » . وكان الكتاب يدور حول الأمطار الحمضية . وهو بعنوان : « **الهواء والمطر ـ بدايات لعلم المناخ الكيميائي** » .

Smith, R. A. « Air and Rain, the Beginnings of a Chemical Climatology »

ولم ينتبه الناس إلى أهمية الكتاب إلا بعد مرور قرن من تاريخ صدوره .

نستنتج من هذا أن المجتمع الصناعي بدأ يعرف ظاهرة الأمطار الحمضية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي . وفي سنة **١٨٩١** م ، أصدرت بلدية مدينة **كليفلاند** بولاية أوهايو الأميركية تقريراً تنسب فيه اضمحلال وذبول الأشجار بتلك المدينة إلى إحراق الفحم الحجري من قبل المصانع ومحطات توليد الطاقة . فقد لاحظ التقرير أن كميات كبيرة من أكاسيد الكبريت تنتج من احتراق الفحم الحجري ، « وهذا يؤدي إلى تكوّن حمض الكبريتيك عندما تتحد أكاسيد الكبريت ببخار الماء في الهواء » ، كما قال التقرير . وقد لاحظ التقرير أن المشكلة تتعدى نطاق المدينة لتشمل الإقليم المحيط بها ، حيث لوحظت نفس الآثار في مدينتي **بتسبرگ** (بتسبرغ Pittsburg) **وسانت لويس** القريبتين .

قدّم التقرير ثلاث توصيات لحل المشكلة : (١) بناء مداخن أطول لقذف الملوثات بعيداً في الجو . (٢) تركيب أجهزة لغسل الدخان المنبعث . (٣) استعمال مادة تمتص الملوثات مثل الرخام الذي يمتص أكاسيد الكبريت . ولم تقبل الصناعات بمدينة كليفلاند هذه التوصيات لسببين : **أولهما** غلاء تكلفة هذه الوسائل ، **وثانيهما** صعوبة التطبيق من الناحية الفنية . وبذلك لم يجد المسؤولون بكليفلاند سوى تقديم توصية رابعة وهي : زرع نباتات لا تتأثر بالملوثات . . . !!

وفي سنة **١٩١١** م ، أخذ باحثان من **جامعة ليدز** بإنجلترا ـ وهما **شارلز كروثر وأرثر رستن** Crowther & Ruston ـ يحللان عينات من المطر فوق مدينة ليدز الصناعية ، فوجدا أن درجة الحموضة تساوي **٣,٢** بمقياس الأس الهيدروجيني . أي أن المطر كان شديد الحموضة .

التجارب الأولى

فتراكم الملوثات بدرجة تؤدي إلى تكوّن المطر الحمضي عُرِف إذن في القرن التاسع عشر الميلادي ، ولكن استعمال المداخن الطوال كان يخفف من مشكلة التلوث في المناطق الصناعية محلياً ، حيث تقذف المدخنة العالية بالملوثات إلى ارتفاعات شاهقة ، فيحملها الهواء بعيداً عن المنطقة الصناعية . ولكن هذا لا يعني أن الملوثات تنعدم في الفضاء . فكل ما يفعله الهواء بها هو أن ينقلها من مكان إلى آخر بعيد بمئات الكيلومترات أو آلافها . وهذا ما حصل في أوروبا حيث تهب الرياح من الجنوب إلى



الشمال ، فتحمل الملوثات من مصانع أوروبا كلها إلى الشمال حيث الدول الإسكندنافية ، فتسقط الأمطار الحمضية هناك مسببة تلف بحيراتها ونباتاتها .

لاحظت **الدول الإسكندنافية** تناقص الأسماك في البحيرات منذ مطلع القرن الميلادي الحالي . فقد لاحظ رئيس مفتشي صناعة صيد وتفقيس الأسماك **بالنرويج** أن عدد الأسماك الصغيرة يتناقص سنة بعد أخرى . وكتب في سنة ١٩٢٦ م ، تقريراً يقول فيه : « إن مواضع تفقيس سمك السلمون في الأرياف الجنوبية تواجه مشكلات كبيرة ، ومنها خصوصاً وفيات البيض وصغار السمك . **أخبرني البروفيسور داهل** Dahl أن حموضة المياه قد تكون السبب ، وقد أجريتُ تجربة لمعرفة ذلك ، وذلك باستعمال حجر الرخام لامتصاص الحموضة . وكانت النتيجة أن نقص عدد وفيات الصغار والبيض ، مما يدلنا على صدق فرضية البروفيسور داهل . فعدد الوفيات يزداد بازدياد حموضة الماء ، حيث لم أجد ماء سلم من تناقص عدد الصغار إلا نهر نوفدال الذي يجري فيه ماء متعادل غير حمضي . فهذا النهر لم يعان من تناقص في مواضع تفقيس السلمون كما حصل لباقي الأنهار في الأرياف الجنوبية » .

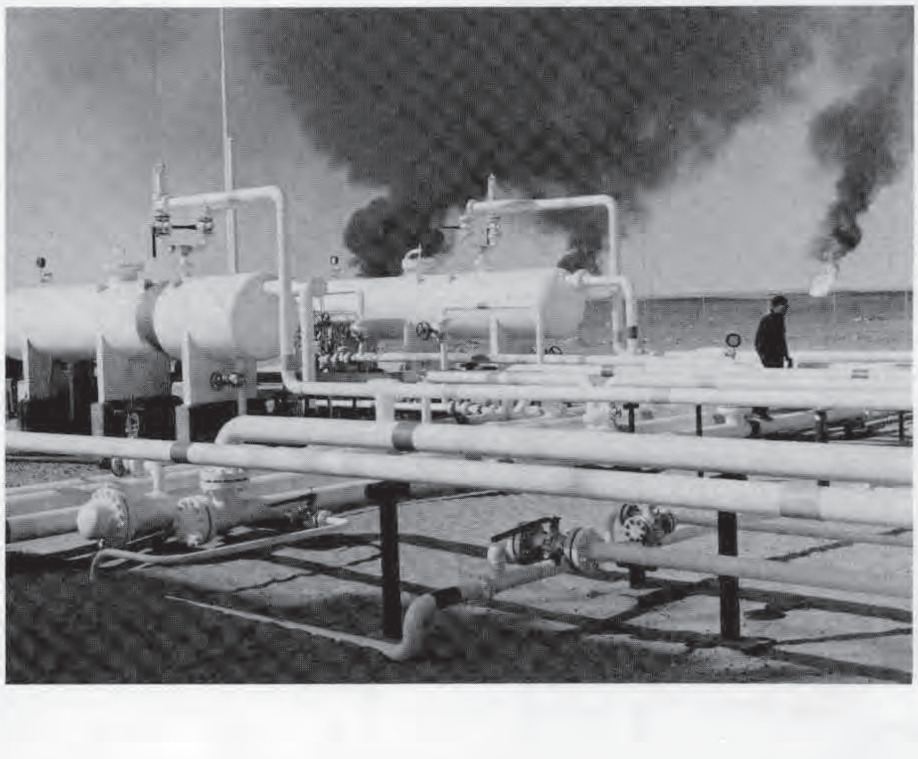
كان ذلك في عام ١٩٢٦ م . وما إن مرت ثلاثون عاماً إلا وكان نهر نوفدال قد انضم إلى قائمة الأنهار التي فقدت سلمونها ضمن آلاف البحيرات والأنهار التي ماتت أسماكها بسبب الأمطار الحمضية .

بدأ السويديون يحللون الأمطار والثلوج المتساقطة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وذلك بتأسيس شبكة من محطات أخذ العينات وتحليلها في كل بلاد السويد . وامتدت هذه الشبكة بعد ذلك في الدول الإسكندنافية كلها في أوائل الخمسينات من القرن الميلادي الحالي . وبعدها بسنوات قليلة امتدت الشبكة لتشمل غرب أوروبا ، وسُميت « **شبكة كيمياء الجو الأوروبية** » . وكانت مكونة من ١٧٥ محطة في فترة من الفترات .

أظهرت هذه الشبكة منذ الخمسينات أن المنطقة التي تشمل **هولندا وبلجيكا ولكسمبورگ** (لكسمبورغ) كانت عرضة أكثر من غيرها للأمطار الحمضية . ولعل ذلك لوقوع هذه المنطقة شمال المناطق الصناعية بأوروبا ، ولكونها أقرب من الدول الإسكندنافية إلى مناطق الصناعة . وفي سنة ١٩٦٨ م ، اتسعت هذه المنطقة لتشمل **ألمانيا** و **فرنسا** وشرق بريطانيا وجنوب إسكندنافيا .

وفي **أميركا** قام عالم يعمل في سلاح الجو الأميركي ـ واسمه **هلمت لاندسبرگ** (لاندسبرغ **Landsburg**) ـ بتحليل عينات من المطر في مدينتي **واشنطن وبوسطن** ، وذلك ما بين عامي **١٩٥٢** و**١٩٥٣** م ، فوجد أن الحموضة تتراوح بين ٤ في بوسطن و٤,٢ في واشنطن بمقياس الأس الهيدروجيني P H . وفي عام **١٩٥٥** م ، صدرت ثلاثة أبحاث عن الأمطار الحمضية وتأثيرها على الكائنات الحية ، ولم يعرف كاتبو هذه الأبحاث الثلاثة عن تلك الأمطار الحمضية سوى أنها أمطار تسقط فتؤثر على الكائنات الحية . لم يكن أحدهم يعرف أنه يدرس مشكلة من مشكلات تلوث الهواء . كان أحد هؤلاء الباحثين عالم النبات والبيئة الحيوية ecology الكندي **إفيل گورهام** (قورهام Gorham) الذي كان يحضّر الدكتوراه في إنجلترا في ذلك الوقت . وقد أظهرت الأبحاث الأخرى في تلك السنة (**١٩٥٥** م) ، أن اثنتي عشرة ولاية من ولايات شمال شرقي أميركا كانت تعاني من الأمطار الحمضية .

ظلت كل هذه التجارب والأبحاث مجرد دراسات استطلاعية يكتب منها بحث يسجل في الدوريات المتخصصة دون أن يجد تطبيقاً أو وعياً عند الجماهير ، وذلك حتى عام **١٩٦٧** م ، حين قام باحث سويدي يدعى **سفانته أودين** **Svante Oden** بدراسة بيانات الأمطار والثلوج المتساقطة فوق أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية (وذلك من سجلات شبكة كيمياء الجو الأوروبية التي ذكرناها) ، فوجد أن الازدهار الصناعي بأوروبا بعد الحرب أدى إلى ازدياد سريع في حموضة المطر في أوروبا وفوق الدول الإسكندنافية التي تبعد مئات الكيلومترات عن أوروبا الصناعية . وقد قدم أودين في أبحاثه وصفاً طبيعياً ورياضياً لكيفية انتقال الملوثات من مصانع أوروبا ، ورحلتها في الجو عبر مئات الكيلومترات لتصب على شكل أمطار حمضية فوق البلاد الإسكندنافية ، فتؤثر سلبياً على النظم البيئية المائية من بحيرات وأنهار . وقد توقّع في أبحاثه آثاراً سيئة يمكن أن يؤدي إليها المطر الحمضي على التربة والمياه والغابات والمراعي والمباني . وقد لُقب أودين منذ ذلك الوقت بلقب « أبي الأمطار الحمضية » .



تاريخ الأمطار الحمضية

وكما أن البلاد الإسكندنافية تشكل مهبطاً للأمطار الحمضية لأن الرياح السائدة بأوروبا تهب من الجنوب إلى الشمال فتحمل معها الملوثات من جميع مصانع أوروبا إلى إسكندنافيا ، فكذلك الحال بالنسبة لشمال شرقي الولايات المتحدة وجنوب شرقي كندا . فهذه المنطقة هي التي تستقبل أشد الأمطار الحمضية من حيث درجة الحموضة . وقد قام فريق من الباحثين بأمريكا يرأسهم **جين لكنز** Gene Linkens أستاذ البيئة الحيوية ecology بجامعة كورنل بولاية نيويورك ، **وهربرت بورمان** Bormann من جامعة ييل بولاية كنتكت المجاورة ، قاما بتسجيل أطول سجل عُرف عن الأمطار الحمضية حتى الآن . حيث استمر التسجيل من سنة ١٩٦٣م ، إلى سنة ١٩٨١م ، في منطقة **هبارد بروك** Hubbard Brook بولاية **نيوهامبشاير** الأميركية . وضم ذلك السجل معلومات جيولوجية وكيميائية وإكلوجية (نسبة إلى الإكلوجيا وهي دراسة تفاعل الكائنات الحية مع البيئة المحيطة بها) .

ثقع منطقة **هبارد بروك** فوق الجبال البيضاء في نيوهامبشاير ، وهي منطقة تتجمع فيها مياه الأمطار لتغذي الأنهار التي تنبع منها ، فهي منبع أنهار تلك المنطقة . وقد بدأ المطر يميل إلى الحموضة منذ سنة ١٩٦٤م ، حيث سجلت درجة الحموضة ٤ درجات منذ تلك السنة ، وسجلت حموضة أشد في بعض الأمطار . كان الحمض المذاب في مياه الأمطار والثلوج حمض الكبريتيك في غالبيته . ولكن حمض النيتريك ما لبث أن تزايدت كميته في السنوات العشر الأخيرة ، وذلك تبعاً لتزايد انبعاث أكسيد النيتروجين من محطات توليد الطاقة والسيارات في تلك الفترة .

بدايات التعاون الدولي

وفي سنة ١٩٧٢م ، عقدت **الأمم المتحدة** أول مؤتمر دولي للبيئة بمدينة **استكهولم** عاصمة السويد ، حيث تأسس في ذلك المؤتمر « **برنامج الأمم المتحدة للبيئة** » ، الذي يتخذ من مدينة **نيروبي** عاصمة كينيا مقراً له اليوم . وهذا « البرنامج » هو أحد المنظمات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة (مثل اليونسكو ومنظمة الأغذية والزراعة ومنظمة الطفولة . . إلخ) . فنلاحظ أن السويد استضافت عمداً ذلك المؤتمر لتعرض فيه مشكلاتها البيئية (وأهمها الأمطار الحمضية) على المجتمع الدولي ، وذلك من أجل محاولة إقناع الدول الصناعية بالكف عن إطلاق الملوثات إلى الجو . تلك الملوثات التي تهبط في السويد وبقية الدول الإسكندنافية . فنستنتج من هذا أن الأمطار الحمضية كانت أهم الأسباب التي دفعت إلى إنشاء التعاون الدولي المتمثل في منظمة الأمم المتحدة وبرنامج البيئة الذي يتبعها . فهذه إحدى الحسنات القليلة التي نعرفها عن الأمطار الحمضية .

وقد قدمت السويد في ذلك المؤتمر ورقة بعنوان : « **تلوث الهواء عبر الحدود الوطنية** » . وقد كانت تلك الورقة أول دراسة تجذب أنظار العالم إلى مسألة لم يعرفها من قبل ، وهي إنتقال الملوثات عبر الحدود السياسية دون استئذان أو جواز سفر ، وتكوينها لما يعرف اليوم بالأمطار الحمضية . وكان الباحث السويدي **سفانته أودين** أبرز من أعدوا تلك الورقة .

ومنذ ذلك التاريخ (١٩٧٢م) ، ظل العلماء الإسكندنافيون يكتشفون في بلادهم أكثر ما يعرفه العالم اليوم عن أسباب وآثار المطر الحمضي ، وذلك لسببين يجعلان من البلاد الإسكندنافية أكثر البلاد عرضة للأمطار الحمضية :

١ - أن أوروبا تملك أكبر قدر من الصناعات التي بدأت فيها منذ فجر الثورة الصناعية في القرن الخامس عشر الميلادي ، أي قبل أي مكان في العالم . وبهذا فهي ظلت تطلق الملوثات الصناعية إلى الجو منذ مئات السنين ، الأمر الذي أدى إلى تَلَف المناطق الحساسة بإسكندنافيا .

٢ - الرياح السائدة في أوروبا تهب من الجنوب إلى الشمال ، فتحمل الملوثات من جميع أنحاء أوروبا إلى شمالها حيث تقع البلاد الإسكندنافية .

وكانت البلاد الإسكندنافية - والسويد بخاصة - المكان الذي انطلق منه رواد البحث في الأمطار الحمضية في أنحاء أخرى من العالم . **فكورهام** (ڤورهام Gorham) الكندي درس في أوائل الخمسينات بالسويد وإنجلترا . وفي إنجلترا ظهر بأبحاثه في الأمطار الحمضية قبل أودين السويدي الذي يطلق عليه لقب « أبو الأمطار الحمضية » . فإذا كان أودين أباً للأمطار الحمضية ، فكورهام يعد جد الأمطار الحمضية ، كما يعد **سمث** الذي ذكرناه في أول هذه المقالة الجد الأكبر للأمطار الحمضية .



ولكن أبحاث سمث وگورهام لم يلتفت إليها الناس حين صدرت ، وإنما فاز أودين بالأضواء لأنه كان من الدولة التي تعاني فعلاً من الأمطار الحمضية .

أما **لكنز** الذي أصدر مع زميلين له سنة ١٩٧٢ م ، بحثاً رائداً حول أطول سجل عرف عن الأمطار الحمضية (وهو سجل منطقة هبارد بروك الذي ذكرناه) ، فقد درس في السويد في أواخر الستينات ، وهناك قابل أودين وأخذ منه ومن باحثين آخرين في السويد .

ودرس **جورج هندري Hendrey** في البلاد الإسكندنافية قبل أن يصبح باحثاً مرموقاً في معمل بروكهاڤن الوطني في لونگ (لونغ) آيلاند Long Island بولاية نيويورك الأميركية . وينسب إليه اليوم كثير من نتائج أبحاث الأمطار الحمضية .

ولما اتسع نطاق الأمطار الحمضية ليشمل أوروبا بأسرها اتفقت الحكومات في تلك البلاد على إجراء تجارب مشتركة لقياس وتحليل الأمطار والثلج المتساقط . فأجريت تجربتان دوليتان إحداهما في شرق أوروبا والأخرى في غربها . فأما التي في غرب أوروبا فقد تمت بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٧ م ، وقامت بتنظيمها **منظمة التعاون والتطوير بأوروبا الغربية** . وأما التي في شرق أوروبا فقد شملت دول شرق أوروبا الاشتراكية وغرب الاتحاد السوفييتي ، وقامت بتنظيمها ثلاث منظمات تابعة للأمم المتحدة ، هي : **المجلس الاقتصادي لأوروبا وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة الأرصاد العالمية** . وذلك بين عامي ١٩٧٧ و١٩٨٢ م .

وقد جرى في كل من التجربتين رصد الأمطار يومياً في أماكن كثيرة بعيدة عن مصادر التلوث ، واستعملت المعلومات الجوية والمناخية لمعرفة كيفية تحرك التيارات الهوائية التي تنقل الملوثات من مصادرها إلى مواقع هطولها مع الأمطار . وقد حسبت كيفية انتقال الملوثات من المصدر إلى موقع الترسيب ، وذلك باستعمال المعادلات الرياضية . ثم قورنت نتائج الحسابات بالقراءات التي تحصل عليها الراصدون خلال رصدهم للأمطار . وحسبت من تلك المقارنة كمية الملوثات التي تتخلف في الطريق فلا تصل كاملة إلى مواقع الترسيب .



أحداث سنة ١٩٧٩ م

فنرى من كل ما سبق أن الأمطار الحمضية لم يسمع بها الناس إلا منذ أوائل السبعينات . وقد ظل المهتمون بمعالجة التلوث حتى ذلك الوقت يهتمون فقط بإبعاد الملوثات المنبعثة من المصانع ومحطات الطاقة عن السكان المحيطين بها . ويكفي لعمل ذلك تركيب مدخنة طويلة تقذف بالملوثات إلى طبقات الجو العليا ، فتذهب إلى حيث شاء الله لها ، ولا يهم إلى أين ذهبت ! وكانت الفكرة السائدة عند العلماء والمهندسين هي أن مخلوقات الله في الطبيعة من هواء وأشعة شمس ونباتات ومحيطات ، تتكفل بهذه الملوثات لتحولها إلى مواد غير ضارة . أما الفكرة التي كانت سائدة عند أصحاب المصانع ومحطات الطاقة ، فهي كما يقول المثل الإنجليزي : « البعيد عن العين بعيد عن البال Out of Site, Out of Mind » أو كما يقول المثل الذي استحدثه المشتغلون بمعالجة التلوث : « الحل والدواء للتلوث والوباء هو مزجهما بالماء والهواء The Solution to Pollution is Dilution » .

ولم يستيقظ المهتمون بالبيئة من هذه الغفلة إلا بعد أن تفاقم الأمر ، وصارت الأمطار الحمضية تصب كل يوم على المناطق المتضررة دون توقف . وجأر الناس بالشكوى ، ولكن الشكوى ما أوقفت مطراً ولا خففت من شدة حموضته . وشهدت سنة ١٩٧٩ م ، أحداثاً متلاحقة بين كندا وأميريكا تدور في مجملها حول الأمطار الحمضية .

واحتلت هذه الأحداث صفحات الصحف الأولى ، وتصدرت أخبار التلفزيون وأحاديث الناس في المجتمعات .

★ ففي فبراير (شباط) ١٩٧٩ م ، أصدرت الحكومة الكندية تقريراً يبين أن خمسين ألفاً من البحيرات معرضة لفناء أسماكها بفعل الأمطار الحمضية خلال عشرين سنة . وظهر

وزير البيئة الكندي في مقابلة إذاعية يصف الأمطار الحمضية بأنها أسوأ مشكلة بيئية عرفتها كندا في تاريخها .

★ وفي مارس (آذار) من تلك السنة أصدرت **وكالة حماية البيئة الأمريكية** تقريراً يبين أن منطقة شمال ولاية **منسوتا** (الواقعة شمال الولايات المتحدة) ، تتعرض بحيراتها إلى تلف الأسماك ، وأن أسماكها قد تنقرض في أوائل الثمانينات . وظهرت صحيفة «منسوتا ستار» بمقال حول المشكلة ، بدأ بهذه العبارة : «ترحّموا على بحيرات شمال منسوتا» .

★ وفي يوليو (تموز) من ذلك العام استمعت «**اللجنة الدولية المشتركة**» ، (وهي اللجنة التي تشكلت من حكومتي كندا وأمريكا لتقدير مشكلة الأمطار الحمضية في منطقة البحيرات العظمى الواقعة بين الدولتين) إلى علماء أمريكيين وكنديين بيّنوا أن نتائج دراساتهم أظهرت أن كامل منطقة البحيرات تقع تحت تأثير الأمطار والثلوج الحمضية .

★ وفي أغسطس (آب) قدّم الرئيس الأمريكي **جيمي كارتر** بياناً إلى الكونغرس يدعو فيه إلى تبني برنامج دراسة وتقويم للأمطار الحمضية مدته عشر سنوات . وقد وصف كارتر المشكلة بأنها تهديد بيئي عالمي .

★ وفي أكتوبر (تشرين الأول) استمع الكونجرس إلى باحثين من ولاية كولورادو الواقعة وسط الولايات المتحدة يوضحان أن الأمطار الحمضية تصب في تلك الولاية الواقعة بعيداً عن مراكز الصناعة الثقيلة ، حيث كان الناس لا يتوقعون أن تستقبل تلك الولاية أي نوع من الأمطار الحمضية !

★ وفي نوفمبر (تشرين الثاني) عقد مؤتمر في تورنتو بكندا اجتمع فيه ثمانمائة من ممثلي المنظمات البيئية والعلماء ومسؤولي الحكومتين والزعماء السياسيين لمناقشة المشكلة . وكان عنوان المؤتمر «**الندوة التنفيذية حول الأمطار الحمضية** **Action Seminar on Acid Precipition**» وقد وقّع المؤتمرون على توصية لحكومتي كند وأمريكا بتبني برنامج مدته عشر

تاريخ الأمطار الحمضية

سنوات يتم بموجبه تخفيض حجم الملوثات إلى أقل من خمسين بالمائة .

وعُقد بعد ذلك المؤتمر بأشهر قليلة مؤتمر لاحق بمدينة **منيابُلس** عاصمة ولاية منسوتا حضره جمع أكبر ، واستقطب عدداً أكبر من أهل الصحافة والتلفزة ، فكان أن سمع كثير من الكنديين والأمريكيين بالأمطار الحمضية لأول مرة في حياتهم .

موقف أمريكا

فهل نجحت تلك الاجتماعات في الحد من التلوث ، وبالتالي الحد من تكوين الأمطار الحمضية ؟ ما حصل هو العكس تماماً !! وذلك لأسباب سياسية واقتصادية ، نوضح شيئاً منها باختصار .

ففي سنة **١٩٧٩** م ، وصلت أزمة الطاقة في أمريكا إلى ذروتها ، حين ارتفعت أسعار البترول وقل الإنتاج من دول الشرق الأوسط عن المطلوب بسبب توقف التصدير من إيران التي كانت تشهد أحداث الثورة في تلك السنة ، وكان على الرئيس الأمريكي والكنجرس التصرف بسرعة حيال هذه الأزمة التي غطت على كل الأزمات . فأصدرت الحكومة الأميركية أمرها إلى محطات الطاقة بالتحوّل من البترول إلى الفحم كي تستغني عن مصادر الطاقة الأجنبية ويقل اعتمادها على البترول . وأعفيت محطات التوليد من تركيب أية أجهزة لتصفية الملوثات إذا قبلت التحوّل من البترول إلى الفحم ! ونظراً لأن الفحم يقذف عند إخراجه بملوثات أكثر من البترول فإن محبي المحافظة على البيئة أصيبوا بخيبة أمل .

وما لبثت سنة ١٩٨٠ م ، أن شهدت أحداثاً متلاحقة صرفت أنظار الناس والحكومة بأمريكا عن الأمطار الحمضية ، فتوقفت الحماسة وضغط الرأي العام أمام تلك الأحداث . ففي تلك السنة تفاقم نقص البترول رغم زيادة إنتاج دول الخليج ، وبرزت أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران ، واقتربت انتخابات الرئاسة ، فاشتغل الجمهور بكل هذه الأحداث الثلاثة ، ونسي موضوع الأمطار الحمضية بنفس السرعة التي سمع بها عن المشكلة !!!

وفي المقابل نشط أرباب الأعمال المتصلة بتوليد الطاقة وإنتاج الفحم في حملة نشطة ضد «من يدّعون وجود الأمطار الحمضية» ، وصاروا يطلقون بملء فيهم شعارات وإعلانات تدعو إلى تكذيب وجود الأمطار الحمضية . وكانت أشهر عباراتهم تقول : «ما الأمطار الحمضية ؟ What Acid Rain» . ففي يونيو (حزيران) ١٩٨٠ م ، صدرت كبرى صحف رجال الأعمال الأمريكيين «**وال ستريت جورنال**» وهي تقول : «من الصعوبة بمكان تحديد علاقة بين استعمال الفحم وقوداً وتزايد الحموضة في المطر . . . » ، وكانت عباراتها مأخوذة من : (١) «**معهد أبحاث الطاقة الكهربائية**» ، وهو المعهد الذي تملكه مؤسسات توليد الطاقة . (٢) «**جمعية الفحم الوطنية**» !! أي إن الصحيفة لم تستشهد في حديثها عن التلوث إلا بأصحاب المهنة التي تصدر الملوثات .

وإذا تتبعنا الصحف التي صدرت منذ سنة ١٩٨٠ م ، حتى اليوم ، فإننا نجد مئات من التصريحات التي أطلقها أهل الصناعات ومحطات الطاقة ، تدعو إلى تكذيب وجود الأمطار الحمضية أو تأثيرها أو وجود علاقة بينها وبين الفحم ،

وجاء الرئيس الأمريكي الجديد **رونالد ريغان** سنة ١٩٨١ م ، بسياسة تدعو إلى انعاش اقتصاد أمريكا دون الالتفات إلى ما يقوله أهل البيئة . فعيّن في مواقع المسؤولية عن شؤون البيئة أناساً شهدت نهاياتهم المضحكة المبكية مدى تحملهم المسؤولية ، فقد عيّن **جيمس مكافوي** **Mc Avoy** رئيساً أعلى من

وكالة حماية البيئة ، ويقوم بدور المجلس الاستشاري الذي يرجع إليه الرئيس في شؤون البيئة . وكان مكافوي هذا من أشد المحاربين لجماعات حماية البيئة حين كان رئيساً لوكالة حماية بيئة أوهايو ، حيث لم يكن بولاية أوهايو في عهده سوى محطة طاقة واحدة لديها أجهزة غسل الغاز لتصفية الملوثات ، وذلك من ضمن ثلاثين محطة لتوليد الطاقة كانت تطلق ثلاثة ملايين طن من غاز ثاني أكسيد الكبريت المسبب للأمطار الحمضية كل سنة .

وحين اجتمع الكونجرس الأمريكي سنة ١٩٨٠ م ، لمناقشة موضوع الأمطار الحمضية ، جاء مكافوي هذا إلى الكونجرس يزعم أن مشكلة الأمطار الحمضية ليس لها وجود ، وأن الطبيعة وحدها تتسبب في ثلثي حموضة المطر . وهو بهذا الحديث كان يتجاهل أن الأمطار الحمضية لم تعرف إلا بعد تزايد التلوث الصناعي برغم أن الطبيعة كانت موجودة منذ أن خلق الله الأرض وما عليها . وكان يتجاهل كذلك أن الأمطار الحمضية أشد ما تكون في شمال شرقي أمريكا حيث التركيز الصناعي واتجاه الرياح السائدة .

وعندما عيّنه ريغان لتولي إدارة مجلس نوعية البيئة ثارت جمعيات المحافظة على البيئة ، واعترض أعضاء كثيرون من الكونجرس على تعيينه ، فسحب ريغان قرار تعيينه ، ولكنه ظل يعمل كأحد موظفي ذلك المجلس الذي حاول ريغان إلغاءه بأكمله قبل تعيينه لمكافوي !!!

وعين ريغان لرئاسة وكالة حماية البيئة امرأة اسمها **آن گورسچ** (قورسچ Gorsuch) نسبة إلى زوجها المستر گورسچ . وما لبث الناس بأمريكا أن سمعوا اسمها قد تغير خلال سنة واحدة من تعيينها من آن گورسچ إلى **آن بدفورد** ، لأنها غيرت زوجها خلال تلك السنة ، واستبدلته بواحد اسمه بدفورد ! وكانت طيلة مدة رئاستها عدوة للتحكم في الملوثات ، فكانت تمنح التصاريح لجميع المصانع بالعمل دون أجهزة لتصفية الملوثات . وظلت سادرة في إهمالها إلى أن ظهرت فضيحة إهمال حين تسربت كميات كبيرة من الملوثات الخطرة في شوارع إحدى المدن الأمريكية ، فكان أن قدمت استقالتها لكي تتفرغ لعريسها العجوز ، كما قالت هي بنفسها خلال تصريحاتها .

وعين ريغان **جيمس وات** وزيراً للداخلية ، وهو الذي أطلق العنان لشركات التنقيب عن البترول بأن تحفر وتردم في كافة أرجاء أمريكا دون اعتبار للظروف البيئية والحيوية للمناطق الحساسة مثل السواحل . وقام بتسريح حراس الغابات والمتنزهات الذين كانوا يحمونها من استغلال سارقي الجذوع الذين انفردوا بتلك الغابات لكي تزدهر صناعة الأخشاب . وانتهى أمر وات حين أطلق لتصرفاته الطفولية العنان ، فشتم الأمريكيين السود والمنحدرين من أصل لاتيني بنكتة غير لائقة أطلقها عليهم ، فطالب الناس باستقالته ، فأقيل وطرد من منصبه .

موقف الحكومات والدول الأخرى

هذا ما كان من جانب أمريكا ، أما كندا التي تشكو من الأمطار الحمضية دون أن تتسبب فيها بدرجة كبيرة فإنها ما فتئت تلقي اللوم على الأمريكيين بسبب انطلاق الملوثات من مصانعهم وتحولها إلى أمطار حمضية تصب في كندا وشمال الولايات المتحدة وشمال شرقها بسبب اتجاه الرياح السائدة . فالأمطار الحمضية بالنسبة لكندا مسألة حساسة يواجهها الناس بكل ثقلهم . فهي تمس حياتهم اليومية من جوانب عديدة منها :

(١) أن غالبية سكان البلاد يسكنون المناطق الجنوبية بسبب برودة الجو في الشمال ، فهم بذلك معرضون دائماً للأمطار الحمضية التي تأتيهم من جارتهم الجنوبية أمريكا .

(٢) أن كثيراً من أهل البلاد يعيشون على مهن تعتمد على نقاء الأمطار وتضرها الأمطار الحمضية ، ومن هذه المهن خدمات السياحة وصيد الأسماك . فالأمطار الحمضية تسبب تلف البحيرات ، وبذلك يتناقص السياح الأمريكان . وتلف البحيرات يسبب انقراض الأسماك ، وتسبب الأمطار الحمضية كذلك تناقص قدرة الأشجار على التكاثر والنمو ، وهذا يهدد إنتاج الغابات ، وكثير من الكنديين يعتمدون على إنتاج الغابات في معيشتهم .

وبذلك اتحد في كندا رجال الأعمال والسياسيون مع جمعيات البيئة والعلماء في الدعوة إلى محاربة الأمطار الحمضية ، أي بعكس ما حصل في أمريكا . وبذلك ظلت كندا تحاور أمريكا وتفاوضها حول الأمطار الحمضية ، ووقعت الدولتان اتفاقيتين حول الموضوع ، إحداهما وقعت في ٥ أغسطس (آب) ١٩٨٠ م ، وهي : « **مذكرة تفاهم حول تلوث الهواء عبر الحدود** » . وفي ١٧ مارس (آذار) **١٩٨٥** م ، وقع رئيسا الدولتين اتفاقية للتعاون حول تخفيض الملوثات المنتجة للمطر الحمضي .

أما في أوروبا فإن الدول الإسكندنافية ظلت تشكو وتصرخ من أن مصانع أوروبا ومحطات توليد الطاقة بها تبعث إليهم بالأمطار الحمضية ، ولكن صيحاتهم ظلت صرخة في واد ونفخة في رماد .

تجربة واحدة رائدة تعطي أملاً للذين يدعون إلى محاربة الأمطار الحمضية ، وهي **تجربة اليابان** ، تلك الدولة الرائدة في كثير من الصناعات المتطورة . فقد نجحت اليابان في تخفيض نسبة غاز ثاني أكسيد الكبريت بمقدار ٥٠٪ بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٥ م ، وذلك دون أن يسبب لها هذا التخفيض أي ضرر اقتصادي ، بل على العكس من ذلك زاد نموها الاقتصادي واستهلاكها للطاقة خلال تلك الفترة .

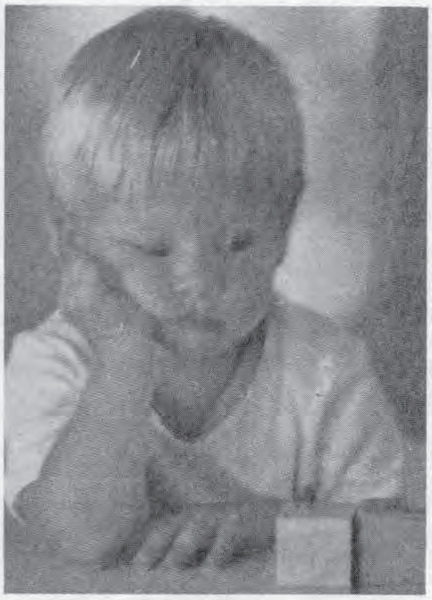
المراجع

(1) La Bastille, Anne. 1981. Acid Rain : How Great a Menance ? **National Geographic**, Nov. 1981 PP. 652- 680.

(2) Ostmann, Robrt Jr. 1982. **Acid Rain: A Plague Upon the Waters**. Dillon Press, Mineapolis, Minnesota, U.S.A.

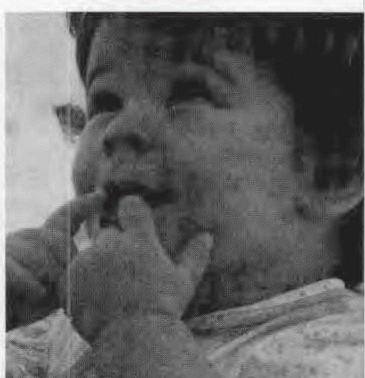
(3) Pasgwll, F. ; and F. B. Smith. 1983. **Atmospheric Diffusion**. Ellis Horwood Limited, Chichester, Britain.

(٤) صحف أمريكية ومحطات التلفزيون بها .


سلوك الانسحاب

بقلم : د. فاروق سيد عبد السلام



الانسحاب سلوك يبقي الفرد بعيداً عن الآخرين جسميا وانفعاليا . والانسحاب هو الرفض أو عدم القبول من الأقران .

من الطبيعي أن يبدي بعض الأطفال سلوكاً انسحابياً في بعض الظروف ، ولكن ضمن حدود معتدلة . إلا أن سلوك الانسحاب قد يحدث بدرجة مفرطة ، ابتداء من قلة الكلام الاجتماعي عند الأطفال العاديين ، ويتدرج في سلسلة متصلة من المواقف ، تصل إلى حد الانعزال المفرط عند الأطفال الذهانيين .

ويتميز الطفل الانسحابي بما يلي : بنقص السلوك ، الذي يجعله على صلة اجتماعية بالآخرين ، الافتقار إلى استجابات الإقدام ، كالنظر إلى شخص ما ، أو التحدث معه ، أو اللعب معه ، أو لمس الأقران والراشدين ، وفقدان الاستجابية ، ومبادأة الآخرين في الاتصال الاجتماعي ، عدم الانغماس في التبادلات الاجتماعية ، اللجوء إلى الخيال والاستغراق فيه ، الانغماس في الاستثارة الذاتية المفرطة ، وإظهار سلوك مفرط عن النمو الاجتماعي العادي .

ويصحب الانسحاب سلوك غير ناضج وغير كاف ، مما يجعل الطفل الانسحابي موضع سخرية من قبل زملائه ، حيث يطلقون عليه ، مثلاً « ناسك في البيت » و « زهرة الجدار » و « طفل غير موجود » ، والطفل الانسحابي وحيد لا أصدقاء له ، وغير قادر على إشباع حاجته إلى التبادل الاجتماعي ، كما أنه يفتقد البهجة .

قياس الانسحاب

يمكن قياس الانسحاب عن طريق الاستفتاء (**الاختبار السوسيومتري**) ، حيث نسأل كل طفل في المجموعة عن أكثر طفل يفضل أن يلعب معه ، أو يجلس معه ، أو يعمل معه ، وعن أقل طفل يرغب في التفاعل معه . ثم تحلل النتائج ويتم إيجاد النجوم والمرفوضين في الجماعة . وتستخدم الملاحظة الموضوعية المباشرة ، وعن طريقها يسجل سلوك الأطفال .

أسباب الانسحاب

تفترض **النظرية السيكودينامية** أن العدوان كينونة تتراكم خلف قيود عقلية (منطقية) ، ومن الضروري والأفضل أن يجد هذا العدوان منفذاً ، أي ينبغي أن ينفس الأطفال عن عدوانهم بطريقة أو بأخرى . وعلى هذا فالانسحاب ــ وفقاً لهذه النظرية ــ عدوان محجوز (مكبوت) ، أي أن الأطفال الانسحابيين هم أطفال كبتوا عدوانهم . ويرى أصحاب هذه النظرية أن الطفل الذي يعبّر عن غضبه وعدوانه ، أفضل من الطفل الذي يكبت عدوانه .

أما **نظرية التعلم الاجتماعي** فتقول إن الأطفال الانسحابيين هم الذين لم يتعلموا مهارات التفاعل الاجتماعي المناسبة ، وهم الذين عوقبوا في الماضي ، لأنهم حاولوا أن يتفاعلوا اجتماعياً . كما تقول هذه النظرية إن سبب الانسحاب هو تقييد الوالدين المتشددين للطفل أو تعزيز اللعب المنفرد وانعدام الفرص لتعلم وممارسة التبادل الاجتماعي .

باختصار ، ترى نظرية التفاعل الاجتماعي أن أسباب الانسحاب عوامل التعزيز والعقاب والتقليد ، ومن ثم التدخل .

وسائل العلاج

يتم علاج الانسحاب عن طريق التدخل . ويتم التدخل بالطرق التالية :

★ محاولة تحسين مفهوم الطفل الانسحابي لذاته ، وينتج عن ذلك ميل الطفل إلى الاشتراك في التفاعلات الاجتماعية . ويتم تحسين مفهوم الطفل لذاته عن طريق تشجيع الطفل على التعبير عن مشاعره ، من خلال اللعب العلاجي أو الاشتراك في محادثات علاجية مع راشد يتسم بالدفء والتقبل لمشاعر الطفل الخاصة بسلوكه وعلاقاته الاجتماعية . فإذا شعر الطفل بالتقبل واستطاع أن يعبّر عن مشاعره بصراحة ، فإن مفهومه لذاته سيصبح إيجابياً وسيزداد تفاعله الاجتماعي الإيجابي .

★ تعليم الطفل مهارات اجتماعية ، أي كيف يرد على المجاملات ، ويتبادل العواطف والاستجابات الاجتماعية الإيجابية مع أقرانه والراشدين عن طريق :

- تهيئة مواقف تؤدي إلى التفاعل الاجتماعي كإحضار ألعاب .
- التعزيز على التفاعل الاجتماعي .
- تقديم أمثلة ونماذج واضحة للتفاعل الاجتماعي .

★ مساعدة الأقران الطفل الانسحابي في تعديل سلوكه الاجتماعي .

★ تعزيز الطفل عند اشتراكه في إحدى الألعاب خارج المنزل .

★ أن يعبر الراشدون الطفل اهتمامهم عندما يشارك في لعب تعاوني أو جماعي ويهملوه عندما يكون وحيداً .

★ إرشاد الطفل وتعليمه مهارات اللعب الجماعي .

★ مشاهدة أفلام تصور تفاعلات اجتماعية سارة وملائمة بين أطفال آخرين .

★ استخدام نماذج الأقران في التفاعلات الاجتماعية للتغلب على عزلة الطفل الاجتماعية .

★ القياس اليومي لتغيّر السلوك .



الانسحاب الاجتراري

الانسحاب الاجتراري هو العزلة الاجتماعية المفرطة . وهناك وجهات نظر مختلفة حول تعريف الانسحاب الاجتراري وأسبابه . ولا توجد معلومات أو بحوث تجريبية تدعم أياً منها . كما لا يوجد اتفاق بين العلماء حول السلوك الذي يشمله هذا الاضطراب . ويمكن إجمال أربعة أنواع من السمات السلوكية المميزة للانسحاب الاجتراري ، وهي :

● عدم الاستجابة للمثيرات الاجتماعية :

يظهر الطفل العادي في السنة الأولى من حياته استجابة للبيئة الاجتماعية ، فهو يبتسم ابتسامة اجتماعية ، استجابة لسماع أو رؤية أشخاص مألوفين بالنسبة له . . ويرفع يديه توقعاً لرفعه ، وينغمس في الألعاب الاجتماعية كالثرثرة والمناغاة بكل سرور ، ويسر عند التصاقه الجسمي بوالديه .

أما الأطفال الذين لا يظهرون استجابة إيجابية في الحياة المبكرة للبيئة الاجتماعية ، مثل فقدان الاتصال الاجتماعي ورفضه ، وعدم عناقهم للراشدين ، أو تكييف موضعهم تبعاً لموضع الراشد الذي يمسك بهم ، فيعتقد أنهم متخلفين ، أو مصابين في الدماغ ، أو مكفوفين ، أو صم . ويعطون انطباعاً بأنهم يفتقدون الاهتمام ويرفضون العلاقات الاجتماعية . فإذا ما كبروا لم يستجيبوا للغة ، أي لا يأتون عندما ينادى عليهم ، ولا يتبعون التعليمات اللفظية ، ومن ثم يشكلون مشكلة إدارية للوالدين وغيرهم من الراشدين .

أما تعديل عالم الطفل ذي الانسحاب الاجتراري ، فليس من السهولة بمكان . ولا زال الانسحاب الاجتراري لغزاً غامضاً حتى على البحوث الأولى في هذا الميدان . **وهذه بعض النقاط التي تساعد في العلاج :**

١ ـ يتطلب العلاج الناجح التدخل الفعّال من قبل المدرس في خبرة الطفل ، كما يتطلب استخدام **المنحى البنائي (المنظم) Structured** ، حيث تستخدم الألعاب (كاللمس والتقليد والمطاردة وغيرها) في التغلب على الانسحاب الاجتراري .

٢ ـ استخدام الألعاب البسيطة كمعززات لسلوك اجتماعي آخر .

٣ ـ التعزيز الموجب على الاستجابات الاجتماعية ، مثل الاتصال بالنظر والتقليد واتباع التعليمات .

٤ ـ استخدام التعزيز السالب (كالصدمة الكهربائية) عند فشل التعزيز الموجب .

٥ ـ استخدم Lovoas أسلوب التعزيز والعقاب المبني على التحليل الشرطي للسلوك ، بينما استخدم Des Lawriers التدخل المباشر والقوي في حياة الطفل ، بناء على مسلمة نقص نظام الاستثارة الفعّال لدى الطفل .

٦ ـ ترك الطفل ليستخدم طرقه الخاصة أو إعطاءه الحرية الكاملة ليتصرف كيفما شاء والمعاملة المتساهلة (بناء على المسلمة التي تقول إن إشباع حاجات الطفل الفسيولوجية يكفي لتحسين سلوكه) لا يساعد الطفل في التخلص من مشكلته .

كره النظر إلى الآخرين

من الأمور العادية في الحياة أن ينظر الأفراد إلى بعضهم ◀

البعض خلال التفاعلات الاجتماعية . ويتوقف تكرار النظر ومدته والمكان الذي يوجّه إليه على عدة عوامل هي :

المركز الاجتماعي ــ القرب المادي ــ التكافؤ الانفعالي في التفاعل . . ويفهم من الاتصال المستمر بالنظر لمدة طويلة التهديد أو العشقية . . كما يفسر انعدام الاتصال بالعين على أنه عدم انتباه ، أو عدم الرغبة في دخول العلاقات التي بين الأشخاص .

ويعتبر كره النظر إلى الآخرين ، أي الفشل في ترسيخ نظرة اتصال مع الآخرين من إحدى مكونات الانسحاب الاجتراري . ويوصف الأطفال المفرطو الانسحاب بأنهم ينظرون من خلال الجماعة ، أو أبعد منها ، أو خارجها ، لكنهم لا يركزون أبداً على وجوه الآخرين ويمقتون النظر إلى وجوه الناس ، حتى ولو مثلها رمز .

الأسبــــاب

يعتقد Carlson و Des Lawriers ، أن الأطفال ذوي الانسحاب الاجتراري يعانون من قصور عصبي فسيولوجي أساسي وعدم اتزان في الإثارة . ويعتقدان أن لدى الأطفال ذوي الانسحاب الاجتراري إثارة دونية ، وأن هؤلاء الأطفال يتعلمون كره النظر إلى الآخرين في ظروف ذات إثارة عالية الفعالية .

ويرى Battleheim ، أن نظرة الأطفال ذوي الانسحاب الاجتراري وغيرها من السمات ، عبارة عن إشارات تدل على أن الطفل أدار ظهره للعالم الذي يرفضه .

العــــلاج

يؤكد Carlson و Des Lawriers أهمية ترسيخ الاتصال بالنظر والتغلب على كره النظر إلى الآخرين ، وذلك باستخدام التدخل وباستخدام ألعاب بسيطة ، مثل : الاختباء ، والقفز ، وتقييد المُدرس لرأس الطفل وإجباره على النظر إلى وجه الراشدين بقوله انظر إليَّ .

ويقترح Lovoas تعليم الطفل أن ينتبه بصرياً أثناء تدريبه على اللغة ، حيث يجبر المُدرس الطفل على ذلك بقوله : « انظر إليَّ » ، وذلك من أجل الحصول على استجابة ، فإذا فعل الطفل ذلك ، عزز فوراً بالمدح أو الطعام . كما وجد أن النظر إلى الراشدين والابتسام لهم حدث نتيجة لاستخدام التعزيز السلبي .

الصمت والمصاداة[1]

تعتبر **اللغة** وسيلة أساسية للتفاعل الاجتماعي . وتدل الملاحظات الشائعة أن لدى الأطفال ذوي الانسحاب الاجتراري اضطرابات كلامية عنيفة ، حيث نجد أن نسبة كبيرة منهم صم ، وكثير منهم يردد ما يقوله الآخرون ، ولكن ليس لغة وظيفية ، وقليل منهم صامتون عندما يريدون ولا يتحدثون إلا إلى شخص واحد أو أشخاص قليلين ، كالأم والإخوة . . وغيرهم ، أو يتحدثون في ظروف غير عادية . وتشكل المشكلات اللغوية لهؤلاء الأطفال ضرراً على



سلوك الانسحاب

نموهم الاجتماعي ، وذهب بعض الباحثين إلى أن ضعف اللغة كاف وضروري لسلوك الأطفال المنفصمي الشخصية والمفرطي الانسحاب .

أما أسباب هذه الاضطرابات اللغوية فغير معروفة . . وعلاجها يتم بالطرق الآتية :

١ ــ تعديل السلوك :

وذلك بتعليم الطفل ذخيرة من التقليد اللفظي والحركي ، ثم تحويل الاستجابة التقليدية إلى مثيرات اجتماعية ملائمة ، وتكون اللغة محددة ومنظمة جداً ومسلسلة بعناية ، ويكون هناك آلاف من محاولات التعلم . وتعزيز المُدرس لكل محاولة قريبة من الكلام الوظيفي ضروري . وهكذا يتعلم الطفل بالتدرج جُملاً أطول تحت أكثر تنوعاً ، حتى يصل إلى مرحلة نأمل فيها أن يتعلم تعميمات ظروف الحياة اليومية . وعلى الرغم من هذا لا يكتسب بعض الأطفال لغة حقيقية . . واستخدم كثير من الباحثين الأساليب الاشراطية .

٢ ــ استخدم Carlson و Des Lawriers مبادئ التقليد والتعزيز ، كجزء ثانوي من طرائقهما الأكثر طبيعية . وليس لديهما خطة ثابتة لتعليم استجابات اللغة ، ولكنهما يشجعان استخدام اللغة والتلفظ بها كجزء من الألعاب التي يلعبانها ، والخبرات التي يشتركان فيها مع الأطفال .

٣ ــ استخدم Creedon الإشارة باليد (مع الصم) كبديل للغة الشفهية . واستخدم De Villiers و Naughton لغة حرفية (Particle Language) ، تتألف من كلمات مطبوعة متصلة بحروف ممغنطة ، يمكن ترتيبها على خلفية معدنية ، الهدف منها الاتصال بالأطفال الاجتراريين .

وباختصار ، فإن الوسائل المفيدة في هذا المجال هي تلك التي تتخذ منحى موجهاً ومنظماً ، يرتكز على مبادئ اشراطية فعّالة ، يكون لها نتائج أفضل على قياس السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي من الوسائل الأقل تنظيماً وتساهلاً .

الإثارة الذاتية والتخيــل

يقصد بالإثارة الذاتية أي نشاط متكرر ومتولب ، ويخدم كنوع من التغذية الرجعية الحسية . وتتخذ أشكالا متنوعة ، منها :

ــ تلاعب اليدين (أي تحريك اليدين بمدهما وثنيهما باستمرار) .
ــ التعبير بألفاظ متكررة (بحذف كلمات معروفة) .
ــ ليّ القدمين .
ــ ليّ الساقين .

ـ التلاعب الإيقاعي بالأشياء (فرك الأشياء بالأصابع وتدويرها وضربها ضرباً خفيفاً باستمرار).
ـ التكشير.
ـ الحملقة.
ـ فرك الفم المستمر باليدين.
ـ فرك الوجه المستمر باليدين.
ـ تشبيك اليدين خلف الرأس.
ـ إمساك الأشياء بالفم.
ـ الضغط على الأذنين وليّهما باليدين.
ـ التلويح الأفقي أو العمودي باليدين مع مد الأصابع أمام العينين.
ـ فرك العينين المتكرر والقوي باليدين.
ـ فرك الأنف المتكرر والقوي باليدين.
ـ فرك الفم المتكرر والقوي باليدين.
ـ فرك الأذنين المتكرر والقوي باليدين.
ـ فرك الملابس المتكرر والقوي باليدين.
ـ فرك الأشياء المتكرر والقوي باليدين.
ـ رفرفة اليدين في الهواء.
ـ فرك اليدين وتشبثهما ببعض بشكل تناوبي.
ـ لـيّ الأصابع.
ـ الضرب الخفيف لأجزاء الجسم والأشياء بالأصابع.
ـ التأرجح بتحريك الجزع عند الكفل إلى الأمام، وإلى الخلف، وإلى الجانبين.. على نحو إيقاعي.
ـ تحريك الرأس من جانب إلى آخر على شكل رقم.
ـ طقطقة الأسنان.
ـ تدوير اللسان وطقطقته.
ـ حفيف اللعاب في الفم على نحو مسموع.
ـ الضرب الخفيف المتكرر للقدمين على الأرض.
ـ الضرب الخفيف المتكرر لأفحص القدم داخل الحذاء.
ـ الضرب الخفيف المتكرر لإحدى الركبتين بالأخرى.

الأسبـــاب

لا توجد أدلة ثابتة تبيّن الأسباب الحقيقية لهذه الأنماط السلوكية.. وهناك بعض الافتراضات، منها:

١ ـ تنتج القولبة عن نقص في الجزء الذي يتحكم في الإثارة في الجهاز العصبي المركزي. ووجد أن الإثارة الذاتية شائعة عند المحرومين من إحدى الحواس، كالمكفوفين.

٢ ـ الإثارة الذاتية المفرطة ناجمة عن اضطرابات في الإدراك، أي وجود طريقة واحدة تجعل الطفل على اتصال بالعالم الذي يدركه بصورة غير منسقة.

علاقة الإثارة بغيرها من السلوك

للإثارة الذاتية علاقة عكسية بالتعلم واللعب المناسب عند الأطفال الاجتراريين Autistic، فقد وجد Koegel و Covert، أن طفلين اجتراريين لم يستطيعا تعلم بعض الأعمال التجريبية البسيطة عندما سمح لهما بالإثارة الذاتية أثناء فترة التدريب. أما عندما سمح لهما بالإثارة الذاتية أثناء فترة التدريب، تعلم الطفلان القيام بالعمل بسرعة. كما وجد Koegel أن لعب الأطفال التلقائي والمناسب بالألعاب كان له علاقة عكسية بالإثارة الذاتية. وعندما أعطى الأطفال عدة ألعاب بسيطة أهملوها معظم الوقت وأمضوا وقتهم منشغلين بالإثارة الذاتية. وكلما تم قمع الاستثارة الذاتية ازداد اللعب الملائم كثيراً.

طريقة التحكم في الإثارة

يمكن قمع الإثارة الذاتية باستخدام العقاب (كالصفع والصدمة الكهربائية)، والعلاج الطبي، وتعزيز السلوك غير المثير للذات، وباستخدام التصحيح المتكرر للسلوك غير السوي، أي جعل الطفل يمارس نمطاً أكثر، سواء تحت التوجيه المدرسي، أو المعالج فترة من الزمن.

وهناك بدائل للقمع، منها: الدخول إلى عالم الطفل والاتصال الدائم به إلى أقصى حد ممكن، وخلق مزيد من التفاعلات بين الطفل ووالديه.

التخيـــل

التخيل المفرط نشاط خاص، يقوم به الطفل الانسحابي كثيراً. ويستشف من الأشياء التي يعملها الطفل، أي من سلوك الطفل، كالصور التي يرسمها، أو الكلام الذي يقوله.. **والتخيل سمة من سمات السواء الانفعالي والسلوك السوي.. أما إذا تحكّم في تفكير الفرد وتدخل في سلوكه ومطالبه الموجهة نحو الواقع، فإنه يعتبر انسحاباً مرضياً.**

وتجدر الإشارة إلى أن ما يعرف عن طرق ضبط التخيل المرتكز على أبحاث، تدور حول السلوك اللفظي والكلام الذهاني والأفكار المتسلطة وأوهام الكبار.

الهوامـــش

(١) المصاداة هي التردد المرضي لما يقوله الآخرون، وغيره من ضروب الكلام.

Bibliography

1 - Fagin, Claire M. **Nursing in Child Psychiatry.** Saint Louis: The C.V. Mosby Company, 1972.

2 - Hurlock, Elizabeth. **Child Development. Mc-Graw-Hill** Book Company, 1972.

3 - Johnson & Medinnus, **Child Psychology.** New York: John Willy & Sons, 1974.

4 - Kauffman, James. **Characteristics of Children's Behavior Disorders.** Ohio: Charles E Merrill Publishing Cobpany, A Bell & Howell Company, 1977.

5 - Stott, Leland. **The Psychology of Human Development.** Holt Rinehart & Winston, Inc. India, 1974.

6 - Wood, Margaret. **Children: The Development of Personality and Behavior Behavior.** London: Harap & Company Ltd., 1973.



★ أرسطو ★



★ هوميروس ★

الرؤية السردية في الرواية

بقلم : أعبو أبو إسماعيل

إن الخصوصية المميزة للنظرية العلمية ، تكمن في تفردها في موضوعها ومشروعها التفسيري ، ذلك لأن وجود نظرية أخرى تدرس الموضوع نفسه يضعفها ، ويجعلها تكراراً لا مبرر له ، يتنافى مع قاعدة الاقتصاد العلمي(١) .

ومن ثمة ، فإن التفرد في الموضوع ، إلزامي لبلورة نظرية موحدة للرؤية السردية ، فهو يجعلها مبينة المفاهيم وموسومة بالكلية الدينامية الذاتية ، والضبط الذاتي ، والاقتصاد .

التراكم النظري

وعليه ، فإن المفهوم الذي لا يدخل ضمن نسق النظرية الموحدة لا يعني شيئاً .

وما دمنا نفتقر إلى هاته النظرية ، فإن ترصد التراكم النظري المتبلور حول الرؤية السردية ، ضروري وناجع ، قصد تأسيسها ، إن المشترك بين تلك « النظريات » سيغدو المبدأ المنظم لتلك النظرية ، فهو سيجعلها تحاذر من التعدد بتقليص المفاهيم ، وبالتالي استبعاد « النظرية » تلو الأخرى إلى أن تبين مفاهيمها وتنفرد بموضوعها .

إن التراكم النظري حول الرؤية السردية يبرره الكم المفاهيمي التالي :

التبئير الصفر ، التبئير الداخلي ، التبئير الخارجي ، الرؤية « من الخلف » ، الرؤية « من الخارج » ، التقنية الموضوعية ، حكي بوجهة النظر ، حكي بسارد كلي المعرفة ، حكي بالعاكس(٢) ، الكاتب الضمني ، السارد غير الممسرح ، السارد الممسرح ، السارد الراصد ، السارد الملاحظ ، السارد المشارك(٣) .

ولعل هذا الكم المفاهيمي ، يمكن أن يجد تجلية الملموس من خلال تتبعنا للنظريات المتباينة في الرؤية السردية .

النظريات المتباينة

إن الحكي **الهوميروسي** المعروض ، الذي لا يتدخل الكاتب في أحداثه إلا نادراً ، أحظاه **أرسطو** بالثناء ، ومن ثمة فإن العرض والسرد كانا معروفين منذ القدم .

لذا فإذا كان (**هنري جيمس Henry James**) قد دعا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، إلى ضرورة مسرحة الحدث ، فإنه لم يبتدع شيئاً ، بل إنه استلهم هذا المفهوم من مراسلات (**فلوبير Floubert**) الذي تحدث في إحداها إلى الآنسة (**لروير دوشانتوبي Mple Leroyer de Chantepie**) عن وظيفة السارد(٤) .

إلا أنه ينبغي إثبات أن دعوة « هنري جيمس » ، شكلت انسياقاً طوعياً وراء « **الرؤية** » ، ولعل هذا ما جعل « **النقد الأنجلو - أمريكي** » يستحدث مفهوم « **وجهة النظر** » - البؤرة السردية - التي هي زاوية التقاط الرؤية ، والموقع الذي يحتله السارد ليحكي الحكاية(٥) .

إلا أن هذا المفهوم المستحدث يتسم بعدم الدقة ، حيث يقول الناقد المعاصر (**فليب ستيفيك Philipe Stevick**) « ربما كان تعبير وجهة النظر تعبيراً غير موفق ، إذ يمكن أن يشير - بنفس الدرجة - إلى الاتجاه العقلي (السياسي أو الديني أو الاجتماعي) لعمل ما أو إلى موقف



★ هنري جيمس ★



★ فلوبير ★

المؤلف الوجداني [. . .] ، أو إلى الزاوية التي يسرد منها العمل القصصي[٦] » .

لذا يعد مفهوم « وجهة النظر » متعدد الدلالات (**Polysémique**) ولا محالة إن هذا التعدد يجعل المفهوم لا يجد تبريره علمياً . إن الاهتمام « بوجهة النظر » ، قد جاء مرتبطاً بالنظرة الحديثة إلى الرواية ، بوصفها وحدة عضوية متكاملة من جهة ، وصدق لدور السارد في الرواية الواقعية من جهة أخرى ، ذلك السارد العارف بكل شيء ، والموجود في كل مكان الذي لا يجد غضاضة في تحريك الشخصيات ، وتوجيه الأحداث ، وإصدار الأحكام بدرجات متفاوتة من اللاموضوعية[٧] .

إن الدعوة إلى **مسرحة الحدث** ، قد جعلت « هنري جيمس » يميز مع (**پيرسي لوبوك Percy Lubbock**) بين أسلوبين في الحكي هما : **الأسلوب « البانورامي Panoramique »** ، الذي سيقابل الرؤية من الخلف Vision par deırere **والأسلوب المشهدي Scénique** الذي سيقابل « الرؤية مع » Vision avec[٨] ، إلا أنه يبدو أن « پيرسي لوبوك » هو الذي عمق أكثر مفهومي : العرض ، السرد (Shauring' Telling) في كتابه المعنون : (**The Graft of Piction**) وذلك سنة ١٩٢٠ م[٩] ، إذ ميز بين رؤيتين متباينتين :

(١) الرؤية البانورامية : السارد يرصد سنوات كاملة من خلال نظرة خاطفة ، ويشهد في وقت واحد الحدث في أمكنة متعددة .

(٢) الرؤية المشهدية : الأحداث تعرض قبالة الأنظار كما هي[١٠] ، إلا أن (أوتولودفيك **Otto Luduvic**) تنبه إلى هذا التمييز قبل « لوبوك » ، وذلك حين ميز بين الحكي الخالص ، والحكي المشهدي[١١] .

بل إن هذا التمييز كان حاضراً ، لدى **توما شفسكي** ، حين تمييزه بين **السرد الموضوعي ، والسرد الذاتي** ، حيث يقول : « الحكي يقدم إما بصورة موضوعية ، باسم الكاتب ، على شكل أخبار ، ودون أن يفسر لنا كيف نتمكن من معرفة هذه الأحداث (سرد موضوعي) ، أو باسم سارد ، أو شخصية معينة محددة بدقة . ويتم إدراج السارد ، في بعض الأحيان ، كطرف يخبر [بالأحداث] ، خلال مجرى السرد من طرف شخصيات أخرى [. . .] ، أو كشاهد ، أو كمساهم في الفعل [. . .] . في أحيان أخرى ، يمكن لهذا الشاهد أو المستمع ألا يكون سارداً فيخبرنا السرد الموضوعي بما عرفه مع أنه لا يقوم بأي دور في السرد [. . .] . وفي أحيان ثالثة ، تستعمل مناهج معقدة للحكي (مثلاً : يتم في « **الإخوة كرامازوف** » ، إدراج السارد كشاهد ، ومع ذلك فهو لا يكون حاضراً في الرواية ، ويستمر الحكي كسرد موضوعي) .

هكذا يوجد نمطان رئيسيان للحكي : سرد موضوعي ، وسرد ذاتي ، ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعاً على كل شيء ، حتى الأفكار السرية للأبطال . أما في نظام السرد الذاتي ، فإننا نتتبع الحكي من خلال عيني السارد (أو طرف مستمع) متوفرين على تفسير لكل خبر : متى وكيف عرفه السارد (أو المستمع) نفسه[١٢] .

يتبين إذن أن الرؤى ، كانت مفكرة انطلاقاً من التمييز بين السرد والعرض ، **ولقد تولد عن هذا التميز رؤيتان :**

١ ــ رؤية بانورامية أو موضوعية .

٢ ــ رؤية مشهدية أو ذاتية .

وتبعاً لذلك يتم أيضاً التمييز بين الرؤية الداخلية ــ أو الرؤية من الداخل du dedans ــ والرؤية الخارجية ــ أو الرؤية من الخارج du dehors ، فالرؤية الأولى هي التي تمدنا بجميع أفكار الشخصية ، أما الرؤية الثانية فهي التي تكتفي بوصف الوقائع المدركة دون مرافقتها بتأويل[١٣] .

ونضيف إلى أن الرؤية الأولى ، يترتب عنها حكي بسارد كلي المعرفة ، في حين يترتب عن الرؤية الثانية حكي بسارد محدود المعرفة ، لا يدرك إلا ما تدركه الشخصيات ، بل إنه يترتب عن الرؤيتين ، ما يسمى **بامتداد ــ أو زاوية ــ الرؤية L,étendue ou L,angle de la Vision** ، بيد أن عمق الرؤية أو درجة نفاذها ، لا يتأتى إلا حينما لا يتم النفاذ إلى مقاصد لا وعي الشخصيات[١٤] .

ويعد كتاب (**جان بويون Jeans Pauillon**) المعنون : « **الزمن والرواية** » من أهم الدراسات التي تناولت الرؤية السردية ، بنوع من الانسجام والتكامل والسهولة ، ولا يخلو أي كتاب أو مقال ، لباحث أو مشتغل بالسرديات ، من الإشارة إليه ، أو الاستفادة منه ، عن طريق مباشر ، مع إدخال بعض التعديلات على بعض المصطلحات أو المفاهيم[١٥] .

إن « **جان بويون** » **يميز بين ثلاث رؤى ، هي : الرؤية « مع » Vision avec » ، الرؤية من الخلف Vision Par**



الرُّؤيَة السَّرديَّة في الرِّوايَة

dériére ، الـرؤية مـن الخـارج Vision Par dehors .

●● **الرؤية مع :** تتميز بشخصية مختارة تكون هي محور الحكي ، إذ من خلالها نرى باقي الشخصيات ، « ومعهـا » نعيش الأحـداث المحكية .

●● **الـرؤية مـن الخلف :** وهنـا لا يتموضع الكاتب ـ السارد ، داخل شخصية من الشخصيات ، وإنما يتخلص منها ، ليس قصد رؤيتها مـن الخارج ، ورؤيـة حـركاتها ، والاستماع ببساطة لكلامها ، وإنما قصد أخذ حياتها النفسية بعين الاعتبار ، وذلك من وجهة موضوعية ومباشرة .

●● **الرؤية مـن الخارج :** وتتمثل في كون السلوك يدرك كما هو ملحوظ مادياً ، ومـن ثمة تتم مراعاة المظهر الفـيزيقي للشخصيات والوسط الـذي تعيش فيه ، إنها رؤيـة لا تهتم بالخارج إلا لكونه يعد كاشفاً للداخل ، أي لجانب نفسي[١٦] .

إن مفهوم الـرؤية « مـع » يـرمز إليـه « **تودوروف** » بالصيغة التالية : **السـارد = الشخصية .**

وهو يقابل مفهوم الحكي بوجهة النظر à parnt de oue أو بحقـل محـدود à champ reotreint في حين يرمز « تودوروف » إلى مفهوم الـرؤية « مـن الخلف » بـالصيغة التـالية : **السارد > الشخصية .**

وهذا المفهوم يقابل مفهوم الحكي بالسارد الكلي العلم ، لدى **النقد الأنجلوسكسوني** Anglo- Saxonne . أما مفهوم الرؤية مـن الخارج فإنه يرمز إليه « تـودوروف » بـالصيغة التالية : **السارد < الشخصية .**

وهذا المفهـوم يقـابل مفهـوم الحـكي الموضوعي ، أو السلوكي Bèhavioruriste .

إن **(جيرار جنيت Gerard Genette)** استحضر مصطلح « **التبئير** Focalisation » ، ليتحاشى المصطلحات التالية : رؤيـة ، حقـل ، وجهة نظر ، إذ أنها ذات خصوصية بصرية ، في حين يتسم المصطلح المستحضر بنـوع مـن التجريد[١٧] .

وهكذا ميز « جنيت » بين الـرؤى التالية :

١ ـ التبئير الصفر (Focalisation Zéro) .

٢ ـ التبئير الـداخلي (Focalisation Interne) .

٣ ـ التبئير الخارجي (Focalisation Externe) .

ومن ثمة تبدو استفادته من « **جان بويون** » جلية ، فـالرؤية « مـن الخلف » تقابل التبئـير الصفر . والرؤية « مع » تقابل التبئير الـداخلي ، والرؤية « من الخارج » تقابل التبئـير الخـارجي ، إلا أنه ينبغي التنبيه إلى أن صيغة التبئـير ، لا تستند دوماً على عمـل أدبي ، بـل الأجـدر على جزء سردي محدد[١٨] .

إن تصنيف الـرؤى المثبـت لـدى « جـان بويون » ، اعتمـده أيضـاً « تـودوروف » بعـدما أدخل عليـه تعـديلات طفيفـة ، ولعـل تلك التعديلات هي التي جعلت الـرؤى السرديـة ، تتجرد من ذلك الغموض الذي كان يحيطها .

الرواية العربية

ولأهمية نـظرية « تـودوروف » حـول الـرؤية السردية ، فإننا لن نحاول اكتناهـها فحسـب ، وإنما سنسعى إلى تـوضيحها بـالأمثلة المستلهمة من الرواية العربية .

إن هاته النـظرية مثبتـة تحـت عنـوان « **مظاهر الحكي** »[١٩] ، حيث تتبين من خلالها الرؤى السردية ، وهي خاضعة للتراتبية التالية :

١ ـ إن الرؤية الأولى ، وهي الرؤية « من الخلف » يثبتها « تودوروف » ـ كما أشرنا ـ وفـق الصيغة التالية : السارد > الشخصية .

إن هاته الصيغة الـتي يستخدمها بـكثرة **الحكي الكلاسيكي** تجعـل السـارد أدرى بالأشياء من شخصياته ، بيـد أنـه لا ينشـغل بتفسير كيف تملك هاته الدراية : إنه يبصر عـبر جدران المسكن كما يبصر عبر جمجمة بطله ، لذا فشخصياته ليست لديها أسرار تخفى عنه .

إن سمو السارد ، يمكن أن يتبـين ، إمـا في معرفة الرغبات اللاشعورية لشخصية ما ، وإمـا في معرفة متـواقتة لأفـكار مجمـوعة مـن الشخصيات ، وإما ببسـاطة في سرد الأحـداث التي تدركها شخصية واحدة .

ولعل هـذا مـا جعـل النقـد الأنجلوسكسونـي ، يضع كمقابل لمفهـوم الـرؤية « مـن الخلف » ، مفهـوم الحـكي بسـارد كلي العلم .

ويمكن توضيح هاته الرؤية من خلال المتواليات السردية التالية :

معرفة على مستوى الظاهر

ومسح الشيخ لحيته مـن رشـات العـطاس وعاد يخاطب ابن أخيه :

ـ أشياء وأشياء ، حـدثت يـا بنـي لـكننا لا ننساها عندما أطلقوا سراحنا كانت الأسـلاك قد أحاطت بكل أراضي القرية إلا قليلاً .

كم نصـحت إذ ذاك والـدك أن يـتريث ، لكنه رفض ، فاكتسحوا كل أرضه ، وأنا أيضـاً اغتصبوا أجـود أراضي . . لـكن المرحـوم لم



يتريث ، وتوقف ثم قال :

ـ لعل والدتك حدثتك بذلك .

معرفة على مستوى الباطن

ويتناهى إلى قاسم صوت أمه :

ـ عمك كان ماكراً . اغتصبوا أرضه ، حقاً ، لكنه تآمر مع القائد على أراضي الآخرين ، أخذ الفرنسيون أرضه . . وساعدوه على اغتصاب ما تبقى من أراضي الفلاحين . . وبذلك أصبح عنده أكثر مما كان يملك .

أما والدي فكان من طينة أخرى ، فقيهاً مستقيماً . . لم يتخذ خطة ماكرة ، فسجنوه ، ولم يكتفوا بذلك وقتلوه[٢٠] .

إن السارد من خلال معرفته الظاهرية والباطنية للشخصيات ، يعرف ما تبديه وما تخفيه ، ومن ثمة فهو كلي المعرفة ، وهاته الكلية تجد تبريرها في كونه يتتبع مجرى الأحداث على مستويين :

١ ـ **مستوى الظاهر :** حيث إنه على دراية بما يتلفظ به « الشيخ » .

٢ ـ **مستوى الباطن :** حيث إنه على دراية بما يخفيه « قاسم » أو بالأحرى بما يجول في خاطره .

٢ ـ أما **الرؤية «مع»** المثبتة وفق الصيغة التالية : السارد = الشخصية ، فهي شائعة في الأدب ، وبالأخص **الأدب المعاصر** ، إنها تجعل معرفة السارد على قدر معرفة الشخصيات ، ومن ثمة فإنه لا يستطيع أن يقدم توضيحاً للأحداث قبل أن تقدمه تلك الشخصيات ، أو بالأحرى « إنه يكتشف مع الشخصية في نفس الوقت سير الأحداث شيئاً فشيئاً ، فلا هو يراوغ القارئ ، ويتركه في الغموض والألغاز ، ولا هو عليم يغوص إلى أعماق النفوس ويعلل ويفسر ، بل يترك الأشياء والأحداث تتضح رويداً دون تكلف حتى لكأن القارئ حاضر « مع » السارد يرى بعينه في نفس الوقت ما يجد على الساحة[٢١] » .

ويمكن للحكي حين توظيف هاته الصيغة أن يقام بضمير المتكلم ، أو بضمير الغائب وفق رؤية للأحداث لنفس الشخصية ، كما يمكن للسارد أن يتتبع شخصية واحدة أو مجموعة من الشخصيات .

ولتوضيح هاته الرؤية نستحضر المتواليات السردية التالية :

« كانت وجوه الرجال وهي تطل من فوق شديدة القسوة والصراحة ، ولحظات والسيارة تقترب ثم تتوقف ، تأكد الجميع أنهم لم يجدوا عساف . . لقد غمرته الرمال وابتلعته الأرض ، ولم يبق منه أثر ، لكن فجأة ، والمختار يمسك الحديد الأمامي ، ويهزه بعصبية أول الأمر ، ثم يصرخ ويشير إلى الخلف .

ترك الرجال يستديرون حول السيارة . . التفت بصلابة وبطء . . حتى إذا نظروا ورأوا عساف هكذا . . صرخ ، كان صراخه أقرب إلى الشتيمة :

ـ راح . . عساف . . ونحن الذين قتلناه . . راح الغالي .

كان منظراً فاجعاً مليئاً بكآبة خرساء ، وأقرب إلى عدم التصديق . . كان عساف في قاع « البيك آب » ، كان هناك ، كان يابساً متخشباً ، وقد تقلصت عضلات وجهه ، وبدت على أطراف الشفتين ابتسامة هي مزيج من الألم واليأس والسخرية ، وبدا كأنه يريد أن يتكلم[٢٢] .

إن هاته المتواليات السردية تجعلنا قبالة لحظتين سرديتين :

١ ـ **لحظة عرضية :** لا تدوم طويلاً .

٢ ـ **لحظة فجائية :** تفند اللحظة الأولى .

إن اللحظة الأولى تتمثل في التأكد من عدم العثور على عساف ، أما اللحظة الثانية فتتمثل في العثور على عساف اليابس والمتخشب ، ومن ثمة فهاته اللحظة تفند اللحظة الأولى لكونها تجد تبريرها ، في مثول جثة عساف قبالة أنظار الشخصيات ، ولعل هذا التفنيد هو ما جعلها مفاجئة .

جلي إذن ، أن معرفة السارد على قدر معرفة الشخصيات ، فهو لا يستطيع أن يقدم توضيحاً للأحداث قبل أن تقدمه تلك الشخصيات ، لذا فهو يتساوى في المعرفة معها .

ولعل هذا التساوي يمكن أن يجد تجليه الملموس أيضاً ، كلما نابت شخصية عن السارد في سرد الأحداث :

« ذات يوم قررت أن أقضي طوال بعد الظهر في مراقبة زوج من الغربان ، كان لهما عش على شجرة جوز في نهاية البستان المجاور للبيت الذي أسكنه . . مثل هذه العملية لا تروق لإنسان آخر ، وربما لم تكن تروق لي لولا حالة الضجر التي ملأتني في تلك الفترة ، بعد أن سمعت قصة عن رجل احترقت زوجته ، وكان يسكن في حينا . والقصة خلفت أسى كبيراً في نفوس الكثيرين وقتاً طويلاً ، ليس حزناً على المرأة المحترقة فقط ، بل لأنها تركت ستة أطفال ، كانت الكبيرة لا تتعدى العشر سنين . ورغم أن الحادثة كما رواها الناس كانت قضاء وقدراً ، فإن همساً انتشر في وقت لاحق ، يؤكد أن المرأة حرقت نفسها ، بعد أن يئست من الحياة القاسية[٢٣] » .

إن هاته المتواليات السردية ، التي تضمنتها رواية بسارد غير متجانس الفضاء الحكائي ، تعد ملفوظاً لشخصية تنوب عن السارد في سرد الأحداث ، وذلك لتقر بصدق ما يحكيه ، وبالتالي تبرير الرؤية « مع » .



الرؤية السردية في الرواية

٣ ــ في حين نجد الرؤية «من الخارج» مثبتة وفق الصيغة التالية : السارد < الشخصية ، في هاته الحالة الثالثة ، يكون السارد أقل معرفة من أية شخصية من الشخصيات ، لذا فهو لا يصف إلا ما يرى ، وما يسمع من هنا يتبين أنه لا يلج أي وعي .

إن هاته الرواية يمكن اكتناهها من خلال المتواليات السردية التالية :

« يلزمني وقت كي أفهم ما حدث ، كي أوضح هذا الذي يحدث ، ليس ليلاً ولا نهاراً . ليس صيفاً ولا شتاءً . هو الآن وفيما بعد ، إنه حالة خاصة من حالات الصحراء .

يبدو أنني ممدد على سرير أبيض . تحت سقف أبيض داخل هدوء هو الآخر أبيض . ومن المكان تخرج روائح بيضاء [. . .] . قلت للمرضة التي حضرت : متى أستطيع الخروج من هنا ؟

ــ قالت : متى شئت .

ــ قلت : ولكن هل يحق لي الخروج .

ــ قالت : يحق[٢٤] .

إن الرؤية «من الخارج» ، التي لم تستخدم في الرواية بطريقة منتظمة إلا في القرن العشرين ، تتجلى من خلال المتواليات السردية الواردة ، في كون السارد يجهل الأبعاد «الزمكانية» التي تؤطره ، ويجهل مصيره ، ولعل هاته الرؤية تتضح بجلاء في استفساراته ، إذ أنها تدل على أن معرفته دون معرفة الشخصيات .

ملاحظات عامة

١ ــ إن الرؤى الأدبية لا تتعلق بالإدراك الواقعي للقارئ الدائم التغير ، والخاضع لعوامل خارجية عن العمل الأدبي ، وإنما تتعلق بإدراك محايد لذلك العمل[٢٥] . ومن ثمة ينبغي أن لا نرى في السارد والشخصيات أشخاصاً واقعين من لحم ودم ، إنهم كائنات من ورق[٢٦] ، وبالأحرى دلائل لا تجد تبريرها إلا على مستوى البنية الدلالية للحكي .

٢ ــ إن الرؤية السردية تترجم دائماً العلاقة بين السارد والشخصية ، انطلاقاً من علاقتها بالمعرفة ، أي بكم المعلومات المرسلة عبر الخطاب ، **وهذه العلاقة يمكن أن تكون من ثلاثة أنماط : السارد العارف بكل شيء ، السارد المتساوي المعرفة مع الشخصية ، والسارد الأقل معرفة من الشخصيات**[٢٧] .

٣ ــ إن نظرية «**تودوروف**» حول الرؤية السردية ، أضحت تستقطب اهتمام جل الدارسين ، لأنها تتسم بالبساطة والوضوح ، كما أن مفاهيمها المستلهمة من نظرية «**جان بويون**» يمكنها أن تشتغل في علاقتها المحايثة بالرواية دون استبعاد أية رؤية من الرؤى السردية التي سبق ضبطها .

الهوامش

(١) الدكتور عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، سلسلة عالم الفكر ، الكويت ، ع ٤٤ ، أغسطس (آب) عام ١٩٨١ م ، ص ١٤ .

(٢) Gerard Genette, Nouveau discours du récit, Coll, Poétique Ed., Seuil, Novembre 83, P. 44.

(٣) Voir á ce Sujet: Wayre C. Booth, Distance et point de vue, (in) Poétique du récit, Coll, Points, Ed., Seuil, 1977, P. 85 - 112.

(٤) Roland Bourneuf et Réal Ovellet: L'univers du roman, Puf, Paris, 1985, P. 83.

(٥) Ibid, P. 81.

(٦) نقلاً عن إنجيل بطرس سمعان : «وجهة النظر في الرواية المصرية» ، مجلة فصول ، القاهرة ، ع : يناير (كانون الثاني) ، فبراير (شباط) ، مارس (أذار) ، عام ١٩٨٢ م ، ص ١٠٣ .

(٧) إنجيل بطرس سمعان ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٨) Tzvetan Toborov, Les catégories du récit littéraire (in) communication, 8, Coll, Points, Ed., Sewuil, Paris, 1981, P. 152.

(٩) Roland Bourneuf et Real Ovellet, P. 83.

(١٠) O. Ducrot et T. Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Coll, Points, Ed., Sewuil, 1972, P. 411, 412.

(١١) Ibid, P. 411.

(١٢) توما شفسكي ، نظرية الأغراض (في) نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ترجمة إبراهيم الخطيب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ، عام ١٩٨٢ م ، ص ١٨٩ .

(١٣) Tzvetan Toborov, Qu'est-ce que le structuralisme, 2 Poétique, Coll, Points, Ed., Sewuil, 1968, P. 59, 60.

(١٤) Ibid, P. 59, 60.

(١٥) سعيد يقطين ، مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي ، مجلة آفاق ، الرباط ، ع ١ ، مارس (أذار) ، عام ١٩٨٤ م ، ص ٩٣ .

(١٦) Roland Bourneuf et Réal Ovellet, P. 85, 86.

(١٧) Gerard Genette, Discours du récit (in) Figures III, Coll, Poétique, Ed., Sewuil, Paris, 1972, P. 206, 207.

(١٨) Ibid, P. 208.

(١٩) Les catégories du récit littéraire, P. 147, 148, 149.

(٢٠) مبارك ربيع ، رواية الطيبون ، الطبعة الثانية ، عام ١٩٨٠ م ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .

(٢١) فرج بن حسين ، تحليل نص حسب المنهج الإنشائي ، مجلة الحياة الثقافية ، تونس ، العددان ٣٦ ، ٣٧ ، عام ١٩٨٥ م ، ص ٥ .

(٢٢) عبد الرحمن منيف ، رواية النهايات ، دار الآداب ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٧٨ م ، ص ٨٩ .

(٢٣) المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٦ .

(٢٤) حيدر حيدر ، الوعول ، دار ابن رشد ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٧٨ م ، ص ٧ .

(٢٥) Qu'est-ce que le structuralisme, 2 Poétique, P. 57.

(٢٦) Roland Barthes, Introduction à l'analyse structurale des récits (in) communication 8, Coll, Points, Ed., Sewuil, Paris, 1981, P. 25.

(٢٧) عبد الحميد عقار ، وضع السارد في الرواية بالمغرب ، مجلة دراسات أدبية ولسانية ، الدار البيضاء ، العدد ١ ، السنة الأولى ، خريف عام ١٩٨٥ م ، ص ٢٦ .

قصة قصيرة

بقلم : درويش الزفتاوي

للدنيا وجهٌ آخر

كانت الشمس تتوسد كبد السماء .. وتلقي بأشعتها المحرقة على أرض الصحراء .. صارت الرمال ساخنة ، الماء كاد ينفد .. وأيضاً الطعام .. الجميع أحس بالضجر ، يحملونها وحدها اللوم .. سيهلك الجميع لا محالة .. حتى الدليل يبتلع لعابه الذي جف في حلقه بصعوبة .. ادعى أنه يعرف مسالك الصحراء .. صدقته هي .. وصدقه الجميع بالتبعية . قال : إنه يعمل دليلاً منذ ثلاثين عاماً . لهجته البدوية وملبسه لا يدعان مجالا للشك فيما يقول .

أحست بالذنب نحو الجميع .. هي التي أتت بهؤلاء المهندسين المساعدين ، والعمال ، وسائقي السيارات .. كلهم جميعاً .. بذلت لهم العطاء .. أنفقت الكثير .. ولكن ما ستعثر عليه سيكون عوضاً عن ذلك .. سيحقق لها المجد .. سوف تتحدث الصحف عنها .. وفي الخارج ستقول الإذاعات ، والتلفزيونات ، بل ربما يستضيفونها لتقول هي للجماهير عن اكتشافها العظيم ، وحينما يقدمها المذيع ، نعم الأفضل أن يكون مذيعاً ، لا مذيعة سيقول :

– سيداتي .. سادتي .. أقدم لكم فتاة في ريعان الشباب .. مهندسة .. شابة لم تتجاوز السادسة والعشرين من عمرها ، أصبحت عالمة كبيرة ، ومكتشفة آثار عظيمة .. إنها المهندسة سامية بخيت التي اكتشفت جثمان الإسكندر الأكبر .

لو يتحقق هذا الحلم .. لو نعلم أين نحن ، وأية طريق نسلك ؟ .

صاح أحد السائقين :

– وقود السيارة كاد ينفد .. لم يبق معي سوى ما يكفي للسير بها بضعة أمتار .

قالت :

– انظر إلى (الجراكن) التي في مؤخر السيارة .

– استنفدت ما فيه عن آخره .

– سنضطر أن نترك السيارة في الصحراء .

– إذن ، انقل حمولتها إلى السيارتين الأخريين .

قال الدليل وهو يلهث :

– يجب أن نشرب الماء بحساب .. فلو نفد قبل وصولنا إلى أحد مضارب البدو لهلكنا جميعاً .

قال مهندس شاب :

– يخيل إليَّ أننا ندور حول أنفسنا .. نسير ثم نعود إلى المكان الذي انطلقنا منه .. والمصيبة أن معنا دليلاً .

قال مهندس آخر :

– ليتنا لم نسمع كلام سامية .. مشينا خلفها .. فساقتنا إلى الموت .

قالت سامية :

– ألست معكم .. وسيصيبني ما يصيبكم ؟ .



توقف السائق الثاني عن المسير .. فتوقفت القافلة .

ـ ما الخبر؟

ـ يبدو أننا سنضطر أن نترك سيارتي في الصحراء

ـ أيضاً ـ لقد نفد الوقود .

ـ انقل حمولتها إلى السيارة الأخرى .

ـ ليس ثمة مكان .

ـ تخلص منها .

ـ معدات هامة ..

ـ دعها في السيارة ، واتركها .

ما زالت الشمس تستبيح الأجسام .. فتهلكها .. الموت يحلق على الرؤوس .. قال أحدهم :

ـ ما أبشعها نهاية ! !

نظرت سامية إلى رفاقها مشفقة . غمرها الإحساس بالحيرة .. ماذا تفعل ؟ كانت جرأة منها أن تخوض هذه التجربة .. تجربة لا يفكر في خوضها الرجال العتاة في اختراق الصحارى ، وهؤلاء الذين أتت بهم للموت .. أتتركهم يلاقون حتوفهم وهم بعيدين عن أهاليهم .. صحيح أنها ستموت معهم ، ولكن ما ذنبهم هم ؟ .

صاح سائق السيارة الأخيرة :

ـ يبدو أننا سنموت هنا . سنموت لا محالة .

ـ لماذا توقفت ؟

ـ اهبطوا جميعاً .. نفد الوقود .

ـ ما هذا .. أنسير في الصحراء المحرقة على أقدامنا ؟ ؟

ـ وماذا نفعل غير ذلك ؟

بكت معتذرة للجميع .. فنسي الجميع محنتهم ، وأخذوا يواسونها .

ـ لا عليك .. كلنا في الهم شركاء .

ـ فلنحمل حاجياتنا الضرورية ونسير .. حتى يهدينا الله سبحانه وتعالى إلى مكان به بشر نأوي إليه .

ـ فليحمل كل منا شيئاً .. الماء .. الطعام . والمعدات الهامة .. ما أفظع هذه اللحظات .. يبدو أن الزمن قد توقف عن الحركة .. الشمس لا تريد أن تغيب .

قال حامل الماء :

ـ الماء ثقيل . لا أستطيع حمله وحدي .. فليساعدني أحدكم .

رفض الجميع .. كل منهم يحمل ثقلاً من المعدات .

ـ إذن سأسكبه على الرمال .

ـ لا تفعل . وإلا هلكنا وأنت معنا .

قال مهندس شاب :

ـ الحمل ثقيل سأتخلص من بعضه .

قالت سامية :

ـ سأتخلص من بعض ملابسي .. فهي تسلخ جلدي . فعذرة .

ـ أنت أختنا .. لا عليك .

ـ يا حامل الماء .. أسكب بعضه على رأسي .. رأسي يكاد ينفجر .

ـ صب منه بقدر .. فالماء هو الحياة في هذه الصحراء .

ـ الماء حين صب على الرمال تبخر . انظروا إلى الدخان الذي يتصاعد من الرمال .. ربما أشعلها الماء .

ـ سأتخلص من قطعة أخرى من ملابسي .

ـ افعلي ما يحلو لك .

ـ كلنا أنهكت قوانا . ما عدا (الدليل) نحيف الجسم .

ـ اسكب عليَّ بعض الماء أرجوك .. أحس بوجهي قد تشقق .. وشفتاي جفتا . لا أستطيع ابتلاع لعابي . قبل أن تسكب الماء عليَّ ، اسقني ، ثم اسكبه عليَّ أثناء شربي .

ـ تعرضين جسدك عارياً للشمس .. سوف يلتهب جلدك ..



ـ اسكب عليَّ ماء أرجوك .

ـ نفد الماء .

ـ دنت المنية منا جميعاً .

ـ لا أستطيع السير بعد الآن . تعبت وجلدي احترق .

ـ فليتخلص كل منا من بعض ملابسه .. تسلخت جلودنا .

أصبحت خطوات الجميع ثقيلة .. بعضهم يواصل السير بصعوبة .. والبعض يخطو خطوة للأمام ، ثم يتقهقر خطوتين .

ـ دعوني أرقد هنا .. لا أستطيع السير خطوة واحدة .. فقط اعطوني بعض ملابسكم لأستظل بها من أشعة هذه الشمس الجبارة .

ـ كيف نترك فتاة في الصحراء وحدها ؟

ـ لا فرق في هذه الصحراء بين فتاة ورجل .. كل سيلاقي نفس المصير .

ـ أبشروا .. نجونا .. نجونا .

ـ الدليل يهذي .

ـ انظروا إلى هناك .. في نهاية مرمى البصر ..

ـ يا الله .. إنها خيام .

تصايح الجميع مهللين من الفرح .

ـ خيام .. خيام .. هناك ناس .. لا بد أن يكون بها أناس .

ـ أظنها مضارب بني سهلوب .. سنجد لديهم الماء والطعام .. وربما الوقود أيضاً .

- انهضي يا سامية . يجب أن نستجمع قوانا .. ونعدو حتى نصل إلى تلك الخيام .

- كتبت لنا أعمار جديدة .

- لا أستطيع ، ليس لدي قوة لأسير خطوة واحدة .

- أنتركها وحدها ؟؟

- احملها أنت إذن .

- أنا ؟ لا .. لا أستطيع .

- أتحملني أنت ؟

- لا .

- أنت إذن ؟

- لا .

- أنت أيها السائق ، وسوف أضاعف لك الأجر ؟

- لا .

- الحقيقة أن كل منا لا يستطيع أن يحمل نفسه إلا بصعوبة ، فكيف تتصورين أن يحملك أحد ؟؟

مال أحد المهندسين على زميله وقال :

- يجب ألا نتركها حية .

- ماذا تقصد ؟

- الأعراب لو عرفوا أننا تخلينا عن امرأة سيحتقروننا ، لأن شهامتهم تأبى ذلك .

- نقتلها وندفنها في الرمال .

ترامى حديثهما إلى أذنيها .

- كيف تفكران بهذه الوحشية .. أنسيتما أني أنا التي استأجرتكما .. وبذلت لكما العطاء ؟ .

- لا بد من التخلص



منك كي نعيش نحن .

- عش واتركني أعيش .

- الحياة للأقوى .. وأنت ضعفت .. خارت قواك .

- الضعف طبيعتي ، فأنا أنثى .

- لا نستطيع عمل شيء من أجلك .

- أنسيتما الزمالة ، والصداقة ؟ .

- سوف نجري نحو خيام الأعراب . فاجر معنا .

- لا أستطيع .

- إذن ، ستموتين .

- ارحماني .. واتركاني أموت وحدي في الصحراء .

- لن يرحمنا الأعراب .. إذا عرفوا أننا تركناك في الصحراء .

- أتخشيان الناس ، والله أحق أن تخشياه . ؟ وأنتم أيها العمال .. ألا تساعدوني لأبقى حية ؟

- يجب أن تموتي .

- وأنتم أيها السائقون .. ما رأيكم ؟

- لا بد من موتك .

- وأنت أيها الدليل .. ما رأيك ؟

الدليل ساهم .. ينظر إلى الخيام البعيدة ، بنظره الحاد . بإمعان .. لم يجب بكلمة .. ثم صاح :.

- فارس على جواد قادم إلينا .. نجوت يا بشمهندسة .

حملها الفارس على جواده وانطلق بها نحو الخيام .. أخذوا هم يتخبطون من التعب . حتى وصلوا .. الماء والطعام كثيران .. خير الله كثير .. أكلوا وشربوا حتى ردت أرواحهم في أجسادهم .

قال الدليل :

- ألست أنت هشاماً ابن الشيخ سهلوب ؟

- نعم أنا هو .

- وأنا عمك غنام . دليل هؤلاء الناس . كنت صديقاً لأبيك رحمه الله .. كم حملتك صغيراً .. بعدها علمت أنك رحلت إلى مصر لتتلقى العلم بها .

- نعم . أصبحت مهندساً زراعياً . ثم توليت مشيخة القبيلة ، بعد وفاة والدي .

قالت سامية :

- سنواصل البحث والتنقيب عن جثمان الإسكندر الأكبر ، فدلنا على الأرض التي بها آثار أيها الدليل .

تنحى الدليل جانباً .. همس في أذنيها .. مدت أعرابية عجوز يدها بشيء أسود اللون ..

- البسي هذه العباءة .. فلو كنت من بناتنا لمزق الرجال هذا الجسد الذي يلعقه الذباب .

بدت جميلة في الرداء الأسود .

تقدمت منه واجلة .. وقفت قبالته صامتة .. شخصية قوية .. لون عجيب من الرجال .. حارت كيف تشكره على ما قدم لها ولفريقها من معروف .. حتى المعدات والسيارات التي تركوها في الصحراء أتى بها وزودها بالوقود .

شجعها الدليل :

- أمامك طريق وعر .. لا بد من عبوره . وليس هناك من يساعدك سوى هشاماً .

أطرقت إلى الأرض تفكر .. أيكتفي بكلمة شكر ، نظير ما قدم وسيقدم ؟ لا بد من ثمن إذن . لا بد أن تحدثه ..

لهجته بدوية يرتدي زي أبناء البندر ، قميصاً كروهات ملون ، وسروالا أزرق .. تماماً

مثل أبطال أفلام السينما .

– علمت أنك الوحيد الذي يمكنك أن تمررنا من هذا الطريق الوعر . فهل تقبل أن تمررنا منه ؟ وتضيف إلى معروفك معروفاً آخر ؟ .

أجاب غير مكترث بكلامها .. وكأنه لم ير جمالها الأخاذ الذي يلعب بالقلوب :

– وماذا تعطيني كي أمرركم من هذا الطريق ؟

– سأعطيك نقوداً .. لدي منها الكثير . في حقيبتي هذه .

– هذه عملات ليست لها قيمة هنا في هذه الواحة .

– وكيف تتبادلون السلع .. البيع .. والشراء ؟ .

– نتعامل مع الأرض الخضراء التي خلف الخيام .. نخدمها ، فتعطينا أرزاقنا .

نظرت إلى نفسها متأملة ، تبحث عن شيء ترتديه ، ذا قيمة لتعطيه إياه .

– سأعطيك سواري هذين .

وأخذت تنظر إليهما بإعجاب .

– لست من النذالة بحيث آخذ سواريك .

– إذن أعطيك أي شيء ، أي شيء تريده .

أطرق برأسه إلى الأرض ، وقد ارتسمت على وجهه الوسيم مسحة من الغضب .. ثم رماها بنظرة ملؤها الاحتقار :

– سم هذا الشيء الذي ستعطيني إياه مقابل أن أقوم لك بهذه المهمة الصعبة .

أثارتها رزانته ، نظراته المحتقرة ، ذات النصال القاتلة .. ارتبكت .

– أنت رفضت النقود والذهب .. وأنا لا أملك بعدهما شيء . العبء ثقيل .. أنا مسؤولة عن حياة كل هذا الفريق .. منهم من كان سيزف إلى عروسه بعد أيام ، ومن له أولاد ينتظرون عودته .. لا بد من إنقاذهم .. بأي شكل .. بأية وسيلة ، ليس معي سوى ما سميته لك .. ماذا أعطيك إذن ؟

لم يجب بكلمة واحدة . أعيتها الحيل .. انتفضت فجأة :

– إن كنت تطمع فيما هو أغلى من النقود والذهب فلا تمني نفسك بأماني بعيدة المنال .. إنها لن تتحقق . موتي دون ذلك .

– لم أفكر فيما تعنيه .

انفرجت شفتاها عن ضحكة ساخرة :

– كيف ؟ ألست رجلاً ؟

– كل خصائص الرجولة أتمتع بها .

– إذن أنت كبقية الرجال . مثل كل من قابلتهم .. طماعون .

– من قابلتينهم ليسوا رجالا ! !

عجباً رجل غريب الأطوار .. يتظاهر بالعفة .. ولكن محال .. لا بد من مقاومته .. أرخصت إلى هذا الحد ؟ .. أنا التي : كانت الرجال تتقرب إليَّ في سبيل نظرة ود ، أو بسمة رضى .. زملاء العمل كانوا يتسابقون .. لينالوا شرف التحدث إليَّ .. وفي الحفلات التي كنت أحضرها .. في مناسبة ما : كان الرجال يرشقونني بنظراتهم الولهى .. وكلمات الغزل تترى على أذني .. وأنا لا أعيرها أي اهتمام .

عاد يردد قولته :

– من قابلتينهم ليسوا رجالا .

– أتقصد أنهم كانوا ذئاباً ؟ .. أيهم تقصد .. الرجال الزملاء أم الرجال في الحفلات ؟ .. لقد رأيت كثيرين ، حظوت لديهم بالإعجاب .

– لقد رأيت أحد وجهي الدنيا .

– إذن ، للدنيا وجهاً آخر ؟

– بالطبع .

– أنا سعيدة بلقائك .. لقد أضفت إلى معتقدي شيئاً جميلاً . ولكن هل لي أن أسألك : ما الذي يمكن أن أقدمه لك في سبيل أن تمررنا من هذا الطريق الوعر ؟

– كلمة صدق . كلمة فقط .

– هذا ثمن بخس . إن كلمة واحدة لشيء هين للغاية .

– ولكن لا تنسي أنها كلمة صدق .

– سأكون صادقة معك . فسل ما بدا لك .





ـ لن أسألك أنا . هي التي ستسألك .

ـ هي ؟ ومن هي ؟

ـ ابنة عمي .

ـ وما شأنها هي ؟

ـ ابنة شيخ القبيلة التي تسيطر على الواحة التي ستمرون منها .. هي تحبني .. وأنا لا أحبها ، ولا أكرهها .. من أجلي ستكف عنا رجال أبيها ، حتى لا يتعرض لنا أحد منهم . ولكن قبل أن أمرركم ، ستوجه إليك سؤالا .. فكوني صادقة معها حتى تنجين أنت ورفاقك وتمرون بسلام .. تذكري أن تكوني صادقة مع ابنة عمي حتى لا تعرضيني معكم للهلاك .

انحدر الركب على طريق الواحة ، وتقدمت ابنة شيخ القبيلة من هشام وكان يركب جواداً .. ويتقدم الركب ، أوقفت جوادها أمام جواده :

ـ من هؤلاء يا ابن العم ؟

ـ هذه مهندسة آثار ، ورفاقها ، ومساعدوها ، وعمالها . يريدون الذهاب إلى القاهرة بعد أن ضلوا طريقهم في الصحراء .. ولكنهم يخشون المرور من رجالكم ، بعد أن سمعوا عن أفعالهم .. لجأت إليَّ لأحميها .

ـ إذن دعها لي لأسألها سؤالا .

تنحى هشام بجواده عن الركب .

تقدمت ابنة شيخ القبيلة من سامية ، ورجال القبيلة يحيطونها بخيلهم ، وهم مدججون بالسلاح . وقالت :

ـ هل تحبينه ؟

ـ من ؟ من هو ؟

فأجابت الفتاة الملثمة نصف الوجه ، وقد بدا نصفه العاري من اللثام كنصف القمر ليلة تمامه .. وقد حجب الغمام نصفه الآخر . صاحت ناهرة :

ـ أنا التي تسأل وليست أنت . أتحبين هشاماً ؟

مادت الأرض تحت أقدام سامية .. حارت كيف تجيب .. لقد أحبته بالفعل .. ولو أنها قالت كلمة الصدق هنا لانتقمت منها ابنة عمه ، لأنها تحبه ـ كما أخبرها بذلك ـ وتغار عليه بالطبع .. قررت أن تكذب . وتخفي الحقيقة . ثم قالت :

ـ لا . لا أحبه .

تجهم وجه ابنة شيخ القبيلة .. وصاحت في رجالها :

ـ ليضرب هشام خمسون سوطاً عقاباً له لإجارته الكاذبين .

أخذ رجال القبيلة يضربون هشاماً ، وهو جلد ، صابر .. لا يئن . ولا يتأوه .. ولكن الذي كان يئن ويتأوه سامية من أجل هشام .. وأخذت تصرخ :

ـ لماذا ؟ لماذا يضرب بهذه الوحشية .. دعوه بالله .. إنه لا يستحق ذلك . اضربوني بدلا عنه .

تقدمت وصيفة ابنة شيخ القبيلة من سامية وقالت :

ـ اعترفي لها بالحقيقة لتنقذيه .. لقد أمرت بضربه لتكشف حقيقة شعورك نحوه .

صاحت المهندسة :

ـ أحبه .. نعم أحببته لرجولته ، لعفته ... لمروءته .. أحبه ، أحبه .

صاحت ابنة شيخ القبيلة :

ـ ليرحل ابن العم مع حبيبته ، ورفاقها ، عن هذه الواحة .. لا أطيق أن أرى غريماً لي في حبه . فليرحلوا على الفور .

غادر الركب الواحة . وسار حتى ابتعد عنها .

تقدم هشام من المهندسة .. وكان يبدو عليه الإعياء .. ويحاول أن يكتم آهاته من آلام جراحه الناتجة عن الضرب .

ـ أستودعك الله .. لقد أديت دوري ، ومررتكم بسلام .

ـ ما هذا ؟ أتتركنا ؟ لقد أحببتك .

ـ أعلم ذلك منذ بداية لقائنا .. ولكنك أخفيت الحقيقة فعرضتني للهلاك .

ـ خشيت أن أغضبها .

ـ بل خشيت على نفسك .

ـ ألم تحبني أنت أيضاً ؟

ـ لا ، لم أحبك .

أطرقت برأسها إلى الأرض حزينة . ثم قالت :

ـ ولماذا لم تخبرها بذلك ؟

ـ لأنها لم تسألني ، وسألتك أنت ؟

ـ ما أعظمك .. أتفعل كل هذا من أجلي وأنت لا تحبني .. ؟

ـ ولا أكرهك .

ـ أيقنت الآن أن للدنيا وجهاً آخر .. لكنه غير قبيح .

* *

قصة قصيرة

بقلم : د. محمد مرتاض

بستان بلا عصافير

رأيتها في شرفة المنزل وهي تتدلى على حبل الملابس لتجمع ما جف منها ... كانت ترتدي ثوباً أحمر حريرياً، تركت لشعرها العنان ليضل في متاهات جسم مكتنز، ويحجب الجيد والكشحين، ثم تنتثر بعض خصلاته لتداعب صدرها المرمري الناعم ... سألت عنها، أنبأك أحد جيرتها أنها **لطيفة بنت سليم** ... ظللت ترصد حركاتها وسكناتها ... عرفت عنها الكثير بعد ذلك .. راقبتها في خفاء . ازداد إعجابك بها، فاقتنعت بالزواج منها .

إن هي إلا أشهر معدودات حتى وقع القران، استغرقت شهراً لا تفكر في غير نفسك وإشباعها منها، ثم غدوت تتمنى ما يتمناه كل رجل ويكون ... هناك ولد، أو بنت، أو أكثر، تمتلئ ساحة منزلنا أنغاماً حلوة، وتنقلب صحارينا إلى جنة ساحرة ...

وطال الانتظار ... لا أمل في الخصب ... قد يكون الزوج هو العقيم، بيد أن أصابع الاتهام بدأت تشير إليها هي ... كانت تتمنى في نفسها أن تكذب هؤلاء جميعاً بانتفاخ بطنها ... أحرقتها الغيرة من النساء اللواتي تلتقي بهن في مناسبة أو أخرى ... حز في نفسها كلام الأخريات، انصرمت من أيامها بنات الأمل، انسلت من عوالمها نجوم الهناء، تبددت شموس ثغرها، تغيمت سماء سحنتها ... ذبل وردها، ركد ماء الشباب في وجهها، وتجعدت تقاسيمها شيئاً ما ... سمعت بتطبيب بعض العجائز المحتالات، أوشكت أن تقع في فخاخهن ... قال لها الحزن الذي اقتحم عليها غرفتها بدون استئذان : تريدين أن تعرفي كم سنة مرت على زواجك ؟! ... هي باختصار سنوات طويلات .

جلست ليلاً إليها وهي في قميص النوم، بدت لك كشجرة بلوط عجوز، لا أثر لشذا الفاكهة في أوراقها ولا في أفنانها .. أردت أن تقول شيئاً ما، فقد طال جلدك، وامتد زمان انتظارك، قلت لها :

- إيه، كم تمضي الأيام بسرعة ! ... إن أحداً لا يصدق بأننا تزوجنا من عشر سنوات، لولا أن الصباح نبه ليلي فغدا أغلس ! ...

أدركت فحوى عبارتك، إنها تلميح لها بعدم الإنجاب، عرفت بحاستها السادسة أنك تروم الأولاد، ناجت دواخلها : (لماذا لا تكون شجاعاً وتخاطبني بصريح العبارة ؟ ... تقول لي بدلا من التواءاتك المكشوفة، لو كنت كسائر النساء، لكان ولدنا الأول في الثامنة من عمره، ولكان الآن تلميذاً في السنة الثالثة على الأقل ...)

ارتجفت يدها وهي تقدم لك كأس الشاي ... انفلت منها .. لطخ الأريكة ... انتثرت منتفضة وهي تغالب إجهاشاً متذرعة بإحضار خرقة تجفف أثر الشاي ... أمسكتها من يدها وقلت لها متجاهلاً وأنت تعلم علة سقوط القدح :

- لا علينا من التجفيف .. استريحي، وسأقوم أنا بسقيك الشاي !.

تهالكت عليك ... لم تملك نفسها هذه المرة، لا حدود للعبرات التي تسيحها، طيبت خاطرها :

- ما يبكيك



يا حمقاء ؟ ! ... من أجل إهراق كأس تقيمين كل هذا النحيب ! ...

آثرت الصمت ... حاولت أن تبعدك قليلاً عن الموضوع، قالت بصوت متهدج ووجهها سحابة ملفوفة بين يديك :

- أنا متعبة ! ...

وجدت ألسنة السوء مجالا رحباً للكلام، تزوج حموها بعدها بسنوات ست، زوجه لا تسعها الفرحة بعد أن ولد لها ولد ...

حتى تنسيها قليلاً ما أجج النار في فكرها، وأقض مضجعها في هذه الليلة، استيقظت مبكراً، لن تتوجه إلى معمل الجلد، لقد سئمت العمليات الرياضية، والمراقبة، والتكشير في أوجه العمال ... كنت دائماً تريد الإنتاج لا تقنع بالملايين في الشهر ... ماذا ستجني من كل هذا ؟! ... بل ماذا خسرت مقابل هذا ؟! ... كرهت أكل الخادم، تقيأت طبخ المطاعم ...

أيقظتها في حنان، لاحظت أنها غير متحمسة للجولان، فقلت لها :

- أرجوك .. لا تنغصي علي يومي .

أذعنت لك مكرهة متثاقلة ،



امتطيتما السيارة ووجهتكما مجهولة ؟

ــ إلى أين قررت أن نذهب ؟

ــ إلى حيث تحبين وترغبين .

ــ لا أحب شيئاً ولا أرغب في شيء ... حسبنا جولة قصيرة .

ــ لا ... لا ... لا بد من الابتعاد .

ــ كما تشاء ! .

ــ ما رأيك في حمام (بغرارة) ... بيننا وبينه مائة وستون كيلومتراً ؟ .

إذا شئت ! .

عجباً لها ! ... لم تفد فيها كل أدوية صيدليتك ... ازدادت شحوباً ، ازددت أنت عنها إعراضاً ... كرهت اليوم الذي عرفتها فيه ... لم تعد وردة نضيرة في بستان ، إنما صارت شجرة دفلى ، منظرها جميل ، وطعمها مر خبيث ! .. أحست بذلك ، بالغت في الزخرفة والطلاء لسحنتها ... صبغت شعرها أكثر من مرة ، نوعت تسريحات مشطه باستمرار . حتى لا تصدمها ، كنت تتملق وتخفي ألماً ممضاً ، وحسرة مريرة ، وأنت تجيب حين تطلب منك إبداء الرأي في جمالها وتجميلها :

ــ ستظلين أبداً كما كنت ! ...

قمت بتحميض صور مخيلتك ... لم تنس الرياضيات هذه المرة أيضاً ، إنما من أجل أن تعد عصافير بساتين الآخرين ! ... لم تعد قادراً على مقاومة جمال الألحان التي يبعثون بها ... توقف سيارتك قرب المدارس ، تترجل ، تقف بجانب الآباء الذين ينتظرون خروج أبنائهم ... تحملق إليهم طويلاً ، تسمع أهازيجهم وأصواتهم العذبة ... ينشرح صدرك ، يعرس فؤادك ، تغمرك فرحة عارمة تهتز لها معاطفك ، لكنها سرعان ما تحتضر في وليجتك ، وتغشاك سحب دواكن وأنت آئب إلى جبانتك البيضاء ... زخارف قصرك ، وحشته القاتلة ، خلاؤه الرهيب من أغنيات العصافير ، كل أولئك يذكرك بها ! ... الصمت ... الصمت ... الصمت ، معناه الموت .

قصة قصيرة

بقلم: محمود النجار

الأختيار



بعد صلاة العشاء وكالعادة التف المصلون حول المفتي **بكار بن قتيبة** ليلقي عليهم درسه .. توافد الناس إلى المسجد حتى ضاق على رحبه .

كانت الابتسامة تزين وجه الشيخ بكار وهو يجيب على الأسئلة التي توالت عليه .

ـ ماذا يقول مولانا فيمن اكره على فعل يأباه ؟

نظر الشيخ بكار إلى سائله الذي يقعد في ركن منزو .

ـ وماهو ذلك الفعل ؟

تردد الرجل قبل أن يقول :

ـ لقد شهدت على فعل لم أره لأن صاحب العمل اضطرني إلى ذلك وإلا فلا عمل لي عنده .

خرجت الكلمات غاضبة من شفتي الشيخ بكار على غير العادة :

ـ هذا ليس إكراهاً يارجل .. لقد شهدت زوراً .

ـ كان سيحرمني من العمل .

ـ أرض الله واسعة .

كان **أحمد بن طولون** يجلس على كرسيه العالي .. يرتدي ثياباً من الحرير وجهه الأحمر الذي ينبىء عن جنسه التركي .. انعكس ضوء القناديل على الخواتم التي تعج بها يداه .. لم يهبط من كرسيه كما كان يحدث عند استقباله للشيخ بكار .. انتفخت أوداجه وزاد وجهه الأحمر احمراراً وهو يقول :

ـ لماذا تأخرت ياشيخ بكار ؟ .. لقد أرسلت إليك منذ وقت .

خطا الشيخ بكار خطوتين نحو أحمد بن طولون والابتسامة لم تفارق شفتيه راسمة مع اللحية البيضاء القصيرة وقاراً ، ثم قال في نبرة هادئة :

ـ لقد منعني من هو أفضل منك .

ـ ماهذا الذي هو أفضل مني ؟

أجاب الشيخ في هدوء :

ـ الصلاة أيها الأمير .

تبدلت نبرة أحمد بن طولون وهبط من كرسيه واقترب من الشيخ

ـ أيها المفتي كنت أريدك في مسألة هامة .

ـ ليسأل الأمير أحمد بن طولون .

ـ أنت تعرف أيها المفتي أنني منذ توليت شؤون مصر وأنا أسير في الرعية سيرة العدل .

سكت أحمد بن طولون كي يصدق الشيخ بكار على كلامه .. ولكن الشيخ بكار نظر إليه كمن يقول له : « استمر » .

ـ وأنني أريد أن تتحد الأمة الإسلامية وتجتمع على خليفة واحد وأنت تعرف **الموفق** ولي العهد وسيرته .. وأريدك أن تفتي بخلع بيعته .

كانت نظرات الشيخ بكار قوية حتى أن أحمد بن طولون أحس وكأنها خنجر يخترق صدره .. ولم يستطع أن تستمر نظراتهما متقابلة فأجفل عينيه ثم قال :

ـ ماذا يقول الشيخ بكار ؟

ـ ليس لي أن افتي بخلع الموفق أيها الأمير .

ـ ماذا تقول أيها الرجل ؟

ـ ما سمعه الأمير .

ـ إني آمرك بذلك .

ـ لا استطيع أن أنفذ ذلك الأمر أيها الأمير .

ـ سأخلعك من منصبك .

تنازعت المتناقضات داخل الشيخ بكار .. مركز المفتي وقول الحق .. ما يقوله في المسجد ويأمر به الناس .. هل هو في موقف اكراه الآن ؟ أم له أن يختار ؟

كان صوت أحمد بن طولون هو القاطع لأفكار الشيخ بكار .

ـ أيها الشيخ أنت تعلم أنني اخترتك .. واليوم أطلب منك أن تفتي بخلع بيعة الموفق ولي العهد .

ـ أيها الأمير إن الأمر ليس بيدي .

ـ كيف ؟ إنها كلمة ستقولها أمام الناس وسأجزل لك العطاء .

ـ وما أصعبها من كلمة أيها الأمير .. أما عطاؤك فلست في حاجة إليه .

اشتد غضب ابن طولون ثم نادى بأعلى صوته .

ـ أيها الحراس .. خذوه إلى السجن .

سرى الارتياح في نفس الشيخ بكار عندما كان الحاجب يقوده إلى السجن .

أمراض الحيوان التي تصيب الإنسان

أ

الأكياس المائية ، أو داء المشوكات :

يعتبر مرض الأكياس المائية أو داء المشوكات بالغ الأهمية من الناحية الصحية ، لما له من خطورة كبيرة على حياة الإنسان . والطفيلي المسبب للمرض على نوعين :

Echinococcus Granulosus و Echinococcus Maltiloculans .

وهما يصيبان الإنسان والحيوان . وتكون الأعراض والعلاجات المرضية لهذه العلة غير واضحة لسنوات عديدة رغم سكون المرض داخل الجسم في أجزاء مهمة كالكبد والرئتين والمخ ، ومن هنا تأتي خطورته على حياة الإنسان .

يكتشف هذا المرض فجأة عن طريق الفحص الشعاعي للصدر ، أو الكبد ، أو العظام ، فتلاحظ الأكياس المائية الصغيرة في هذه الأعضاء ، وقد يُلاحظ كيس مائي كبير ، لا يتم علاجه إلا بالتدخلات الجراحية لعدم وجود عقاقير شافية لهذا المرض .

المضيف الوسطي الذي يحوي الطور اليرقي المصيب لهذا الطفيلي هو الإنسان ، والأغنام ، والماشية ، أما المضيف النهائي الذي يحوي الدودة البالغة فهي الكلاب ، والذئاب ، والقطاط . . حيث تعيش الدودة نفسها في أمعاء هذه الحيوانات .

الداء الأسود ، أو الحمى السوداء :

Leishmaniasis (Kala - Azav)

المسبب المرضي لهذا الداء عدة أنواع من الطفيلي ليشمانيا Leshmania وحيد الخلية ، يتكاثر بطريقة الانشطار البسيط داخل الخلايا البليعمية (Microphages) فيحدث تضخم في الأنسجة التي تحتوي على هذه الخلايا كالطحال ، والكبد ، والغدد اللمفاوية .

تنتقل العدوى بهذا المرض بواسطة لسعة حشرة صغيرة تسمى ذبابة الرمل أو الحرمل . وينتشر المرض في أغلب بلدان العالم ، وخاصة النامية . وتعتبر الكلاب ، والقطاط ، والمواشي ، والقوارض . . المخازن الرئيسية لطفيليات هذا المرض .

تبدأ الأعراض المرضية بالظهور تدريجياً ، بحيث لا يجلب النظر في بداية الأمر بسبب طول فترة الحضانة ، **والأعراض هي : حمى غير منتظمة** ، وفقر دم ، وتضخم تدريجي مستمر بالطحال والكبد .

يحتاج التشخيص الصحيح إلى الدقة ، علاوة على الفحوصات المخبرية السريعة ، وذلك لخطورة المرض .

بـ

داء البروسيلات Brucellosis :

ينتقل هذا المرض من الحيوانات ، وخاصة الحقلية إلى الإنسان ، والعامل المسبب هو أنواع عديدة من الجرثومة البكتيرية **Brucella** ، وتعتبر إفرازات الحيوان المصاب من أهم طرق انتقال هذا الداء ، حيث تسبب تلوث الأيدي المتلامسة مع هذه الحيوانات المصابة ، وتناول اللحوم والمنتجات الحليبية من تلك الحيوانات تنقل العدوى إلى الإنسان .

يسبب هذا المرض الإجهاض ، والعقم في إناث الحيوانات المصابة ، والتهاب الخصية في الذكور . **أما أعراض المرض في الإنسان فهي :** ارتفاع غير منتظم ومتقطع في درجة الحرارة وتعرّق شديد وقشعريرة والتهاب الغدد اللمفاوية . ويشخص المرض بالاختبارات السريولوجية في المختبر ، وكذلك عن طريق عزل الميكروب وزرعه .

هذا المرض له مسميات أخرى كالحمى المتموجة أو حمى مالطة أو حمى البحر الأبيض المتوسط.

داء البوسيات Leptospirosis :

أو **مرض الحلزونيات الرقيقة ، سببها :** أنواع عديدة من البكتيريا Leptospira . يصيب هذا الداء الحيوانات الإنتاجية ، والكلاب ، والغزلان ، **وتنتقل العدوى إلى الإنسان** عن طريق التلوث بإفرازات تلك الحيوانات المصابة .

يتميز المرض بظهور حمى مفاجئة وتقيؤ وآلام في البطن ويرقان عند

إصابة الإنسان بهذا المرض ، ويتم التشخيص باختبارات سريولوجية مع زرع الميكروب المسبب المعزول من المريض في الدور الحاد للمرض في المختبر .

ت

التدرن أو السل Tuberculosis :

يعتبر هذا المرض العامل المسبّب للكثير من الوفيات في مناطق عديدة من العالم ، وهو مرض معدي مزمن ، لا يمكن ملاحظته طبياً في بداية حدوث المرض .

وتعد **عصيات التدرن (T. B. Bacilli)** هي المسبّب المرضي لهذه العلة ، حيث تسبب حالات مختلفة من التدرن مثل : **Meningeal T. B. التدرن السحائي** ، أو **Miliary التدرن المدخني** ، أو **Pulmonary T. B. التدرن الرئوي .** الإنسان المصاب يعتبر المصدر الرئيسي لنقل العدوى ، بينما الحيوانات ، وبالأخص الماشية ، تعتبر مصدراً ثانوياً . وعندما تنتقل ميكروبات هذا المرض من الماشية المصابة إلى الإنسان فإنها تسبب الشكل السحائي ، والشكل المدخني في أغلب الحالات .

يستعمل الاختبار المعروف **تيوبركلين Tubercullntest** لتشخيص هذا المرض .

التيفوس Typhus :

ينتقل هذا المرض من القوارض إلى الإنسان عن طريق الحشرات ، وهو على أنواع مختلفة ، كالتيفوس القرادي Tick Typhus أو التيفوس الجرثوي Munne Typhus والمسبّب المرضي هو ميكروبات وحيدة الخلية تدعى بالركتسيا Rickettsia . ينتشر المرض في جنوب شرقي آسيا وجنوب أميريكا .

ج

الجمرة الخبيثة Anthrax :

هذا المرض يصيب المجترات بالدرجة الأولى ، ويليها بعد ذلك الإنسان والخيول . ويسبب هذا المرض نوع من البكتيريا الهوائية Bacillus Anthracis وهي إذا ما تعرضت إلى تأثير الظروف البيئية تحولت إلى بوغ (Spove) فيستطيع مقاومة الظروف الخارجية لسنين عديدة قد تدوم ٦٠ سنة في التربة .

نسبة الإصابة بهذا المرض عند الإنسان قليلة ، وهي على الأكثر تحدث بين العاملين في الحقول والمزارع ، حيث تنتقل العدوى من طريق الجروح والاستنشاق .

والجدير بالذكر أن تناول لحوم الحيوانات المصابة بالجمرة الخبيثة يؤدي إلى حدوث التهاب في الأمعاء يقضي على حياة الإنسان بسرعة .

ح

الحمى الصفراء Yollow Fever :

مرض فايروسي معدي وهو حاد ومفاجئ ذو خطورة شديدة ، وقد يؤدي إلى الوفاة بسبب التسمم البولي Uremla . فايروسات هذا المرض تنقلها أنواع عديدة من بعوض الغابات ، والبعوض المعدي AEDES .

يعتبر الإنسان والبعوض هو المصدر المباشر للعدوى . وقد تنتقل العدوى من القرود إلى الإنسان بواسطة نوع آخر من البعوض .

تتميز الحالات المرضية بالحمى والغثيان وتقيؤ وهلوسة ، إضافة إلى حدوث نزف دموي من الأنف والفم وتبرّز دموي مع يرقان شديد .

الفحص السريولوجي وتحليل الدم والكشف عن زلال البول في المختبر تعطي التشخيص الصحيح للمرض .

الحمى النزفية Hemorrhagic Fever :

وتسمى أيضاً بالحمى النزفية الكلوية ، وهي مرض فايروسي معدي حاد يتميز بحمى عالية وظواهر نزفية وتسمم بولي . المرض أكثر انتشاراً بين الأشخاص الذين يعيشون في الأماكن المزدحمة معدومة النظافة .

مصدر العدوى الإنسان والقوارض ، وبينهما حلقة من الحشرات تقوم بنقل العدوى .

خ

داء الخيطيات Filariasis :

المسبب المرضي لهذا الداء : ديدان طفيلية رفيعة شبيهة

بالخيط، ولهذا سُميت بالخيطيات، يـرقات هـذا الـطفيلي والمسـمى بالخُيَيطيات Microfilaria تعيش في الدم أو على الجلد، وتـظهر في أوقات معينة من اليوم، فمنها ما تظهر في الليل، ومنهـا مـا تـظهر في النهار، ومنها ما تظهر في أوقات محددة، وتعرف هذه الخاصية بالدورية.

أحد أنواع هذا الطفيلي يصيب الإنسان، والقطاط، والقرود، نـوع آخر يعود لهذا الطفيلي يسـبب المرض المعـروف **بـداء الفيـل** **Elcphantiasis**، حيث تتواجد اليرقات في الجهاز اللمفاوي مما يسبب انسداداً في الأوعية اللمفاوية ينتج عن ذلك تضخم بعض أجزاء الجسم كالساقين أو الذراعين.

تنتقل العدوى بواسطة أنواع معينة من البعوض.

ك

الدستوما الرئوية Paragonimiasis :

أو ديدان الرئة، في الغالب يصيب الإنسـان وينتشر المرض في **غرب إفريقيا، وجنوب آسيا، ووسط أمريكا**. الحيوانات اللواحم Carniuores تعمل كمخازن طبيعية للـديدان البـالغة لهـذا الـطفيلي، ويصاب الإنسان عند تناوله الطور اليرقي **ميتـاسوكايا** التي تتحـول في أحشائه إلى دودة بالغة فيخترق البريتوت ليستقر في متن الرئتين، وقـد يستقر في الدماغ أو الحبل الشوكي.

تتميز **أعراض المرض** بسعال حاد، وآلام في الصـدر بشـكل مزمن.

ل

داء الرشاشيات Aspergllosis :

مرض فطري واسع الانتشار، يصيب الإنسان وجميع الحيـوانات المستأنسة والطيور. الفـطر المسـبب لهـذا المرض هـو: Aspergillus Fumigatus يتميز بغزوه لأماكن بالغة الخطورة في الجسم، كأنسجة الرئة والكلية ليستقر فيها دون ظهور أية علامة مرضية.

التشخيص المبكّر لهذه العلة يتم بأخذ خزعة لـزرعها مـع إجـراء اختبارات سريولوجية. قد يتطلب العلاج إجراء عملية جراحية في الصدر في حالة وجود حالات مستعصية.

الرعـام Glanders :

هذا المرض يختص بالفصيلة الخيلية، ولكنه ينتقل إلى الإنسـان، نتيجة التعامل والتلامس والاحتكاك المباشر مع تلك الحيوانات المصابة. تحدث الإصابة بالبكتيريا Pseudomonas Mallei نتيجة التلوث بـالصديد الناتج من الندوب المتقيحة. قد يتعرض الإنسان عند إصابته بهذا المرض إلى الوفاة. تعمل اختبارات انتي جينية وسريـولوجية، لتشخيص هـذا المرض.

س

السعار Rabies :

مرض فايروسي حاد ومعدي، يصيب الخلايا العصبية للإنسان والحيوان، وهو واسع الانتشار في العـالم. يتميـز المرض بشـلل الجهـاز التنفسي، وقد يـؤدي إلى الـوفاة. **العـلامات المرضيـة الـمميزة هي:** تشنجات عضلية قوية في كافة أنحاء الجسم مع فقـدان الـوعي. المرض معروف باسم **داء الـكلب**، ويـدعى أيضـاً **بـرهاب الماء** **Hydrophobia**، أو الخوف من الماء.

مصدر العدوى هي الإفـرازات اللعـابية للحيوانات المسعورة. **تشخيص المرض** يتم بواسطة العلامات المرضيـة الـمميزة التي تـظهر على المريض.

داء السلمونيلات Salmonellosis :

مرض بكتيري ناتج من الإصابة **بعصيات السالمونيلا** التي تسبب عدة حالات مرضية كالحمى المعوية والتسمم الدموي والالتهـاب المعـدي المعوي الحاد. وينتشر المرض في العالم كحالات فردية وجماعية نتيجة تناول طعام ملوث.

المصادر الـرئيسية للعـدوى هـي: البيض، واللحـوم، والأسماك، والدجاج، وكذلك المعلبات الغذائية. وقد تحدث الإصابة في الإنسان نتيجة التلامس المباشر مع الحيوانات المصابة بالسالمونيلا، حيث هناك أنواع سريولوجية تصيب الإنسان والحيوان معاً.

العلامات المرضية هي: مغص شديد ومفاجئ، وإسهال وحمى وتقيؤ، وتعتمد شدة المرض على كمية التلـوث الغـذائي. مـدة حضـانة المرض على العموم هي ١٢ ساعة، في الحالات الشـديدة، نتيجـة لقصر فترة الحضانة قد يؤدي المرض إلى الوفاة.

ش

داء الشعرينات Trichinosis :

مرض طفيلي يقع في المقام الأول كمشكلة صحية للإنسان في الـدول

الأوروبية ، حيث عند تواجد أعداد كبيرة من هذا الطفيلي في الجسم قد تؤدي إلى الوفاة .

الطور البرقي يتواجد في عضلات جسم المصاب ونتيجة لذلك تتكون عقد متكلسة قد تبقى لعدة سنوات .

تشخيص المرض : لا يتم إلا بالفحوصات السريرية الدقيقة نتيجة لصعوبة اكتشاف الطفيلي في أنسجة الجسم .

داء الشعريات المبوغة Sporotrichosis :

داء فطري يصيب الإنسان والحيوان ، يتميز بتكون عقد لمفاوية متقيحة ، وينزل منها الصديد . قد تتعرض الأعضاء الداخلية إلى الإصابة ولكنها قليلة الحدوث .

يتم **تشخيص المرض** عن طريق أخذ عينات لزرعها في المختبر للتعرف على المسبب المرضي .

ص

مرض الصوافين Wool Sorters Disease :

وهو الشكل الرئوي من مرض الجمرة الخبيثة **Anthrax** الذي تقدم ذكره ، وينتشر عن طريق استنشاق سبورات العامل المسبب من الصوف أو الجلود الملوثة أو عند ذبح الحيوانات المصابة .

يتميز المرض : بالتهاب الرئتين والقصبات النزفي الشديد الذي يكون قاتلاً إذا لم يتم إسعاف المريض في الوقت المناسب وبسرعة .

يتم تشخيص المرض مختبرياً ، اعتماداً على الأعراض والعلامات المرضية الواضحة .

ط

الطاعون Plague :

وباء بكتيري شديد الخطورة ، يتصف بالتسمم والحمى والاضطرابات العصبية والهذيان والغيبوبة ، **وهو على عدة أشكال : Bubonic P. الطاعون الدبلي ، و Pneumonic P. الطاعون الرئوي ، والطاعون الإنتانمي Septicemic P. .**

المرض يعتبر مشكلة صحية كبيرة وخطيرة في بعض البلدان التي تفتقر إلى الخدمات الصحية الجيدة ، وتكتظ بأعداد هائلة من السكان ، لأن المرض يؤدي إلى نسبة وفيات عالية عند انتشاره .

المسبب المرضي لهذا الوباء يصيب الإنسان والفئران **ويتم نقل العدوى عن طريق البراغيث إلى الإنسان .**

يتصف الشكل الرئوي **Pnemonic P.** ، بنسبة وفيات أعلى من بقية الأنواع الأخرى .

وتشخيص المرض يتم بالطرق المختبرية اعتماداً على الأعراض الواضحة للمرض .

ع

عقد الحلابين Milkers Nodes :

أو الجدري البقري الكاذب ، وهو مرض فايروسي ينتشر عن طريق ملامسة الماشية المصابة بواسطة إصابات الضرع التي تتميز بتكرار عودتها عند الحيوان . في الإنسان تتطور الإصابة إلى بثور على اليد والشفتين وتحتاج وقتاً طويلاً للشفاء .

غ

الغنغرينا الغازية (موات غازي) Gas Gangrene :

هذا المرض المعدي البكتيري الحاد يصيب الإنسان والحيوان . . يتميز بوجود وذمة في منطقة جرح ملوث ذات ألم شديد مع نضح دموي مائي ووجود غاز في الأنسجة المصابة حيث يمكن ملاحظتها بواسطة أخذ صورة شعاعية . نسبة الإصابة في الإنسان قليلة ، كذلك الحيوان ، حيث يلاحظ انتشارها بشكل حالات مرضية متفرقة .

ف

داء الفطور الكرويانية Coccidioidomycosis :

مرض فطري على درجة كبيرة من الخمج ، ولكنه غير معدٍ ، يصيب الإنسان والحيوان . **يتميز المرض** بتورم الغدد اللمفاوية ، خاصة الصدرية ، وسعال وحمى وآلام في الظهر ، ولكن أغلب الحالات تكون غير واضحة المعالم . وهناك اختبارات جلدية وفحوصات سريولوجية في المختبر تعمل لتشخيص هذا المرض . تنتقل العدوى عن طريق الاستنشاق .

داء الفطور البرعمية Blastomycosis :

داء فطري مزمن يصيب الإنسان والكلاب والقطاط **ويتميز**

يتكون ورم وخراج وتقرح في الرئتين والجلد وأعضاء أخرى من الجسم . أغلب الحالات سجلت في **أمريكا الشمالية** . الفحوصات المختبرية مطلوبة لتشخيص المرض .

ق

داء القربيات Balantidiasis :

المسبب المرضي هو بروتوزوا يسبب التهاب الأمعاء والقولون في الإنسان والحيوانات الصغيرة ، كالكلاب والقطاط . **يتميز المرض** بإسهال مزمن ، وقد يكون دموي . **يتم تشخيص المرض** تحت المجهر لمشاهدة العامل المسبب للمرض من البراز .

داء القلاعية Foot and Mouth Disease :

أو الحمى القلاعية ، وهي مرض فايروسي معدي واسع الانتشار ، يصيب الحيوانات بالدرجة الأولى ، وخاصة الماشية والأغنام والماعز والغزلان ، ويسبب آفات حويصلية جلدية نادرة في الإنسان .

ينتقل المرض بواسطة اللعاب والمنتجات الحيوانية المصابة ، وهو سريع الانتقال ، ويعتبر مسؤولا عن الخسائر الاقتصادية الكبيرة التي تحدث في الماشية .

ك

الكزاز Tetanus :

من الأمراض البكتيرية الحادة وشديدة الخطورة ، يصيب الإنسان والحيوان معاً .

سبب المرض : بكتيريا من نوع **كلوستريديوم تيتناي Clostridium Tetani** ، تعيش في ظروف خاصة خالية من الهواء Anerobic ، تدخل الجسم من خلال جرح أو خدش بسيط أو حتى وخزة خفيفة .

عادة يصيب هذا المرض الأطفال حديثي الولادة ، نتيجة تلوث الحبل السري عند قطعه بهذا الميكروب ، وكذلك الأشخاص المصابين بالحروق والجروح البسيطة . الإنسان أو الحيوان المصاب يقوم بطرح هذا الميكروب مع البراز ، فتلوث التربة لتصبح المصدر الرئيسي للعدوى .

أغلب **الأعراض** تكون عصبية ، وتتميز بتشنجات عضلية مؤلمة جداً ، بحيث لا يستطيع المصاب بعد ذلك القيام بأي حركة ، وهذه العلامات تعتبر من العلامات المميزة لتشخيص هذا المرض .

ص

داء المقوسات Toxoplasmosis :

من الأمراض الطفيلية ، وحيدة الخلية ، واسع الانتشار في الإنسان ، وهو يصيب أيضاً العديد من الحيوانات ، كالأغنام والكلاب والقطاط وبعض الطيور .

تنتقل العدوى بهذا المرض عن طريق تناول الخلية البيضة الناضجة (Oocyst) مع الطعام الملوث ، وقد ينتقل المرض من الأم إلى الجنين عن طريق المشيمة ، فيسبب الإجهاض وبعض التشوهات الخلقية .

يتميز المرض بإصابة الجهاز اللمفاوي ، وأحياناً بأعراض عصبية نتيجة لإصابة الجهاز العصبي . في المختبر يتم تشخيص المرض بواسطة إجراء الفحص النسيجي أو بزل الكبد أو بواسطة الفحوصات السريولوجية .

داء المنشقات Schistosomiasis :

وهو المرض الشهير **بالبلهارسيا** الذي يصيب الإنسان بالدرجة الأساسية ، وقد ينتقل المرض من الحيوان إلى الإنسان عن طريق أنواع أخرى من طفيلي هذا المرض مثل : Schistosoma Japanicum .

يتميز المرض بالبول الدموي ، ويعتبر من الناحية الصحية شديد الخطورة على حياة الإنسان .

تشخيص المرض : يحتاج المريض إلى فحوصات طبية وتحليلات مختبرية .

ن

مرض النوم Sleeping Sickness :

أو داء **المثقبيات الإفريقي African Trypanosomiasis** ، وهو من الأمراض الطفيلية التي تعيش في دم الإنسان . **يتميز المرض** بإصابة الجهاز اللمفاوي مع إطالة فترة النوم . **تنتقل العدوى** من الإنسان إلى الإنسان بواسطة الحشرات ، وأحياناً تعمل بعض الحيوانات كمخازن لطفيلي هذا المرض ، كالأغنام والكلاب والخنازير ، فتنتقل العدوى عن طريق الحشرات إلى الإنسان . عملية **التشخيص** تحتاج إلى فحوصات واختبارات مختبرية .

داء النوسجات Histoplasmosis :

الفطر Histoplasma Capsulatum ، هو المسبب المرضي لهذا

الداء . يتم انتقال العدوى عن طريق استنشاق السبورات الفطرية من قبل الإنسان والحيوان . بسبب عدم وجود علامات مرضية مميزة يتم تشخيص المرض مختبرياً .

و

داء الوشيقية Botulism :

أو التسمم المنباري ، يتسبب ببكتيريا من نوع Clostridium Botulinum (المطثية الوشيقية) ، وهي تفرز سموماً في المواد الغذائية الملوثة بهذا الميكروب . **يتميز المرض** بشلل في الأعصاب الحركية ، فيسبب عجزاً في التنفس والقلب ، مما يؤدي إلى الوفاة في ٧٠٪ من الحالات المصابة بهذا المرض .

مصدر العدوى هو : براز الحيوانات المصابة ، والأغذية المعلبة الملوثة ، وكذلك الأسماك ، كمصدر خطير للإصابة بهذا النوع من التسمم .

لتشخيص المرض يتم فحص محتويات المعدة مختبرياً .

داء الوشائع Fasciollasis :

أو عوالق الكبد Liver Fluke ، وهو مرض طفيلي يصيب الماشية عادة ، وقد يصاب الإنسان بهذا المرض عند تناوله الطور اليرقي Metacercaria للطفيلي Fasliola Hepatica (المتورقة الكبدية) مع الخضروات أو النباتات المائية .

يتميز المرض بيرقان ومغص وآلام في الجهة اليمنى من البطن ، **يتم تشخيص المرض** بفحص البراز في المختبر للبحث عن بيوض دودة تحت المجهر .

المراجع

(١) Cuven Medical Oiagnosis & Treatment Krupp & Chatton Middle East Edition 1984.

(٢) The Merck Veterinary Manual Fifth Edition Rahway, N. J., USA 1979.

(٣) The Merck Manual 14 th Edition 1982 Rahway, N. J. U.S.A.

(٤) الأمراض المعدية ، الجزء الأول ، تأليف الدكتور سعدي أحمد غثاوي وجماعته ، جامعة بغداد ، كلية الطب البيطري ، ١٩٨٣م .

(٥) الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان ، تأليف الدكتور صباح العلوجي ، والدكتور عبد الحسين بيرم ، بغداد ، ١٩٨٥م .

(٦) مجلة «علوم» العراقية ، العدد الخامس ، السنة الثانية ، آذار (مارس) ، ١٩٨٥م ، مرض خربشة القط ، ص ١٤ .

(٧) المعجم الطبي الموحد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومنظمة الصحة العالمية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م .

عندما يورق الاشتعال

شعر : إبراهيم عبد الله مفتاح

أفيضي صباحاً وانثري زرقة السما
ولمِّي شتاتي في مسائِكِ أنجماَ
ومدِّي يداً للبُعْدِ تقصي مطالعي
إليكِ لكي آتيكِ حقلاً وموسماَ
رَبيعاً يهزُّ الشوقَ في أعينِ المَدَى
ويشعلُ في عُمقْ الجَفَافِ تَبَسُّماَ
حديثي إليك الآه يافِتْنَةَ الضُحَى
وجَهْرِي إليكَ الهمسَ ياظبيَةَ الحِمَى
على كلِّ شبرٍ من ثوانيَّ نبضةٌ
تدقُّ وأخرى تمضغُ الوقتَ والظَّماَ
وجرحٌ كَطَعْمِ اللَّيلِ حين تضمه
عيونٌ ويُؤويه حديثٌ على اللمَى
فهزِّي بجذ ع الصمتِ إن هلَّ موعدٌ
شهيٌ ورشِّيه فصولاً من النَّماَ
وصبِّي على الزَّهرِ المبعثرِ نشوةً
تَضُمُّ شذاه النوضوي إذا هَمَى
تُذيبُ الأماسي المترعاتُ توهجاً
وتُوقِدُ أَحْداقَ الليالي تَرَنُّماَ
فرب اشتعالٍ يورقُ الغصنُ بعده
وربّ لقاءٍ يعقبُ البعدَ ربّمَا

نظرية التشريط البافلوفي وأبو قراط

طالعت المقال المنشور في العدد (١١٠)، من مجلة «**الفيصل**» الغراء، ص ص (١٠٦ ـ ١٠٧)، الصادر في شعبان ١٤٠٦هـ، الموافق آيار (مايو) ١٩٨٦م، تحت عنوان «**أوجه الشبه بين نظريتي التشريط البافلوفي وأبوقراط في الأمزجة**»، بقلم: **الدكتور محمد مصطفى زيدان**، وفي الآتي أفيدكم بالمعلومات المفصلة حول هذا الموضوع الحيوي فأقول:

من المؤسف حقاً أن أكثر النظريات الحديثة تنسب إلى مصادر أجنبية، مع أن كثيراً منها في الحقيقة قديم أثبته العرب المسلمون قبل مئات السنين!

إن السبب يعود إلى اختلاف منهج البحث لدى علمائنا العرب السابقين ولدى العلماء في عصرنا اليوم، فقد كان البحث العلمي قبل اليوم قائماً ـ في كثير من الأحيان ـ على أساس فكري مجرد، وكان سبيلهم إلى اكتشاف الحقائق والنظريات هو السبيل النظري فحسب، إذ لم تكن الوسائل المادية التجريبية مهيأة في عصورهم.. ولكن العصر الحديث استطاع أن يساهم في خدمة الحقائق ودعمها، ولهذا فإن كثيراً من الحقائق العلمية الهامة التي يتضمنها تراثنا الإسلامي، قد قذف بها علماؤنا السابقون في تواضع وقلة مبالاة، بل وفي لمحات فكرية عابرة.

وما قصة نظرية التشريط البافلوفي هذه التي أثبتها **الإمام الغزالي**، ثم تلقفها آخرون باسمهم إلا من هذا القبيل، وهذه النظرية المشهورة في عالم النفس، المسماة برد الفعل الشرطي، تنسب إلى العالم الروسي **بافلوف**.

وملخص هذه النظرية أن بافلوف كان يجيع طائفة من الكلاب ثم يقدم لها طعاماً مصحوباً بجرس يقرع، فكان كلما قدم لها الطعام، قامت باستجابة انفعالية يظهر أثرها في سيلان لعابها، ثم إنه بعد تكرار هذه العملية مقدار أربعين مرة قرع الجرس لها دون أن يقدم لها طعاماً، فاستجاب فيها أيضاً ذلك الانفعال وسال لعابها، فأدرك بافلوف من تلك النتيجة أن المظهر أو الشكل الذي يصحب المثير الطبيعي مدة يتخذ شكل ذلك المثير ويؤدي أثره.

ولكن لنترك الآن بافلوف، ولنصعد بأبصارنا إلى **القرن الخامس الهجري**، حيث عاش الإمام الغزالي، ولننصت إلى مناقشته الفلسفية مع **المعتزلة** في موضوع مترامي الأطراف، وهو ماهية **الحسن والقبح العقليين**، فسنجده يعرض بكل بساطة إلى هذا القانون النفسي أثناء بحثه، ويقرره أثناء نقاشه في لمحة فكرية عابرة.

يقول في كتابه (**المستصفى**)، «جـ١، ص **٥٩**، طبعة بولاق»:

«.. والغلطة الثالثة، سببها سبق الوهم إلى العكس. فإن ما يُرى مقروناً بالشيء يُظن أن الشيء أيضاً مقرون به مطلقاً. ولا يُدرى أن الأخص أبداً مقرون بالأعم، والأعم لا يلزم أن يكون مقروناً بالأخص...».

ثم يمضي آتياً بمجموعة من الأمثلة الواقعية المغنية عن هذه التجربة الاصطناعية فيقول: «ومثاله نفرة نفس السليم، وهو الذي نهشته حية، عن الحبل المبرقش اللون، لأنه وجد الأذى مقروناً بهذه الصورة فتوهم أن هذه الصورة مقرونة بالأذى دائماً، وكذلك تنفر النفس عن العسل إذا شبه بالعذرة. لأنه وجد الأذى والاستقذار مقروناً بالرطب الأصفر، فتوهم أن الرطب الأصفر مقرون به الاستقذار...».

ثم يقول: «وأكثر إقدام الخلق وإحجامهم يسبب هذه الأوهام. فإن الوهم عظيم الاستيلاء على النفس، ولذلك ينفر طبع الإنسان عن المبيت في بيت فيه ميت، مع قطعه بأنه لا يتحرك، ولكنه يتوهم في كل ساعة حركته ونطقه.

هذه هي النظرية الرنانة التي يسندها جميع علماء النفس إلى بافلوف ويعترفون له بالفضل في اكتشافها، ومجمل الفروق التي شكلت حجاباً كثيفاً حال دون الانتباه إلى أن الغزالي هو الذي أوضحها وقررها يتلخص فيما يلي «حيث أسهب في شرحها ومناقشتها والتعليق عليها **الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي**، في كتابه المعنون بـ(**من الفكر والقلب**) ص ص (٢٣ ـ ٢٩)، الطبعة الأولى، عام ١٩٦٩م»، ومن أراد التفاصيل أكثر فليراجع هذا المصدر الهام!

★ **أولاً**: يسمي الغزالي هذا القانون (**سبق الوهم إلى العكس**) أما بافلوف فيفضل أن يطلق عليه اسماً آخر ويختار له (**رد الفعل الشرطي**).

★ **ثانياً**: استنتج الغزالي هذا القانون من القواعد المنطقية الفكرية دون أن يحتاج إلى معونة الكلاب، أما بافلوف فقد تجاهل، أو فرض أن ليس هنالك قانون منطقي للنفس يمكن الاعتماد عليه في استنباط مثل هذه النظريات، وعمد إلى التطبيقات المادية يسجل فيها هذا القانون المعروف، فكان عمله هو أن زاد مثالا جديداً على الأمثلة التي أوردها الغزالي.

★ **ثالثاً**: ساق الغزالي هذه النظرية ـ كما قلنا ـ في معرض النقاش في موضوع آخر ممتد الأطراف، فكان مرور هذا البحث في تيار نقاشه العام عرضياً لم يلفت إليه الأنظار كما يجب.

وهكذا نجد أن الغزالي لم يثبت هذه النظرية فحسب، بل ربط بها

أيضاً قانونها الذي يكشف عن اطرادها ، بل وعن سر هذا الاطراد .

أما الطريقة التي قرر بها بافلوف ، فهي طريقة آلية لا تكشف عن أي قاعدة « دستورية » لفقه الموضوع ، وكلمتا « **مثير صناعي** » و « **مثير طبيعي** » كلتاهما بحاجة إلى تحديد معناها وإيضاحه إيضاحاً « رياضياً » عاماً .

هذا ، وإن حديثنا ــ كما يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه المذكور آنفاً ــ عن هذه النظرية يشبه الحديث عن كثير من النظريات العلمية الأخرى ، الحافل بها تراثنا العلمي الإسلامي ، ولكن في تواضع ووقار وصمت . . . !

رمزي الحاج عقراوي
العراق ــ عقرة

أمالي بن دريد

في العدد (١٠٠) من مجلة « **الفيصل** » لشهر شوال ١٤٠٥ هـ ، وتحت عنوان (**تعليق من أمالي بن دريد**) أبدى الأستاذ **محمد أحمد الدالي** ، من سورية ــ حماة ، بعض تصحيحات تحتاج إلى تصحيح نجمله في الآتي :

(١) قال المعلق حول بيت الشاعر :

كلاب الناس إن فكرت فيها
أضرّ عليك من (كَلَب) الكلاب

« كذا ضبط المحقق (كَلَب) الكلاب . أراد به جنون الكلاب المعتري من أكل لحم الإنسان وهو خطأ صوابه (كلْب) الكلاب بالسكون . . » .

وأقول ما أثبته المحقق بفتح اللام في (كَلَب) هو الصواب وليس بسكون اللام ، كما أراد المعلق ، والمقصود من البيت : أن في الناس من هو أضر عليك من مرض (الكَلَب) وهو مرض يصيب الإنسان إذا عقره الكلْب) . . وهو المعنى الذي قصده الشاعر ولم يتنبه إليه المعلق .

(٢) وحول البيت :

وجهك الوجه لو تسال به المزْن
من الحسن والجمال استهلَّ

قال المعلق إن الصواب أن تكون النون من (المزن) في الشطر الثاني . .

وأقول : مع صحة رأي المعلق من حيث التشطير حفاظاً على الوزن الشعري . . إلا أن الشعراء في كل مكان ــ قديماً وحديثاً ــ يصلون الحرف ويبقونه في الشطر الأول مع وضع حرف (م) بين الشطرين دلالة على أن البيت موصول .

(٣) وحول قصيدة **كعب الأشقري :**

ذهب الكرام المفضلون . . إلخ

قال المعلق إن الأبيات من البحر الكامل . . وإن البيت الثالث والرابع وهما :

لا فضل يرجى عند ذي سعة
(ولا) يدر لمرضع عرقُ
(ولا) ترى كفّ يجاد بها
بعطاء ذي فقر ولا رزقُ

فيهما إخلال بالوزن . . فيما بين (المقوستين) .

وأقول ما قاله الأستاذ المعلق صحيح ، ولكنه لم يصوِّب الخلل في البيتين وتركهما دون أي تعليق . وأغلب الظن أن في البيتين سقطاً صوابه أن يضاف حرف ألف إلى (ولا) في البيتين فيصير (أو لا) وبذلك يرتفع الخلل ويصح الوزن الكامل .

(٤) وعلق الكاتب على الجملة (وانشغل عنه الحاجب والعبيد ، فبات القفر فلما أصبح . . إلخ) بقوله : كذا وقع . . ولعل الصواب : فبات (في) القفر .

وأقول : يجوز في أسماء الزمان والمكان حذف حرف الجر (في) ولا خطأ في ذلك ألبتة .

هذا ما عنّ لنا حول تعليق الأستاذ المعلق على تحقيق كتاب ابن دريد وله فضل السبق والتنبيه .

عدنان أسعد
القاهرة ــ الزيتون

* *

الحركة الثقافية

في شهر

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي

- جمعية للاقتصاديين السعوديين .
- الإعلان عن جائزة أبها الثقافية .
- كشوف أثرية وندوات ثقافية في الوطن العربي .
- إعداد معجم تاريخي في تونس .
- وكالة وطنية للنشر في المغرب .
- إعلان الفائز بجائزة التفوق العلمي .

في العالم

- مؤتمر دولي عن التعليم في أفغانستان .
- أسماء الفائزين بجائزة نوبل لعام ١٩٨٧ م .
- صدور كتاب عن « حضرموت » في ألمانيا .
- ترجمة أعمال عربية إلى الأسبانية والفرنسية .
- وفاة عالم أميريكي .


★ الأمير خالد الفيصل ★


★ الأمير محمد بن فهد ★


★ حمد القاضي ★

السعودية

جائزة أبها الثقافية

أعلنت لجنة التنشيط السياحي بمنطقة عسير عن مسابقتها المفتوحة الثانية لعام ١٤٠٨ هـ « **جائزة أبها الثقافية** » وذلك في المجالات الآتية :

★ **البحوث** ، إعداد بحث موثق عن منطقة عسير .

★ **الشعر الفصيح** ، قصيدة جديدة الفكرة ، جيدة المضمون ، متميزة الإبداع .

★ **الشعر النبطي** .

★ **القصص** ، قصة قصيرة ذات مغزى هادف ، وفكرة مبتكرة .

★ **الفن التشكيلي** ، لوحة إبداعية جديدة لا تقل عن ٦٠ × ٦٠ سم^{٢} .

★ **المسرح** ، والدعوة فيه موجهة للجامعات والجمعية السعودية للثقافة والفنون لتعرض فرقها مسرحية واحدة مرتين في أسبوع واحد لكل فرقة .

هذا وقد خصصت جوائز قيمة للفائزين بهذه المسابقة في مجالاتها المختلفة ، وقد حددت اللجنة آخر موعد لقبول المشاركات يوم ١٤٠٨/٩/٣٠ هـ وتعلن النتيجة في موعد أقصاه يوم ١٤٠٩/١/٣٠ هـ .

ومن الجدير بالذكر بأن قيمة الجائزة قد رفعت إلى ٣٠٠ ألف ريال مقدمة من صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** أمير منطقة عسير .

جمعية للاقتصاديين السعوديين

تشكلت في جامعة الملك سعود بالرياض « **جمعية الاقتصاد السعودية** » تضم نخبة من أساتذة الجامعات السعودية وبعضاً من المفكرين الاقتصاديين السعوديين ممن لا ينتسبون للجامعات .

تتخذ هذه الجمعية من قسم الاقتصاد بكلية العلوم الإدارية مقراً لها ، ويشرف عليها مجلس إدارة يتكون من تسعة أعضاء .. وأهداف الجمعية تتمثل في :

★ تنمية الفكر العلمي الاقتصادي .

★ تشجيع الباحثين في المجالات الاقتصادية وفق نظام الجمعية .

دور المجلات في نهضة الأدب

عقدت بنادي القصيم الأدبي في مدينة بريدة ندوة أدبية دار موضوعها حول « **دور المجلات الأدبية في نهضة الأدب الحديث في المملكة** » **وذلك بمشاركة كل من :**

★ **الأستاذ علوي طه الصافي رئيس تحرير مجلة** « **الفيصل** » .

★ **الأستاذ حمد عبد الله القاضي رئيس تحرير** « **المجلة العربية** » .

★ **الأستاذ عبد الرحمن الشثري رئيس تحرير مجلة** « **الحرس الوطني** » .

قدم المناقشين الأستاذ صالح الوشمي عضو النادي ، وأدار الندوة **رئيس النادي الدكتور حسن الهويمل** بحضور العديد من المهتمين والمثقفين وأساتذة الكليات .

معرض تشكيلي في المدينة

أقيم في صالة « **إبداع** » بالمدينة المنورة **المعرض الجماعي الرابع لفناني وفنانات المدينة المنورة** ، حيث شارك فيه عدد من الفنانين والفنانات بلوحات مختلفة يجمعها الحديث عن موضوعات معاصرة وتراثية من البيئة السعودية .

ويهدف المعرض إلى تسجيل الموضوعات التراثية مثل عناصر العمارة والملابس والحلي والرقصات الشعبية والحرف اليدوية والصناعات التقليدية .

دور الصحافة في تنمية المجتمع

عقدت في رحاب نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي ندوة حول « **دور الصحافة في تنمية المجتمع** » بمشاركة **رؤساء تحرير الصحف المحلية** .

وقد حضر الندوة جمهور من المثقفين والأدباء والمهتمين بالإعلام ووسائله .. ونوقشت في الندوة مجموعة من القضايا التي لها علاقة بالصحافة كوسيلة هامة من وسائل الإعلام .

الفن السعودي المعاصر

أقيم في جدة معرض روشان الثاني للفن السعودي المعاصر وذلك خلال شهر ربيع الأول الماضي .

شارك في هذا المعرض أكثر من عشرين فناناً سعودياً من مختلف مناطق المملكة بواقع ثلاث لوحات لكل فنان .

هذا وقد تميزت هذه اللوحات بانتمائها إلى مدارس مختلفة على أن طابع البيئة المحلية كان يميز هذه اللوحات انعكاساً لارتباط الفنان السعودي بالبيئة .

أمسيتان شعريتان

أقيمت بنادي مكة المكرمة الثقافي ضمن موسمه الثقافي أمسية شعرية أحياها كل من الشاعرين :

★ **عبد الرحمن العشماوي .**

★ **عبد الله جبر .**

حضرها العديد من المهتمين .

ومن ناحية أخرى أقيمت بجدة أمسية شعرية أحياها الشاعر والمفكر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري وقد نظمت هذه الأمسية **فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة .**

معرض عن الحرف العربي

سيقام في مدينة (الدمام) تحت إشراف وتنظيم **فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون** خلال الفترة من ٣ ـ ١٧ من شهر جمادى الأولى القادم **المعرض التشكيلي الأول عن** « **الحرف العربي** » والذي سيضم عدة أعمال تشكيلية لعدد من الفنانين .





★ عبد الرحمن الشثري ★ ★ د . حسن الهويمل ★

الجدير بالذكر أنه قد دعي للمشاركة في هذا المعرض كل من يهوى رسم الحرف العربي .

•• معهد البحوث التطبيقية والجائزة ••

فاز معهد البحوث التطبيقية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بجائزة **البحث العلمي** والتي منحته إياها **لجنة جائزة الأمير محمد بن فهد للتفوق العلمي لعام ١٤٠٧ هـ .**

ومما يذكر بأن هذه الجائزة تمنح للمتفوقين من الطلاب والطالبات في جميع المراحل ماعدا الجامعة ، كما تمنح في مجال الأبحاث العلمية المتفوقة .

•• أعلام تركستان ••

سيصدر في جدة قريباً معجم عن « أعلام رجالات تركستان » من إعداد **محمد قاسم أمين تركستاني** حيث سيتضمن الترجمة لنحو ثلاثة آلاف من الأعلام مُدَعَّماً بالخرائط واللوحات والصور الشخصية لكل علم .

هذا ويتوقع أن يكون هذا المعجم إضافة جديدة في المكتبة العربية .

•• كتب جديدة ••

• صدرت الكتب التالية عن مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض :

★ « تطور التربية في الصين ١٩٨٤ - ١٩٨٦ م » ، ترجمة هيئة الترجمة بالمكتب .

★ « التربية في ألمانيا الغربية - نزوع نحو التفوق والامتياز » ، تأليف **هاترج ليجنز وباربارا ليجنز** ، ترجمه وعلق عليه **الدكتور محمد عبد العليم مرسى .**

★ « التعليم العالي في جمهورية ألمانيا الاتحادية » ، ترجمة هيئة الترجمة بالمكتب .

★ « التعليم العالي .. والنظام الدولي الجديد » ، تأليف **بيكاسي دانيا ، ترجمة هيئة الترجمة بالمكتب ، مراجعة الدكتور محمد الأحمد الرشيد .**

كلمة

رسالة .. وتعليق

سعادة الأخ الكريم الأستاذ علوي طه الصافي الموقر

رئيس تحرير مجلة الفيصل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

في إطار محاولة (و . أ . س) تنويع وتوسيع دائرة مصادرها الإخبارية وبناء جسور من التعاون والثقة مع تلك المصادر فقد نقلت (و . أ . س) عن مجلتكم **خلال شهر ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ (٢٣٨)** كلمة .. كما نقلت **خلال شهر ربيع الأول ١٤٠٧ هـ (٢٥٢)** كلمة ، ونقلت **خلال شهر محرم ١٤٠٨ هـ (٣٩٢)** كلمة .

وقد راعت (و . أ . س) عند بثها - داخلياً وخارجياً - للموضوعات التي نشرتها مجلتكم التقيد بقواعد وأخلاقيات العمل الإعلامي ومنها الإشارة إلى المصدر وعدم تجاهله توخياً للأمانة وتمسكاً بالموضوعية التي تشاركون (و . أ . س) إياها .

وإني إذ أبلغ سعادة الأخ الكريم بذلك آمل أن يكون فيما أشرت إليه باعثاً على توثيق العلاقة بين مجلتكم الموقرة و(و . أ . س) بما يخدم المكانة الإعلامية للمملكة انطلاقاً من الرسالة المشتركة .. وتقبلوا أخي الكريم خالص تحياتي وتقديري ....

مدير عام وكالة الأنباء السعودية

بدر أحمد كريم

• **المجلة** : هذه الرسالة الكريمة وردت إلى مجلة « الفيصل » من الأخ الأستاذ بدر أحمد كريم مدير عام وكالة الأنباء السعودية (و . أ . س) تعكس صورةً لها أبعادها المشرقة في تركيبة حياتنا الاجتماعية في بلادنا .. فهي تجسد الأهداف النبيلة ، والقيم السامية التي تربط وسائل الإعلام في مملكة الإيمان والنور والأمن والأمان .. وهي أهداف تلتقي في دعم مسيرة الخير والحق والصدق في مجتمعنا العربي والإسلامي متجاوزة بهذا الالتقاء كل سلبيات وسائل الإعلام في كثير من بلدان العالم .

وهي في الوقت نفسه تكشف عن عمق التلاحم والتضامن بين مؤسساتنا الإعلامية والثقافية والاجتماعية والتربوية لوضوح الرؤية أمام هذه المؤسسات التي تشكل مكونات أنشطتها من تعاليم شريعتنا السمحة الداعية إلى ما ينفع الناس ، ومواجهة التحديات الساعية إلى قتل روح الإنسان وتحطيم عقله في عالم يسعى إلى تدمير نفسه بنفسه .

ننشر الرسالة لنعطي للقارىء العربي صورة من صور التلاحم الصادق بين وسائل الإعلام في المملكة حكومية وغير حكومية .. وهذا ينسحب بدوره على وسائل أخرى لا يعرف القارىء العربي شيئاً عنها .

إنه مجتمع التلاحم والتكافل والتآخي .. لأنه مجتمع الإسلام قلباً وقالباً .. سائلين الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير .. مع شكرنا وتقديرنا للجهود الكريمة التي تبذلها (و . أ . س) في خدمة القارىء بكل أمانة وصدق وتجرد .

• « رؤى في طريق الدعوة » ، مجموعة مقالات تأليف **الدكتور عبد القادر طاش ، صدرت في كتاب بالرياض .**

• « مقاطع من أوراق عاشق » ، مجموعة شعرية لمحمد منصور الشقحاء ، صدرت عن **الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة .**

• « الأخطبوط والمستنقع » ، مجموعة قصصية للقاص عقيلي الغامدي ، صدرت عن **نادي الطائف الأدبي .**

• « نقوش على واجهة القرن الخامس عشر » ، ديوان جديد للشاعر عبد الرحمن العشماوي ، صدر عن **دار العالم الكتب بالرياض .**

• « في التراث العربي نقداً وإبداعاً » ، تأليف **الدكتور أنس داود** ، صدر عن **دار هجر للنشر .**

• « الإدارة في التراث الإسلامي مع حكم وأمثال للمسؤولين ورجال الأعمال » ، تأليف **الدكتورين محمد بن عبد الله البرعي وعدنان بن حمدي عابدين** ، صدر عن **مكتبة الخدمات الحديثة بجدة .**

• « حركات التجديد في الشعر السعودي



★ صالح الوشمي ★



★ عبد الرحمن العشماوي ★



★ عبد الله جبر ★

الحركة الثقافية في الوطن العربي

المعاصر » ، تأليف **الدكتور عثمان الصالح الصوينع ، صدر في الرياض .**

● « **التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته** » ، تأليف **سيد أحمد يحيى** ، صدر عن **دار العمير للثقافة والنشر بجدة .**

● « **التوثيق الإداري في المملكة العربية السعودية** » ، إعداد **فهد إبراهيم العسكر ، صدر عن** إدارة البحوث بمعهد الإدارة العامة بالرياض .

● « **المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات** » ، تأليف **ألس ماونت** ، ترجمة **علي سليمان الصوينع** ، صدر عن **معهد الإدارة العامة بالرياض .**

● « **آخر ما جاء في التأويل القروي** » ، **مجموعة قصصية للقاص حسن النعمي** ، صدرت عن **نادي أبها الأدبي .**

● « **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة (١٣٣٣ ـ ١٣٥١ هـ) ـ دراسة تاريخية تحليلية** » ، تأليف **عبد الله محمد الشهيل** ، صدر في الرياض .

تونس

معجم تاريخي

يعد في تونس من قبل عدد من المتخصصين والمهتمين **معجم تاريخي مبسط** يعرف بأشهر الشخصيات التونسية على مدى التاريخ القديم والمتوسط والحديث ، حيث سيتم الانتهاء منه قريباً .

ويهدف هذا المعجم إلى تعريف الجيل المعاصر على الأشخاص الذين قدموا خدمات كبيرة لبلادهم تونس .

مصر

وزير جديد للثقافة

عين الفنان التشكيلي الأستاذ « فاروق حسني » وزيراً للثقافة في مصر بعد التشكيل الجديد .

والوزير الجديد درس في كلية الفنون الجميلة **بالأسكندرية** وتخرج فيها عام ١٩٦٤ م في الديكور والزخرفة ، ثم قام برحلة لمدة تسعة أشهر للدراسة في **بلجيكا** عام ١٩٦٦ م ، ثم سافر مبعوثاً من قبل وزارة الثقافة إلى فرنسا لدراسة « **التحريك الثقافي والبرمجة الثقافية** » ، وقضى في هذه البعثة تسعة أشهر ، حيث عاد عام ١٩٦٨ م ، ثم عمل في **قصر الثقافة بالأسكندرية** ، وعين ملحقاً ثقافياً بسفارة مصر في باريس عام ١٩٧١ م ، وكان له دوراً بارزاً في إقامة الصلات بين البلدين ، ومن ثم التعريف بفكر وثقافة بلده هناك ، حيث قدم للفرنسيين الوجوه الثقافية المصرية البارزة في المسرح والسينما ، والفنون التشكيلية والموسيقى ، والفنون الشعبية . ثم تولى إدارة **الأكاديمية المصرية للفنون الجميلة بروما** منذ عام ١٩٨٣م .

وفاة الملاخ

توفي في القاهرة الكاتب الصحفي وعالم المصريات الأستاذ كمال الملاخ عن عمر يناهز ٦٩ عاماً ، وذلك على إثر أزمة قلبية مفاجئة .

والمعروف أن كمال الملاخ كان من أبرز المهتمين بالمصريات ، وقد اكتشف مراكب الشمس .. وقد تخرج في كلية الفنون الجميلة .. كما حصل على درجة « الماجستير » في فقه اللغة المصرية القديمة .

بدأ حياته العلمية في الاهتمام بدراسة الآثار .. وعمل مديراً لأعمال مصلحة الآثار حيث اكتشف أثناء عمله أول جسر في التاريخ ، وغيره من الاكتشافات منها اكتشافه لمراكب الشمس عام ١٩٥٤ م .

ثم ترك عمله الإداري في الآثار للعمل في الصحافة عام ١٩٥٢ م حيث عمل رئيساً للقسم الفني بأخبار اليوم ، ثم انتقل إلى جريدة « الأهرام » ، وأنشأ زاوية جديدة في الصحافة المصرية بعنوان « من غير عنوان » في الصفحة الأخيرة عام ١٩٥٧م .. وهذه الزاوية لفتت الأنظار إلى الصفحة الأخيرة من الجريدة وكسبت أهمية خاصة ..

في دائرة الضوء

● الكتاب : أعلام الأدب في لاذقيّة العرب .

● المؤلف : فؤاد غريب .

« أعلام الأدب في لاذقية العرب ـ تراجم أدبية ومختارات شعرية ونثرية مزينة بالرسوم » .. هذا الكتاب عبارة عن موسوعة تقع في ثلاثين جزءً ، صدر منها على التوالي عشرة أجزاء ، ومجموع صفحات الأجزاء الصادرة حتى الآن ، تقع في حوالي ألف وأربعمائة وخمس وعشرين صفحة ، من القطع المتوسط.

تضم تراجم وافية لخمسة وثمانين أديباً وشاعراً ، من محافظة اللاذقية في سورية .

منهجه

اتبع المؤلف أسلوب التبويب في معرض الترجمة لأدباء موسوعته ، فهو يبدأ أولا بلمحة إلى المُتَرْجَم له ، ويعقبها بحديث عن مؤلفات ذلك الأديب ، ثم فقرة ثالثة تتناول نظرة الأديب في الشعر والأدب ، ثم فقرة عن أغراض شعر الشاعر الذي يترجم له ، ثم يتحدث في فقرة جديدة عن المراجع التي يمكن العودة إليها ، للاطلاع بشكل أوسع على نتاج ذلك الأديب أو الشاعر . ثم فقرة أخيرة تضم بعض النماذج المنتقاة من شعر المترجَمْ له أو نثره .

قيمته

وتتجلى قيمة هذه


★ عمر بهاء الدين الأميري ★


★ فاروق حسني ★


★ كمال الملاخ ★


★ د . أنس داود ★

وخلال عمله الصحفي ظل على صلة بالآثار ودراستها التي كان يزود بها زاويته .

عرف بتعدد اهتماماته وبالتالي تعدد الزوايا التي كان يحررها مثل « ملامح صغيرة » ، و« صالون الفن » و« مشيت وقرأت وكتبت » و« في الأسبوع مرة » بالأهرام الاقتصادي ، و« في الشهر مرة » في مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، إلى جانب باب « مصريات » .

له من الأعمال المطبوعة « عروس النيل » ، و« الحكيم بخيلا » و« قاهر الظلام » و« صالون من ورق » و« اخناتون » و« القاهرة » .. وقد ترجمت هذه الأعمال إلى عدة لغات .. وإلى جانب ذلك كتب للأطفال ، ومن أعماله في هذا الحقل « أحمس قاهر الهكسوس » و« أم كلثوم » .. وقد زادت أعماله عن ٥٠ كتاباً .

حصل على وسام الجمهورية تقديراً لاكتشافه مراكب الشمس ، كما حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب والفنون ، وعلى شهادة تقديرية .. وحصل أيضا على جائزة الدولة التقديرية في الفنون عام ١٩٨٣ م .. وحصل على جوائز عالمية كان آخرها وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى في الفنون والثقافة من فرنسا .

وهو عضو المجلس الأعلى للآثار المصرية ، ونائب رئيس تحرير جريدة « الأهرام » ، ورئيس جمعية كتاب ونقاد السينما المصرية ، وعضو المجالس القومية المتخصصة ، وأستاذ غير متفرغ بكليات الفنون بالجامعات المصرية .

وللعالم الفنان الملاخ نشاطاته الأخرى في الأندية والنشاط الثقافي .. وكان لرحيله صدى حزن كبير لدى الأوساط الثقافية والفنية والصحفية والجامعية في مصر .

•• كشف أثري ••

تمكنت بعثة موفدة من قبل جامعة ديلاويرا الأمريكية من اكتشاف **بقايا مدينة قديمة يرجع تاريخها للعصر الروماني** وذلك بمنطقة **(ديراميس)** التي تقع شمالي مدينة **الغردقة** بالبحر الأحمر بحوالي ٢٠ كم .

وبعد التنقيب وجد بأن المدينة من خلال بقاياها كانت مبنية بكاملها من الطوب (اللبن) ، وعثر بداخلها على كميات كبيرة من الأقمشة والأواني الفخارية وبعض العملات القديمة ، بالإضافة إلى حصن عسكري روماني مكون من عدة حجرات لإيواء الجنود ، وبه مخازن للأسلحة والمواد الغذائية .

•• مهرجان دولي للفنون ••

يقام يوم ٢٤ نوفمبر من هذا العام المهرجان الدولي السابع للفنون والثقافة والإعلام وذلك تحت **إشراف وتنظيم الجمعية العربية للفنون بالقاهرة .**

يتضمن المهرجان الذي سيستمر إلى (٧) ديسمبر وبمشاركة عدة دول عربية :

★ معارض للكتاب العربي .

★ معارض للأعمال التشكيلية .

★ عرض مجموعة من الأفلام التسجيلية والروائية ، إلى جانب عروض للفنون الشعبية والمسرحية .

★ استعراض للموسيقى العربية .

★ ندوات شعرية وفكرية .

•• مؤتمر عالمي حول الحفريات ••

سيعقد في القاهرة خلال شهر ديسمبر القادم مؤتمر دولي لمناقشة نتائج أعمال الحفريات المصرية .

دُعي للمؤتمر أكثر من مائتي عالم من علماء الحفريات من مختلف أنحاء العالم حيث سيناقشون في هذا المؤتمر الذي يستمر ثلاثة أيام :

★ نتائج أعمال البعثة اليابانية بالهرم والأبحاث الخاصة باستخدام الوسائل العلمية الحديثة في مجال التطبيقات الأثرية .

★ نتائج أبحاث تحليل عينات هواة الحفرية الثانية بالهرم .

★ اكتشافات البعثات الأمريكية والفرنسية

الموسوعة في أمرين مهمين هما :

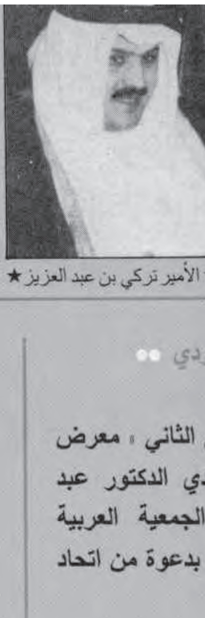
١ ـ لم تقتصر الموسوعة على الترجمة للأدباء والشعراء المشهورين في محافظة اللاذقية ، بل تناولت المغمورين أيضاً . ولهذا العمل أهميته الكبيرة . فقد عرّفتنا الموسوعة مثلاً على أدباء وشعراء مغمورين ، وجدنا ، من خلال نماذج من إنتاجهم ، أنهم يتفوقون أحياناً على الشعراء المرموقين والمعروفين ، كالشاعرين **أمين حاج حسين ، وجميل طراجان .**

٢ ـ أن هذه الموسوعة ـ وخاصة بعد طباعة بقية أجزائها ـ تعدُّ مرجعاً لا غنى عنه لمن يريد رصد وتأريخ حركة الأدب والشعر في محافظة اللاذقية ، من أول هذا القرن ، وحتى اليوم ، بل إن عمل المؤلف صاحب الموسوعة ، يذكرنا بأعمال البحّاثة المرحوم **عبد القادر عيّاش ،** الذي ظل طوال حياته يكتب عن وادي الفرات ، وعن مسقط رأسه : **دير الزور ،** حيث أطلق بعضهم على مؤلفاته موسوعة وادي الفرات .

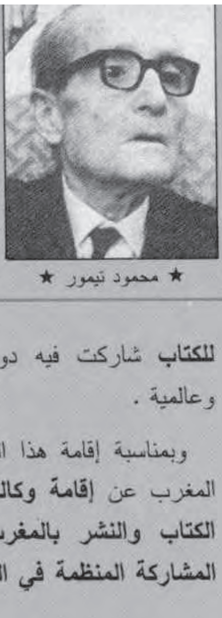
إن فؤاد غريب يطبع أجزاء موسوعته على نفقته الخاصة ، وهو من الموظفين البسطاء . . . ممن أدركتهم حرفة الأدب ، لذلك جاءت بعض أجزاء الموسوعة بشكل متواضع ، من حيث الطباعة والإخراج الفني ، وقد تحسّن الإخراج في الجزءين الأخيرين ، أما مضمون الموسوعة فهو جيد ومفيد . .

وباختصار نقول إن هذه الموسوعة تستحق القراءة والاقتناء والاحتفاظ بها ، بوصفها مرجعاً ومصدراً قيّماً وموثقاً ، وهي تفيد المختص والقارئ العادي والطالب ، لأنها تضم بين دفتيها كل ما يتعلق بأدباء اللاذقية .

المأمون صافيا
سورية ـ جبلة



★ الأمير تركي بن عبد العزيز ★



★ محمود تيمور ★



★ د . عبد الحليم رضوي ★

بمنطقة أبو الهول خلال العامين الماضيين .

•• تكريم القاص تيمور دولياً ••

تعتزم وزارة الثقافة المصرية بمناسبة الذكرى السنوية لوفاة القاص المصري « محمود تيمور » إقامة مهرجان دولي يدعى له النقاد وأساتذة الجامعات وكبار المستشرقين والباحثين .

من برامج هذا المهرجان :

★ أثر تيمور في القصة المصرية المعاصرة .

★ تخصيص ثلاث جوائز لأحسن ثلاث مجموعات قصصية باسم « جائزة تيمور في القصة القصيرة » .

★ إقامة معرض لكتب تيمور ، مع عرض أعماله درامياً في التلفزيون والإذاعة .

★ إقامة مسابقة بين الأدباء العرب في القصة القصيرة توزع جوائزها ضمن فعاليات المهرجان .

وسوف تقيم وزارة الثقافة متحفاً يضم مكتبة وآثار تيمور الشخصية .

الجدير بالذكر ، بأن محمود تيمور قد قَدّم للمكتبة العربية (٣٥) مجموعة قصصية تضم أكثر من أربعمائة قصة قصيرة ، كما قَدّم (١٦) مسرحية و(٤) روايات ، و(١٦) مؤلفاً في النقد والرحلات والدراسات اللغوية والصور والخواطر .

•• مسابقة للمعوقين ••

بمناسبة ذكرى ميلاد الأديب الراحل صبحي الجيار أعلن في مصر عن مسابقة للأدباء المعوقين في القصة والرواية ممن تزيد اصابتهم على ٦٠٪ .

جاءت هذه المسابقة كمحاولة لكسر الجمود الذي يعيشه الأديب المعاق ، وقد رصدت لهذه المسابقة مبالغ تصل إلى الألفي جنيه مصري .

هذا وقد قررت هيئة المسابقة أن ترسل المسابقات الأدبية لمن تنطبق عليهم الشروط إلى الأديبة **سلوى سبع** صاحبة فكرة مسابقة « صبحي الجيار » بمحافظة الجيزة ، على أن آخر موعد لها هو نهاية شهر ديسمبر ١٩٨٧ م .

•• معرض لفنان سعودي ••

يقام خلال هذا الشهر « ربيع الثاني » معرض خاص للفنان التشكيلي السعودي الدكتور عبد الحليم رضوي رئيس فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة بدعوة من اتحاد الفنانين العرب بالقاهرة .

تحتضن المعرض **قاعة « السلام »** ، ويشتمل على عدة لوحات تشكيلية تعبر عن النهضة الثقافية والفنية والتراث الحضاري للمملكة العربية السعودية .

الجدير بالذكر ، أن هذا المعرض هو السابع والخمسون للفنان الرضوي .

•• كتب جديدة ••

● « **إعدام قيس بن الملوح** » ، **مسرحية شعرية للشاعر محمد عبد العزيز شنب ، صدرت** ضمن سلسلة « **إشراقات أدبية** » **عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .**

● « **حلم المتنبي** » ، **مسرحية شبه تسجيلية** عن الشاعر المتنبي **بقلم فؤاد دوارة** ، صدرت عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب .**

● « **تراثنا والمعاصرة** » ، تأليف **الدكتور يوسف عزّ الدين** ، صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب .**

● « **يونس والبحر** » ، **مجموعة قصصية** للقاصة **اعتدال عثمان** ، صدرت عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب .**

● « **ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية** » ، تأليف **الدكتور محمود سليمان ياقوت** ، صدر عن **دار المعرفة الجامعية في الاسكندرية .**

المغرب

•• معرض دولي للكتاب ••

أقيم بمدينة « الدار البيضاء » معرض دولي للكتاب شاركت فيه دور نشر محلية وعربية وعالمية .

وبمناسبة إقامة هذا المعرض ، فقد أعلن في المغرب عن **إقامة وكالة وطنية تعنى بشؤون الكتاب والنشر بالمغرب والتعريف به عبر المشاركة المنظمة في المعارض الدولية .**

•• كتب جديدة ••

● « **المغرب من ١٩٨٦ إلى ٢٠٠٦ م** » ، تأليف **عبد الملك الشرقاوي ، صدر في الرباط .**

● « **طريق الحرية** : التاريخ الصغير لمدينة سلا » ، تأليف **محمد بن عياد** ، صدر عن **مطبعة شالة بالرباط .**

العراق

•• ندوة لإعادة التاريخ العربي ••

تعقد خلال الفترة من ١٥ ـ ١٧ من شهر ديسمبر الحالي في بغداد ندوة تحت إشراف وتنظيم **اتحاد المؤرخين العرب** ، وتدور حول موضوع « **نحو دراسة عربية لكتابة التاريخ العربي** » .

يحضر الندوة عدد من أعضاء الاتحاد والمتخصصين ، وستركز بحوث الندوة على :

★ استجلاء الظواهر الإيجابية في التاريخ القومي .

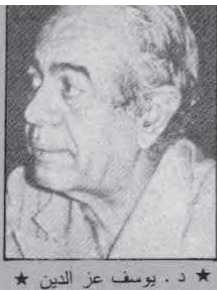
★ الدراسات المتخصصة في إعادة كتابة بعض جوانب التاريخ .

★ الأطر المستقبلية للدراسات التاريخية .

•• كتب جديدة ••

● « **رغد والسحابة** » ، **رواية** بقلم **صوفيا بروكوفيفا** ، ترجمة **عزّة حسين كبة** ، صدرت عن **وزارة الثقافة والإعلام** ضمن سلسلة « **روايات عالمية للفتيان** » .

● « **الطائر الأزرق** » ، **مسرحية** مكونة من عدة فصول بقلم **موريس مايترلنك** ، ترجمة **عبد**

★ فؤاد دوارة ★ ★ د . يوسف عز الدين ★

الخالق ثروت ، صدرت عن **وزارة الثقافة والإعلام ضمن سلسلة « مكتبتنا »** .

الأردن

•• كتب جديدة ••

• « **المساحة المستوية .. والكمبيوتر الشخصي** » ، تأليف **محمد صدقي وشريف سلامة** ، صدر **في عمَّان** .

• « **أمير الإنسانية والوطنية تركي بن عبد العزيز آل سعود** » ، تأليف **عبد الحفيظ محمد** ، صدر عن **مؤسسة أخبار الأسبوع الأردنية** .

الكويت

•• كتب جديدة ••

• « **مخطوطات المكتبة العبّاسيّة في البصرة** » ، إعداد وإصدار **مركز الخدمات والأبحاث الثقافية بالكويت** .

• « **صورة المرأة في الشعر الأموي** » ، تأليف **الدكتور محمد حسن عبد الله** ، صدر عن **دار ذات السلاسل بالكويت** .

قطر

•• تصنيف المأثور الشعبي ••

عقدت في الدوحة خلال شهر ربيع الأول ١٤٠٨ هـ **أعمال الحلقة الدراسية في مجال التصنيف والفهرسة لمواد المأثور الشعبي** ، والتي نظمها **مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية** . وذلك تحت عنوان « **نحو تصنيف منهجي لمواد التراث الشعبي العربي** » . وتمت فيها مناقشة أفضل الوسائل لتصنيف وفهرسة مواد المأثور الشعبي ، والطرق العلمية المتخصصة في ذلك وخاصة في مجال جمع وتدوين التراث .

محاضرات

• « **الاتجاهات الحديثة في السوق العالمية للبترول** » ، **محاضرة القاها الدكتور دنيس أوبراين بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران** .

• « **دور الأسرة في تنشئة الفرد وتقويم سلوكه** » ، **محاضرة القتها عائدة الجراح بجمعية اليقظة الخيرية النسائية بالطائف** .

• « **شخصية المسلم** » ، **محاضرة القاها الشيخ شاكر الحربي بحائل** .

• « **تقوى الله .. وأثرها في إصلاح النفس** » ، **محاضرة القاها الشيخ عبد الرحمن العجلان بمكة المكرمة** .

• « **المرأة المسلمة .. وتحديات العصر** » ، **محاضرة القاها الشيخ محمد بن صالح العثيمين بمكة المكرمة** .

• « **وكالات الأنباء العالمية .. وأسلوب تعاملها مع العالم العربي الإسلامي** » ، **محاضرة** القاها **الدكتور محمد كامل خطاب بنادي المدينة المنورة الأدبي** .

• « **الاستعداد للدار الآخرة** » ، **محاضرة القاها الشيخ عبد العزيز العقل بالدمام** .

• « **الحركة الإسلامية بالجزائر** » ، **محاضرة القاها الدكتور عمَّار غالبي بنادي مكة المكرمة الثقافي** .

• « **الفقيه المسلم وتحديات الحياة المعاصرة** » ، **محاضرة القاها الشيخ يوسف القرضاوي** عميد كلية الشريعة بجامعة قطر في **مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض** .

• « **الأحوال الثقافية إبان تأسيس الدولة السعودية المعاصرة** » ، **محاضرة القاها عبد الله الشهيل بالنادي الأدبي في جدة** .

• « **واجبات الفرد نحو ربه** » ، **محاضرة القاها الشيخ عبد الرحمن السديس بمكة المكرمة** .

• « **المصادر الصحفية للأدب السعودي** » ، **محاضرة القاها الدكتور عبد الله الحامد بنادي المدينة المنورة الأدبي** .

• « **أمراض الكلى الشائعة** .. وطرق الوقاية منها » ، **محاضرة القاها الدكتور محمد سعيد أبو ملحة بالرياض** .

• « **الإعجاز الطبي في القرآن الكريم** » **محاضرة القاها الدكتور أحمد عرقسوس بمكة المكرمة** .

• « **السنوات الرهيبة** ـ رواية تصور مأساة المسلمين في جمهورية (القرم) السوفيانية للأديب ضاعجي ـ » ، موضوع **محاضرة القاها الدكتور أحمد الخراط بنادي المدينة المنورة** .

« **الثروات المعدنية في الجزيرة العربية وخاصة في المنطقة الجنوبية من المملكة** » ، **محاضرة** القاها **الدكتور محمد عبده يماني بنادي أبها الأدبي** .

• « **من حقوق الأخوة** » ، **محاضرة القاها الشيخ صالح الزهراني بمكة المكرمة** .

• « **عرض بنيوي المنطق في الاقتصاد الجزائري** » ، **محاضرة القاها الدكتور عثمان بالقندوز بأبها** وذلك ضمن فعاليات الأسبوع الجزائري الثقافي .

البحرين

•• الفن التشكيلي الخليجي ••

أقيم في المنامة المعرض التشكيلي الثالث لشباب دول مجلس التعاون الخليجية وذلك بمشاركة العديد من الشباب بلوحات تعكس البيئة والتراث في هذه الدول .

حضر الافتتاح عدد من المسؤولين في **المؤسسة العامة للشباب والرياضة في البحرين** وفي دول الخليج العربية .

لبنان

•• كتب جديدة ••

• « **شخصيات وأدوار في الثقافة العربية**

الحديثة » ، تأليف **محمد إبراهيم دكروب** ، صدر عن **مؤسسة الأبحاث العربية ببيروت** .

● « **الملاحن** » ، تأليف **الإمام أبي بكر محمد ابن الحسن بن دريد الأزدي ، صحح الكتاب وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم إطفيش الجزائري** ، صدر عن **دار الكتب العلمية ببيروت** .

● « **كتاب الدارات** » ، **للأصمعي وياقوت الحموي** ، تحقيق **يسري عبد الغني عبد الله** ، صدر عن **دار الكتب العلمية ببيروت** .

● « **الحركات الإسلامية في الوطن العربي** » ، تأليف **مجموعة من الأساتذة** ، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت** .

سورية

كشف أثري

عثرت بعثات تنقيب مشتركة سورية وأجنبية على وثائق ورقم طينية تؤكد أن (تل ليلان) هو مدينة (سباط انليل) عاصمة الملك الآشوري « **شمس أدد** » الذي يعود نسبه إلى أسرة **عمورية** .

ومن بين هذه الوثائق السجل الملكي للمدينة ويضم نحو ١٣٠٠ رقيم بعضها سليم والآخر مجزأ .. كما عثر على القصر الملكي الذي تتقدمه واجهات مدعمة بأعمدة لولبية ويعود تاريخه إلى ١٧٨٠ ق . م .

الجدير بالذكر بأن الوثائق المكتشفة مكتوبة بالخط المسماري وباللغة الآشورية .

كتب جديدة

● « **وضاح .. وليلى في وطن الجدود** » ، **رواية** للأطفال بقلم **الشاعر سليمان العيسى** ، صدرت ضمن **منشورات الأهالي بدمشق** .

● « **عناية المحدثين بتوثيق المرويات** » ، تأليف **الدكتور أحمد محمد نور سيف** ، سيصدر عن **دار المأمون للتراث** .

● « **الحجة للقراء السبعة** » ج ٢ ، **لابي علي الفارسي** ، تحقيق **محمد بدر الدين القهوجي وبشير جويجاتي** ، مراجعة **عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق** ، صدر عن **دار المأمون للتراث بدمشق** .

الجزائر

(ذهب البيرو)

نظم في قصر الثقافة بالجزائر معرض حول **(ذهب البيرو)** تم فيه عرض ٢٥٠ قطعة ذهبية من أصل ١٥٠٠٠ قطعة يتضمنها متحف (ذهب البيرو) في **مدينة ليما** . ويهدف المعرض إلى إبراز التقنيات العالية التي اشتهربها البيروويون في مجال تشكيل الذهب وصناعة الحلي منذ التاريخ القديم حيث تعود القطع المعروضة إلى تاريخ **الحضارة الإينكية** التي ازدهرت في العديد من دول أميريكا الجنوبية منذ ما قبل العصور الوسطى .

الأمير عبد القادر الجزائري

نظم في الجزائر معرض خاص بابراز جهاد الأمير عبد القادر الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي . تضمن المعرض مجموعة من الكتب والمؤلفات والصور التي تتناول حياة الأمير عبد القادر وجهاده بالإضافة لعرض بعض أمتعته الشخصية وأسلحته والراية التي كتب عليها الشهادتين للدلالة على جهاده في سبيل الله وإعلاء كلمة الإسلام .

الشاعر مفدي زكريا

نظمت في مدينة بني يزقن التابعة لولاية غرداية الجزائرية **ومسقط رأس الشاعر الجزائري الكبير مفدي زكريا ندوة حول شعره** . وقد شارك في الندوة عدد كبير من الشعراء والكتّاب والدارسين ، وألقيت خلالها المحاضرات والقصائد الشعرية التي تبرز الجانب النضالي والسياسي في شعر شاعر الثورة الجزائرية .

أفغانستان

مؤتمر دولي عن التعليم

عقد في باكستان وبمدينة « بيشاور » خلال الفترة من ٢٠ أكتوبر إلى ٣ نوفمبر من هذا العام مؤتمر دولي لمناقشة قضايا التعليم الأفغاني .

تبنت هذا المؤتمر الوكالة الإسلامية للإغاثة « إسراء » بالتضامن مع **رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة** ، وذلك **لأهمية تعليم أبناء الأفغان** في **ظل الظروف الحالية للبلد** .

نوقشت في المؤتمر عدة موضوعات هامة منها :

★ مشاكل التعليم وتطويره وتدريب المعلمين .

★ الاهتمام بالتعليم الوظيفي والمهني وتعليم المرأة .

★ بلورة كل الموضوعات في نطاق العقيدة الإسلامية .

هذا وقد حضر المؤتمر العديد من الشخصيات الإسلامية والتربوية والعلمية وذلك للمساهمة في مناقشة هذه الموضوعات ، بالإضافة إلى ما يرونه من أمور أخرى تهم الناشئة الأفغانية المراد تعليمها .

الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر كان مناسبة لإلقاء محاضرات ودراسات وإحصائيات عن التعليم في أفغانستان البلد الإسلامي العريق .

فرنسا

أعمال ابن خلدون

أصدرت **منشورات سندباد الفرنسية** مؤخراً ترجمات فرنسية لبعض أهم أعمال **المؤرخ والباحث الاجتماعي الكبير ابن خلدون** ، اشتملت هذه الترجمات على مقتطفات مقتبسة من كتاب « **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** » .





★ عبد الوهاب البياتي ★ ★ عبد اللطيف اللعبي ★

وتقع هذه المقتطفات في جزئين يقع كل منهما في ٧٠٠ صفحة تحت عنوان « **شعوب وأمم العالم** » ، وصرّح المسؤولون عن دار سندباد بأن الغرض من هذه الترجمة هو المساهمة في تجديد النظرة إلى تاريخ الإسلام .

•• أحدث الكتب ••

● « **سيرة ذاتية لسارق النار** » ، تأليف **عبد الوهاب البياتي** ، ترجمة **عبد اللطيف اللعبي** ، **صدر في باريس** .

● « **فلسطين .. التاريخ والقضية** » ، تأليف **المفكر المسلم رجاء جارودي ، صدر باللغتين الفرنسية والعربية في باريس** .

● **صدرت الكتب التالية** ضمن منشورات **ناثان الدولية (ناثان انترناسيونال) في باريس** :

★ « **أطلس الحضارات الأفريقية** » إعداد ج . موراي .

★ « **الفنون القديمة في الغابون** » تأليف ل . بيروا .

★ « **فن الرسم في هاييتي** » تأليف م . نادال جاردير . صدر ضمن **سلسلة الفنون الهاييتية** .

★ « **فيليكس هوبويت بواني — سيرة الحياة** » ، تأليف ب . **سينيكس** .

★ « **الرسم على الزجاج في السينيغال** » ، تأليف م . **ستروبيل و م . رينوديو** .

★ « **النشاطات الثقافية لفرنسا في العالم** » ، تأليف أ . **سالون** .

★ « **الأسلوب الحديث في تدريس العربية** » ، تأليف هـ . **حجاجي** . كتاب جديد لتعليم العربية مصحوب بكاسيت للتدريب على اللفظ والقراءة .

★ « **اللغة الفرنسية بين الأمس والغد** » ، تأليف أ . **سوفاجيوت** .

★ « **جغرافية جزر الكومور (القمر)** » ، تأليف ب . **فيرين و ر . باتيستيني** .

★ « **الدليل السياحي لجزر موريس** » إعداد ب . **لونوار** .

★ « **الفلسفات الأفريقية من خلال النصوص** » ، تأليف س . **آزومبو ميندا و م . اينوبو كوسو** .

رسائل جامعية

•• « **المواقف الإيمانية للمؤمنين بدعوات الرسل في القصص القرآني** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة** ، تقدم بها **السيد نايف بن قبلان العتيبي** .

•• « **دراسة الخواص التركيبية والكهربية والضوئية لمادة ثنائي سيلينيد الأنديوم والنحاس** » للاستفادة منها في بناء خلية شمسية غير متجانسة الوصلة مع كبريتيد الكاديوم » ، موضوع رسالة **دكتوراه نوقشت بكليات البنات بالرياض** « **الأقسام العلمية** » ، تقدمت بها **السيدة سهام عبد العزيز الكحيمي** .

•• « **الدخيل في تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير للخطيب الشربيني** .. عرض ودراسة » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية تربية البنات بالرياض** ، تقدمت بها السيدة **منور عبد الله الجدعان** .

•• « **أبرز ملامح التفسير في العصر الحديث** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية الأوزاعي في بيروت** ، تقدم بها **السيد محمد بدر الدين القهوجي** .

•• « **المهلهل بن ربيعة التغلبي .. حياته وشعره** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية آداب الجامعة المستنصرية ببغداد** ، تقدم بها **السيد نافع منجل الراجحي** .

•• « **الشيخ حسين المرصفي وجهوده البلاغية والنقدية** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة** ، تقدم بها **السيد عبد الله أحمد عطاس** .

★ « **الشعراء والرومانسيون السود** » ، تأليف ب . **فولشيرون و س . شلمبورغر** .

★ « **تاريخ النيجر** » ، تأليف **مجموعة من الباحثين** .

أسبانيا

•• كتب جديدة ••

● « **الكتابة على الطين** » ، **ديوان شعر للشاعر عبد الوهاب البياتي** ، ترجمه إلى الأسبانية **فيديركو أربوس** ، صدر عن **دار النشر الأسبانية** « **هيبريون** » .

روسيا

•• معرض دولي للكتاب ••

نظم في مدينة موسكو **المعرض الدولي السادس للكتاب** تحت شعار « **الكتاب في خدمة السلم والتقدم** » . شاركت في المعرض حوالي ٣٠٠٠ دار نشل تمثل ١٠٣ بلدان و١٣ منظمة دولية .

أمريكا

•• وفاة مكتشف RH ••

توفى العالم الأمريكي الدكتور « فيليب ليفن » عن ٨٧ عاماً في نيويورك خلال شهر أكتوبر ٨٧م قضى معظمها في البحث العلمي .

وكان (ليفن) قد اكتشف العامل **(RH) في دم الإنسان** ، وقد كان لهذا الاكتشاف أثره في **إجراء عمليات نقل الدم** دون أن تكون هناك خطورة في عدم التلاؤم بين المتبرع بالدم والمتلقي ، كما ساعد هذا الاكتشاف على التعرف على مرض تفتت كرات الدم الحمراء عند حديثي الولادة والذي يحدث عندما يكون في دم الأب والابن عامل إيجابي ، بينما يكون عامل سلبي في دم الأم .

•• كتب جديدة ••

● « **الوسط الكهربائي للأرض** » ، إعداد **خبراء هيئة الأبحاث الجيوفيزيائية ، صدر عن مطبعة الأكاديمية الوطنية** .

● « **العلم والحضارة في الصين** : التكنولوجيا العسكرية ـ المجلد الخامس » ، تأليف **جوزيف**

الحركة الثقافية في العالم

نيدهام ، صدر عن **مطبعة جامعة كامبريدج** .

● « **الثورة الزراعية : البيئة والإنتاج الغذائي في غرب أفريقيا** » ، تأليف **بول ريتشاردس** ، صدر عن **مطبعة ويستفيو** .

بولندا

●● كشف أثري ●●

عثر باحثون أثريون على « البومرانج » وهو سلاح قذفي من خشب يرجع اختراعه للاستاليين القدامى قبل (٢٣) ألف سنة ، وكان يستعمله الاستراليون الأصليون ومن خصائصه أنه يعود إلى قاذفه إذا لم يصب الهدف .

هذا وقد أشارت **كلية العلوم البولندية** في كراكوفي أن هذا السلاح المكتشف مصنوع من ناب الفيل وقد مضت عليه ٢٣ ألف سنة في كهف « **أوبلازوا** » جنوب بولونيا .

ومن ناحية أخرى ، تم العثور على عدد آخر من البومرانج الخشبية في استراليا ، وقد مرَّ عليها من الزمن ما بين ٩٠٠ و ١٠ آلاف سنة ، وأخرى يرجع تاريخها إلى (٧٠٠٠) سنة قبل الميلاد وجدت مرسومة في كهوف بشمال أفريقيا .

السويد

●● الفائزون بجوائز نوبل ●●

أعلنت الأكاديمية السويدية عن أسماء الفائزين بجائزة نوبل لعام ١٩٨٧ م ، حيث قررت :

★ **إسناد جائزة نوبل للسلام** للرئيس الكوستاريكي « **أوسكار ارياس** » لجهوده في إقامة السلام بين دول أمريكا الوسطى .

★ **إسناد جائزة نوبل للطب** للعالم الياباني « **سوسومو كونيجاوا** » ، وهو أول ياباني يفوز بالجائزة منذ عام ١٩٠١ م ، وذلك لأبحاثه الرائدة في **نظام خلايا المناعة البشرية** .

★ **إسناد جائزة نوبل في الكيمياء** للفرنسي « **جان ماري ليهن** » بالاشتراك مع الأمريكيين « **دونالد كرام ، وتشارلز بيورسن** » ، وذلك عن أبحاثهم في ما يسمى بكيمياء "Super Moleculor" .

★ **إسناد جائزة نوبل في الاقتصاد** للأمريكي « **روبرت سولو** » ، وذلك تقديراً لأعماله في نظرية « **النمو الاقتصادي** » .

★ **إسناد جائزة نوبل في الأدب** لهذا العام للشاعر الأمريكي الذي يكتب باللغة الروسية « **جوزيف بروسكي** » ، وذلك بسبب إنتاجه الأدبي الغزير الذي يتسم بحساسية ثقافية ولغة شاعرية مكثفة (كما تزعم الأكاديمية) .

بريطانيا

●● أحدث الكتب ●●

● « **البحث عن الحياة في النظام الشمسي** » ، بقلم **نورمان هوروفيتز** ، صدر عن **شركة (فريمن)** .

● « **المورفولوجيا الوظيفية للفقاريات** » ، بقلم **ميلتون هيلد وآخرون** ، صدر في **لندن** .

ألمانيا

●● أحدث الكتب ●●

● « **حضرموت** » ، بقلم **لوتار شتاين وكارل هافيتس** ، صدر في **فرانكفورت** .

★

كتب وردت الى المجلة

« وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه ان يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى » .

مدن لا مرئية

تأليف الروائي الإيطالي **ايتالو كالفينو** ويضم الكتاب واحدة من روائعه الروائية التي نتابع من خلالها وصفاً لمدينة البندقية من خلال رحلات وهمية في مدن من نسج الخيال . قام بترجمتها من اللغة الإيطالية إلى العربية **ياسين طه حافظ** . وصدر عن **دار المأمون للترجمة والنشر ببغداد** . وتقع في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط .

لمحات من تاريخ العمارة والحركات المعمارية وروادها

هذا الكتاب من تأليف **شيرين إحسان شيرزاد** . عبارة عن دليل لطلاب الدراسات المعمارية بما يتناوله من استعراض لتاريخ العمارة والتعريف بالحركات المعمارية الحديثة وروادها . وقد اختتمت المؤلفة الدراسة بفصل عن تطور الفكر المعماري **في العراق** . يقع الكتاب في ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط ومزود بالعديد من اللوحات . تتولى توزيعه **مكتبة اليقظة العربية ببغداد** .

عجائب المخدرات

تأليف **حمود منصور** . يضم الكتاب دراسة عن المخدرات ، تناولت تاريخها وأسباب انتشارها وآثارها المدمرة . كما اشتملت الدراسة على احصائيات عن أعداد المدمنين ومناطق تركيز وزراعة المخدرات وكذلك وسائل مكافحتها من قبل الدول المختلفة وحكم الشرع فيها . صدر الكتاب عن **دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر** ويقع في ١٠٤ صفحة من القطع الصغير .

مع القرآن الكريم : دراسات وأحكام

تأليف **الأستاذ حيدر قفة** . يضم الكتاب مجموعة دراسات عن **القرآن الكريم وعلومه وتاريخه** ، وأثره على الناس والحياة ، مع شرح وبيان بعض المسائل المتعلقة بأحكامه في **التلاوة والحفظ والقراءة** . وغيرها من المسائل التي يحتاج المسلم إلى معرفتها . صدر الكتاب عن **دار الضياء للنشر والتوزيع بالأردن ـ عمان** ويقع في ٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط .

السير الحثيث في الاستشهاد بالحديث في النحو العربي

تأليف **الدكتور محمود فجال** . يتناول الكتاب دحض الشبهات الداعية إلى منع الاستشهاد بالحديث النبوي في مسائل النحو ويبين مخاطر هذه الظاهرة حيث يعد الحديث الشريف ينبوعاً فياضاً للنحو العربي . كما يضم الكتاب دراسة نحوية للأحاديث التي استشهد بها الرضي في « **شرح الكفاية** » . صدر الكتاب عن **نادي أبها الأدبي** ويقع في جزئين .. مجموع صفحاتهما ٦٤٨ صفحة من القطع المتوسط .

المطبوعات الحكومية في المملكة العربية السعودية : دراسة وقائمة ببليوجرافية

تأليف **الدكتور ناصر محمد السويدان** . يضم الكتاب دراسة حول المطبوعات الحكومية بالمملكة العربية السعودية ودور المصادر الببليوجرافية الحالية تجاه تغطيتها ، وكيفية تطوير مستوى الضبط الببليوجرافي لهذه المطبوعات . زودت الدراسة بإحصائيات وقائمة ببليوجرافية حديثة للمطبوعات الحكومية السعودية . يقع الكتاب في ٦٩٢ صفحة من القطع الكبير وحقوق توزيعه محفوظة **لدار المريخ للنشر بالرياض** .

النظم الاجتماعية والقانونية في بلاد النهرين وعند العرب قبل الإسلام

تأليف **الدكتور محمود سلام زناتي** ، أستاذ تاريخ وفلسفة القانون وعميد كلية الحقوق بجامعة أسيوط . يضم الكتاب بحثاً يتناول **دراسة النظم الاجتماعية والقانونية في حضارات بلاد النهرين** من خلال استعراض تاريخي للتشريعات المختلفة والأحوال الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة . يقع الكتاب في ٢١٤ صفحة من القطع المتوسط .

نحو نظرية للأدب الإسلامي

تأليف **الدكتور محمد أحمد حمدون** . يضم الكتاب مجموعة أبحاث نظرية وتطبيقية تهدف إلى الوصول إلى نظرية للأدب الإسلامي ذات أبعاد وتطبيقات واضحة . صدر الكتاب ضمن إصدارات « **دارة المنهل** » **بجدة** ويقع في ١٧٢ صفحة من القطع المتوسط .

من أسرار الحياة والكون

تأليف المرحوم **الدكتور عبد المحسن صالح** . وهو الكتاب الخامس عشر ضمن سلسلة « **كتاب العربي** » التي تصدر عن **مجلة « العربي » الكويتية** ، ويضم موضوعات علمية متفرقة حول أحدث ما وصل إليه العلم من أسرار الكون والبيئة وحياة الإنسان بأسلوب قريب من فهم الإنسان العادي . يقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة من القطع الصغير .

* *

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً
ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال
جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً
د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي)
هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي : (المملكة العربية السعودية ـ ص . ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) . مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

•• المسابقة ••

•• السؤال الأول :

متى أنشئت وكالة الأنباء السعودية (واس) ؟

•• السؤال الثاني :

أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان ـ أرض المعجزات ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس .

•• السؤال الثالث :

ما اسم أول طائرة في العالم طارت بأربعة محركات .. وما اسم مصممها .. ومتى ؟



•• السؤال الرابع :

هذه الصورة للوحة فنية نشرتها مجلة « الفيصل » « صوّر الفنان فيها حادثة اغتيال تاريخية لأحد رؤساء جمهورية دولة عالمية .. ما اسم اللوحة .. وما اسم الفنان الذي رسمها وجنسيته .. وما اسم رئيس جمهورية الدولة العالمية الذي اغتيل ؟

السؤال الخامس :

ماذا تعني كلمة « الكَلاَم » بفتح الكاف ، و« الكِلام » بكسر الكاف ، و« الكُلام » بضم الكاف ؟

•• أجوبة العدد (١٢٣) ••

(ج ١) أنزل القرآن الكريم ، وصحف إبراهيم عليه السلام ، والتوراة ، والإنجيل في شهر رمضان المبارك .

——————

(ج ٢) أسماء مؤلفي الكتب التالية هي :

ـ معجم المصنفين : التونكي .

ـ نزهة الألباب في الألقاب : الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)

ـ تبصرة الحكام : ابن فرحون .

——————

(ج ٣) الصورة المنشورة في سؤال المسابقة هي لقناة السويس ، وقد افتتحت عام ١٨٦٩ م .

——————

(ج ٤) اسم أول رسول بعثه الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة هو (عمرو بن أمية الضمري) .

——————

(ج ٥) العوامل المسببة لسرطان الرئة هي :

تدخين السجائر ، التعرض الصناعي للاسبستوس (الحرير الصخري) ، والزرنيخ ، نقص فيتامين (A) وتلوث الجو .

ـ أما العوامل المسببة لسرطان الفم فهي :

التدخين ، مضغ التبغ ، الإدمان على المشروبات ، الأسنان الاصطناعية ، والجسور الرديئة التركيب في الفم ، الأسنان المعطوبة والحادة التي تسبب التهيجات أو التلوث .

ـ والعوامل المسببة لسرطان المعدة هي :

عوامل بيئية مسيطرة ، التهام كميات كبيرة من المخللات المالحة ، والأغذية المدخنة ، أمراض تؤثر في بطانة المعدة ، تدخين السجائر ، والإشعاع .

•• نتيجة مسابقة العدد (١٢٣) ••

★ فاز **بالجائزة الأولى** ، وقيمتها (**٧٥٠**) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً ، الأخت **مبروكة بنت محمد بن المبروك الخرشوفي** ، **تونس** .

★ فاز **بالجائزة الثانية** ، وقيمتها (**٥٠٠**) خمسمائة ريال سعودي ، الأخت **أمينة عبد الله إبراهيم** ، **البحرين** .

★ فاز **بالجائزة الثالثة** ، وقيمتها (**٣٥٠**) ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً ، الأخ **عبد الوهاب عبد الله يحيى الديلمي** ، ذمار ، مكتب المواصلات ، **الجمهورية العربية اليمنية** .

وهناك **سبع جوائز** ، قيمة كل جائزة (**٢٠٠**) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

★ من **المملكة العربية السعودية** ، الرياض ، ص . ب (٥١٤٦١) الأخ **خالد عبد العزيز سعد الخراشي** .

★ من **سورية** ، درعا ، نوى ، عدوان ، الأخ **نديم أمين القرفان** .

★ من **السودان** ، مدينة الدليخ ، الأخ **عمر عبد الله عثمان علي** ، بواسطة علي أحمد الحاج .

★ من **مصر** ، القاهرة ، الأخت **غادة محمد رجاء حنفي** .

★ من **العراق** ، بغداد ، شارع الخلفاء ، حي الجمهورية ، زقاق ١٦ محلة ١١٣ رقم الدار (٦) ، الأخ **سعد عبد الحسين عيسى لطيف** .

★ من **المغرب** ، الدار البيضاء ، درب الحداوي ، الزنقة (٥) رقم المنزل (١١٠) ـ (م . ق) ، الأخ **كريفي عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد ابن عمر** .

★ من **الإمارات العربية المتحدة** ، أم القيوين ، الأخت **سهام محمد إبراهيم** .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** ، قيمة كل واحدة منها **اشتراك مجاني** ، **لمدة عام** ، **في مجلة** « **الفيصل** » ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

★ من **المملكة العربية السعودية** ، صباء الشمال ، الخريبة ، مدرسة متوسطة عمر بن عبد العزيز ، الأخ **صلاح عبد الظاهر محمد عيسى مغربي** .

★ من **موريتانيا** ، نواكشوط ، الأخت **مريم بنت عمر** .

★ من **سورية** ، دمشق ، جامعة دمشق ، كلية الحقوق ، الأخ **غازي جميل الكحلوني** .

★ من **الهند** ، دلهي ، (١١٠٠٠٦) الأخ **سيد أنوار حسن** Syed Anwaar Hasan 1742, Gali Ghewte Wali Pahari Bhajla Delhi 10006 - India.

★ من **السودان** ، الخرطوم ، كلية الزراعة ، ص . ب . (٣٢) ، الأخ **أبو جبر علي بنّا** .

★ من **مصر** ، محافظة الغربية ، كفر سنباط ، الأخت **شكرية عبد العال أبو يوسف** .

★ من **لبنان** ، بيروت ، الأخت **عايدة عيد الحموي** .

★ من **الأردن** ، عمان ، مخيم حطين ، ص . ب . (٢٩٣) ، الأخ **عبد الله يوسف إبراهيم** .

★ من **الجزائر** ، قسنطينة (٢٢) نهج قديد صالح ، الأخ **درويش محمد ابن محمد بن أحمد** .

★ من **الكويت** ، الأخت **مرح مروان محمد جميل** .

●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا العدد ●● في هذا



●● عن سمات الملك فيصل بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ودوره السياسي والفكري في حل كثير من القضايا العربية والإسلامية ... نظم شعراء عسير وتهامة واليمن قصائد تسجل إنجازاته الداخلية والخارجية وتحكي عن عمق العلاقة بين أهل جنوب الجزيرة والفيصل تغمده الله بواسع رحمته طالع ص (٤٠)



●● مدينة عربية ، في شمال المملكة المغربية .. تجمع بين عبق الماضي وآثاره ، وروعة الحاضر وبهائه . تقع على ربوة عالية .. تناجي البحر .. وتفتح ذراعيها ترحيباً بالقادمين إليها من بلاد الثلج والضباب .. والقيظ والسراب .. طالع ص (٣)

●● الإعلام الإسلامي .. الإعداد البشري ، والأصولي والفكري .. التأصيل .. التنظير العلمي .. الإصلاح الواقعي ... قضايا يتناولها د . عبد القادر طاش في دراسة حول الإعلام الإسلامي . طالع ص (٢٠)

●● عن سلوك الانسحاب .. قياسه ، وأسبابه ، ووسائل علاجه .. وعن الانسحاب الاجتراري ، والصمت ، وتعديل السلوك ، والإثارة ، والتخيل .. طالع ص (٨٢)